

تجوع وعي بالمعجم
دراسات نظيفية

في

النقد المعجمي

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشؤون الفنية

فهبي ؛ خالد

نحو وعي بالمعجم: دراسات تطبيقية في النقد المعجمي / تأليف: أ.د. خالد فهبي.
- القاهرة ط ١- القاهرة: دار النشر للجامعات، ٢٠١٧.
٣٥٢ ص؛ ٢٤ سم.

تدمك: ٢ ٣١٦ ٥٦٢ ٩٧٧ ٩٧٨

١- اللغة العربية - معاجم. ٢- الأدب العربي - تاريخ ونقد

أ- العنوان

٤١٣

* تاريخ الإصدار: ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

* الناشر: دار النشر للجامعات - مصر

* حقوق الطبع: محفوظة

* رقم الإيداع: ٢٠١٧/١٤٩٣٦ م

* الترميم الدولي: ISBN: 978 - 977 - 316 - 562 - 2

* الكود: ٢/٤٩٨

* تحذير: لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل

من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل (المعروفة منها حتى

الآن أو ما يستجد مستقبلا) سواء بالتصوير أو بالتسجيل على

أشرطة أو أقراص أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن

كتابي من الناشر.

دار النشر للجامعات



ص.ب (١٣٠ محمد فريد) القاهرة ١١٥١٨

E-mail: darannshr@hotmail.com.net

نحو وعي بالمعجم

دراسات تطبيقية

في

النقد المعجمي

تأليف

أ.د. خالد فهمي

كلية الآداب / جامعة المنوفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فاتحة كل خير

وتمام كل نعمة

إهداء

إليها.. وهي تمنع البهجة العقلية
وتدفع إلى كل إنجاز.

المحتويات

المقدمة	٩
التمهيد: النقد المعجمي: التصور والنشأة والتطور والأدبيات العربية المعاصرة .. مداخل تعريفية موجزة	١٥
الفصل الأول: في نقد المعجمات	١٩
١ / ١ معجم المصطلحات العلمية في التراث الإسلامي مراجعة علمية	٢٠
٢ / ١ معجم المُسَعَّفُ: مراجعة علمية نقدية	٣٦
٣ / ١ معجم الدخيل في العامية المصرية .. الألفاظ وأسماء الأعلام والألقاب المصرية ..	٤٧
مراجعة نقدية	٤٧
٤ / ١ معجم الطفولة: مفاهيم مصطلحية .. مراجعة علمية نقدية	٦٢
٥ / ١ نحو معجم موسوعي لمصطلحات علم تحقيق النصوص التراثية	٧٩
٦ / ١ من نماذج التطوير الإداري في المنهجية الإسلامية المعاصرة .. العناية بالاصطلاحات	٩٩
الفقهية في مجلة الأحكام العدلية (المجلة) .. الملامح والوظائف	٩٩
٧ / ١ قاموس الإحالات الضمنية .. مراجعة علمية نقدية	١١٨
الفصل الثاني: في نقد الموسوعات	١٣٥
١ / ٢ موسوعة التاريخ الإسلامي .. مراجعة علمية نقدية	١٣٦
٢ / ٢ الموسوعة المصورة للرموز التقليدية .. مراجعة علمية نقدية	١٥٤
٣ / ٢ موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر للدكتور يوسف حسن نوفل .. مراجعة	١٧٠
علمية نقدية	١٧٠
٤ / ٢ قمر على الحمراء! .. العناية المعاصرة بتراجم اللغويين والنحويين الأندلسيين .. دراسة	١٨٤
في البحث المعجمي	١٨٤

- الفصل الثالث: في نقد الأدلة وغيرها..... ٢١٥
- ٣ / ١ الدليل اللغوي العام: معجم عام شامل في الأدوات والتراكيب والمهارات الكتابية، لسليمان فياض .. مراجعة علمية نقدية..... ٢١٦
- ٣ / ٢ التراث الموريسكي المخطوط .. مراجعة علمية نقدية ٢٣٤
- ٣ / ٣ لا نهائية القوائم من هوميروس حتى جويس، لأمبرتو إيكو .. مراجعة علمية وقراءة في آفاق الاستثمار ٢٥٦
- ٣ / ٤ فهم فرديناند دوسوسير وفقاً لمخطوطاته .. مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات .. مراجعة علمية نقدية ٢٧٠
- ٣ / ٥ المرجع في علم المخطوط العربي .. مراجعة علمية نقدية ٢٨٧
- الفصل الرابع: من جهود المعاصرين في النقد المعجمي ٣٠٧
- ٤ / ١ الهوية الحاضرة! .. إسهام الدكتور إبراهيم عوض في النقد المعجمي .. دراسة استقرائية تحليلية نقدية ٣٠٨

المقدمة



اللهم أغني بالعلم، وزيني بالحلم، وأكرمني بالتقوى، وجملني بالعافية"
 [من دعاء النبي ﷺ، كما أخرجه مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي في: جامع الدعاء،
 تحقيق أحمد أبو سالم، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠١٣م، ص ٨٥].

وبعد:

فهذا كتاب يمثل حصاد سنوات من المتابعة النقدية لعدد من المعجمات والموسوعات والأدلة، كانت تستهدف الإسهام في خدمة فرع النقد المعجمي؛ بما هو فرع أصيل من فروع هدف أكيد لنشاطات النقد المعجمي بامتياز؛ يقول هارتمان في: المعاجم عبر الثقافات: دراسات في المعجمية [الكويت ٢٠٠٤م، ص ٦٢]: "والنقد المعجمي يمكن أن يكون وسيلة فعالة من وسائل زيادة الوعي العام بالمعاجم، والنهوض بمستوى النتاج المعجمي".

والنقد المعجمي واحد من حقول أساسية كبرى منضوية تحت الحقل المعرفي العلوي، المعروف باسم البحث المعجمي، وهو فرع يدور حول إبداء الرأي العلمي فيما يصدر من معجمات في مجموعة من "المظاهر المعيارية مثل: الاستيعاب coverage، والصيغة format والمجال scope والحجم والعنوان والتأليف" [هارتمان، ص ٧٨].

وقد كشف الدرس الحديث عن تجاوز في تطبيق مقولات النقد المعجمي على أعمال مرجعية أخرى بجانب المعجمات، وهو ما سيراه القارئ الكريم في عدد من فصول هذا الكتاب، فقد اتسع نطاق مظاهر تطبيق النقد المعجمي ليغطي أعمالاً أخرى من نوع الموسوعات والأدلة والقوائم؛ ذلك أنني من المؤمنين "بأن النقد المعجمي يمكن أن يمارس في عدة أجناس أخرى من النصوص"، كما يقرر هارتمان أيضاً [٧٩].

وليس صحيحًا أن يتصور أن بحوث النقد المعجمي من إنتاج الدرس المعجمي الحديث؛ ذلك أن تاريخ المعجمية المزدهر عند العرب المسلمين كان عرف تنوعات حقيقية كمؤلفات في هذا الباب العلمي العريق.

لقد عرف تاريخ المعجمية العربية - في مقدمات المعجمات المتلاحقة - رؤى نقدية طالت بيان آراء في أنظمة الترتيب لعدد من المعجمات التي سبقتها، وفي خلل الأصول الذي أفضى إلى نتائج سلبية على مستويات توزيع المفردات، وطرق الشرح، وتوثيق المادة اللغوية، ومنهجيات جمعها، وتحريرها.

ثم تطور الأمر فنشأت حركة نقد معجمي واسعة المدى حول معجمات رائدة بعينها، فقامت حركات نقدية حول معجم العين، وحول معجم الصحاح، وحول معجم القاموس المحيط؛ استهدفت عددًا بالغ الأهمية من الغايات التحسينية لهذه المعجمات، من مثل:

أولاً: تكملة النقص الواقع في جمعها للمادة اللغوية، وعرف معجم مصطلحات النقد المعجمي كلمات مفتاحية كاشفة عن تحقق هذه الغاية، من مثل: الاستدراك، والإكمال والتكملة.

ثانيًا: إصلاح الغلط الواقع في هذه المعجمات، من جهة خلل الترتيب الناتج عن التورط في الأصول، ومن جهة تحريف عدد من الكلمات، وتصحيفها، ومن جهة صرف معنى عدد من الكلمات عن جهاتها، والتورط في فساد المعنى، وعرف معجم مصطلحات النقد المعجمي كلمات مفتاحية من نوع: استدراك الغلط، التنبيه والإيضاح، التثقيف؛ وغيرها.

ثالثًا: الاختصار الإيجابي، أقصد به العودة إلى عدد من المعجمات الكبيرة؛ بهدف تخليصها من عوامل تضخمها، مع العناية بتصحيح ما فرط من صاحبها فيها من الاختلالات.

رابعًا: إعادة الترتيب، وأقصد به العودة إلى عدد من المعجمات غير شائعة الترتيب أو عسرة الترتيب، بإعادة ترتيب المداخل وفق النظام الأشهر، وهو الترتيب الألفبائي الذي يراعي التيسير على المستعملين، على ما كان - مثلاً - من أبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ) في معجمه: المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم، وإعادة الترتيب نوع من النقد الإيجابي العلمي لمبدأ مستقر في المعجمية المعاصرة، هو ضرورة رعاية منظور المستعمل، يقول العكبري [المشوف المعلم، تحقيق: ياسين محمد السواس، جامعة أم القرى

١٤٠٣هـ=١٩٨٣م (٤٦/١)]: "كتاب إصلاح المنطق... متوعر المسلك، مستصعب المدرك، لأشياء منها: التكرير المحض، الممل لحفاظه، والترتيب الموجب تفرق ألفاظه، ومنها إهمال كثير من لغته عن التفسير... فرأيت أن أجمع شوارده... فرتبته على حروف المعجم".

وكانت عناية المعجمية العربية بهذا الفرع العلمي المختص بالنقد المعجمي، تجلياً وتطبيقاً عملياً ظاهر السمة عامة من سمات التصور الإسلامي في الحياة، انسحب وانعكس على المنجز العلمي في حقل المعجمية، ألا وهو طلب التجويد، والإلتقان، والقيام بالنصح العلمي للسابقين بتسديد النظر، وإصلاح الخلل.

وهذه جميعاً مقاصد ظاهرة من نشوء حركة النقد المعجمي في تاريخ العلم في هذا الحقل عند المسلمين.

واستمرت هذه العناية مع التاريخ، واتخذت أشكالا أكثر انتظاماً واستقلالاً مع العصر الحديث، وباتت دراسات المعجم العربي المعاصرة لا تخلو من أبعاد في النقد المعجمي، متلبسة بتحليل المعجمات القديمة، والكشف عن سماتها وخصائصها، وهو ما يظهر بصورة واضحة منذ العمل الرائد للدكتور حسين نصار (المعجم العربي)، ومن خلفه وجاء بعده.

وقد اجتهد هذا الكتاب في أن يعين على استقرار المظاهر المعيارية في نقد المعجمات والأعمال المرجعية؛ طلباً للفرار من الانطباعية من جانب، وطلباً للفرار من التورط في السلبية التي تضم مجمل المنجز المعاصر في دائرة عروض النقد المعجمي.

وقد أنتج هذا الاجتهاد رعاية المظاهر المعيارية التالية:

أولاً: العناية ببيان الانتهاء المعرفي لكل عمل مرجعي مفقود، وفق مؤشرات منضبطة محددة، تعول كثيراً على معلومات واجهة المعجم.

ثانياً: العناية بفحص البنية الكبرى لكل عمل مرجعي؛ واجهة، ومتناً، وملاحق.

ثالثاً: العناية بفحص البنية الصغرى لكل عمل مرجعي، من جهتي معلومات التعليق على الشكل، والتعليق على المعنى.

رابعاً: العناية بفحص مظاهر الاستيعاب، والصيغة، وإقامة الدليل المادي عند انتقاد أي معجم من أحد هذين المظهرين أو كليهما.

والحق أنني ترددت كثيراً في العمل على إصدار هذا الكتاب لأسباب كثيرة، هي نفسها التي دفعتني لإنجازه، وفي مقدمتها تراجع دراسات النقد المعجمي الصادر عن روح المراجعات العلمية النقدية في العصر الحديث.

إنني لا أنكر محاولات مهمة في هذا الباب، تذكر بأسماء من أمثال:

د. محمد أحمد أبو الفرج رَحْمَةُ اللَّهِ، ود. أحمد مختار عمر رَحْمَةُ اللَّهِ، ود. رمضان عبد التواب رَحْمَةُ اللَّهِ، ود. محمود فهمي حجازي، ود. وفاء كامل، ود. عدنان الخطيب، وغيرهم.

وتبقى الدراسة التقييمية للمعجم العربي للدكتور سعد مصلوح علامة بارزة في هذا السياق؛ لأنها تمثل نصاً فريداً كثيفاً، يسعى لتوطين النقد والصناعة المعجميين وفق مظاهر معيارية منضبطة.

وترجع مسألة رعايتي للمراجعات العلمية النقدية للمعجمات إلى وقت بعيد؛ فقد أنجزت دراسة نقدية للمعجم الوجيز، بما هو معجم مدرسي، ضمنتها كتابي زمان المعجم (دار المقاصد، ٢٠١٥).. كما كنت أنجزت دراسة في نقد قاموس مصطلحات المحدثين لمحمد صديق المنشاوي، ضمنتها كتابي ثقافة الاستهانة (مكتبة إيتراك، ٢٠٠٤).

كما إنني - وعلى امتداد ما يتجاوز عقداً من الزمان - انشغلت بإنجاز ما يزيد عن عشرين عرضاً علمياً لعدد من المعجمات التراثية والمعاصرة، تضمنت جميعاً مطالب في نقد هذه المعجمات، كنت أنشرها بصورة دورية في دورية عريقة معنية بعروض الكتب، هي مجلة حصاد الفكر، التي كان يصدرها مركز الإعلام العربي بالقاهرة، وقد استمر ذلك مني في الفترة من ٢٠٠٣-٢٠١٣م.

ولم أر مسوغاً لجمعها وإعادة نشرها في هذا الكتاب، وربما أعود لها مستقبلاً، أجمعها في كتاب مستقل مع غيرها من العروض التي أنجزتها لعدد من المعجمات في دوريات علمية أخرى.

إنني أرجو أن ينزل هذا الكتاب الجديد منزلاً يتجاوز مناطق الرفض والرد إلى منازل القبول والرضا.

وأنا مدين بالشكر لمجموعة من النبلاء دائماً ما يحيطونني بالمحبة والتشجيع، ممن لهم فضل على هذا الكتاب، أذكر منهم:

الدكتور سعد مصلوح، والدكتورة حسناء محبوب، والدكتور فتحي عبد الهادي، والدكتور عبد الستار الحلوجي، والأستاذ أحمد عبد الستار (من مجلة تراثيات)، لهم مني خالص التقدير وجميل العرفان.

خالق فهمي

رمضان ١٤٢٨هـ - يونيو ٢٠١٧م

التمهيد

النقد المعجمي: التصور والنشأة والتطور والأدبيات العربية المعاصرة

مداخل تعريفية موجزة



١- تصور النقد المعجمي:

يعرف هارتمان في معجم مصطلحية علم المعجم: (Dictionary of lexicography) [ص ٣٢ في مدخل: نقد [criticism] النقد المعجمي بقوله: "النقد المعجمي نوع من دراسة المعجم، يركز على الوصف والتقييم للمعاجم والأعمال المرجعية الأخرى".
وفحص التعريف إلى نهايته يكشف عن النظر إلى النقد المعجمي بوصفه فرعاً من البحث المعجمي، يستهدف التعرض لما يلي:

أ- الخلفية التاريخية الحاكمة لظهور المعجم أو العمل المرجعي.

ب- التركيز على فحص المكونات، وأنظمة الترتيب.

ج- بيان قيمة المعجم، أو العمل المعجمي من منظور المستعملين الحقيقيين.

د- ظهور منجز أو ناتج علمي، يتمثل في إنتاج مراجعة علمية نقدية منشورة.

ثم يعود هارتمان فيخصص لهذا الفرع المعرفي مطلبين في كتابه (المعجم عبر الثقافات: دراسات في المعجمية)، هما:

أولاً: نقد المعاجم [ص/٦٢]، بين فيه أن النقد المعجمي أحد فروع البحث المعجمي، وأنه "وسيلة فعالة من وسائل زيادة الوعي العام بالمعاجم، والنهوض بمستوى الإنتاج المعجمي".. وهذه الفقرة هي التي ألهمت هذا الكتاب عنوانه، الذي هو: في سبيل وعي بالمعجم!

ثانياً: النقد المعجمي [ص/٧٨]، وهذا الطلب أوضح بجلاء أن النقد المعجمي فرع أصيل من فروع البحث المعجمي، الذي هو "الدراسة الأكاديمية لموضوعات مثل طبيعة المعاجم، وغيرها من الأعمال المرجعية، وتاريخها ونقدها، وتصنيفها واستعمالها".

ويقول (ص/ ٧٤): إن "البحث في النقد المعجمي (بها هو أحد الحقول الكبرى لتخصص البحث المعجمي) هو الذي يدرس سياق التقييم المرجعي، ويتولد عنه من بين أشياء أخرى صورة كلية للمعجم".

وينبه هارتمان [ص٧٧] على الرغم من ملاحظة التداخل بين التاريخ المعجمي والنقد المعجمي، أو بين الأثریات المعجمية lexicography chaeology وما يتعلق بدراسة القرابات الوراثةية بين المعجمات ونقد المعاجم - فإن هذا الفرع الأخير يبقى متمایزاً، يمكن ترسيم حدود خريطة موضوعاته بدرجة دقيقة حاسمة.

٢ - النقد المعجمي: تاريخ موجز للنشأة والتطور في الثقافة العربية:

منذ ظهر المنجز المعجمي العربي في مستهل النصف الثاني من القرن الأول الهجري - متمثلاً في المحاولة المعجمية المبكرة: سؤالات نافع بن الأزرق لابن عباس، ثم بالبداية الناضجة المتمثلة في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي - يمكننا أن نقرر أن تاريخ النقد المعجمي في الثقافة العربية قد بدأ، وقد اتخذ ذلك الفرع المعرفي عند العرب صوراً متعددة، هي:

أولاً: تكملة المعاجم التي ظهرت، والاستدراك عليها.

ثانياً: تصحيح ما فرط أصحابها في تحرير مادتها ومدخلها.

ثالثاً: التنبيه على اختلالات الترتيب، ومشكلات الأصول.

رابعاً: إعادة الترتيب على أنظمة تراعي منظور المستعمل.

وقد استمرت صور تطور النقد المعجمي حتى ظهرت مجموعة من الأدبيات العربية المعاصرة اتخذت المسارات التالية:

أولاً: دراسات نقد المعاجم ضمن دراسات المصادر اللغوية في الأكاديميات العربية المختلفة، بما هي مقدمات لازمة لدارس اللسان العربي.

وقد ظهر نقد المعاجم جزءاً ضئيلاً في سياق التعريف بمصادر اللغة، وأنظمة بنائها، بما فيها المعجمات اللغوية وغير اللغوية على السواء.

ثانيًا: دراسات نقد المعاجم ضمن دراسات المعجمية العربية التي توجهت لدراسة منجز معجمي بعينه؛ بهدف بيان قيمته، وما تورط فيه من اختلالات في الترتيب والمنهج وتحرير المادة، والاستدراك عليها، وتنظيم المعلومات المنضوية تحت البنية الصغرى... إلخ.

ثالثًا: البحوث المستقلة في نقد المعاجم، وقد ظهر في هذا المجال مجموعة من الأدبيات المعاصرة، اتخذت المسارات التالية:

١. بحوث شارك بها أصحابها في المؤتمرات والندوات العلمية واللسانية.
 ٢. بحوث مراجعات علمية نقدية، نشرها أصحابها في دوريات مختصة، بعضها مختص بمراجعات الكتب.
 ٣. كتب خصصها أصحابها كاملة، أو خصصوا فصولاً منها للنقد المعجمي.
- وفي هذا السياق يمكن الإشارة إلى منجز ثلاثة من المعاصرين، يمثل منجزهم نقطة بارزة في هذا الحقل المعرفي، وهم:
١. د. إبراهيم السامرائي بكتابه (مع المصادر في اللغة والأدب: نقد لمراجع اللغة والأدب)، بغداد (ج ١) ١٩٨٠م، و (ج ٢) ١٩٨١م.
 - ومما نقده من المعاجم في هذا الكتاب ما يلي:
 - نقد كتاب العين (١١/١).
 - نقد معجم المساعد للأب أنستاس الكرمل (٢٦٣/١).
 - في معجم الأخطاء الشائعة (١١٥/٢)
 - ديوان الأدب للفارابي (٦٩/٢).
- على أن منجز السامرائي هذا أقرب إلى دراسات نقد تحقيق النصوص، أو نقد النشر النقدي منها إلى النقد المعجمي.
٢. د. عبد العزيز مطر، بكتابه (في نقد المعاجم والموسوعات)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢م، ومما نقده من المعجمات والموسوعات ما يلي:
 - المعجم الوسيط (ص/٥).

- المعجم العربي الأساسي (ص/٥١).
- الموسوعة العربية الموسعة (ص/٩١).
- معجم أسماء العرب (ص/١١٣).

وفحص منجز الدكتور عبد العزيز يمثل حلقة مهمة على طريق الكشف عن التطور الذي حققه النقد المعجمي في الدرس اللساني المعاصر في الثقافة العربية، وهذا الفحص لمنجزه يكشف عن مجموعة من الملاحظ، يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: عدم اطراد محددات نقد المعاجم في دراسات في النقد المعجمي، وهو ما يمكن أن يعبر عنه بعبارة أخرى هي: الانطبعية، أو عدم الانتظام في عناصر النقد.

ثانياً: الخلط بين نقد المعاجم ونقد التحقيق، ولكن بصورة ضئيلة جداً، مقارنة بمنجز د. إبراهيم السامرائي.

ثالثاً: إدراج بحوث المشكلات الثقافية للمعجم في بحوث النقد المعجمي، وهي رؤية إدراكية واعية بحدود خريطة بحوث نقد المعاجم.

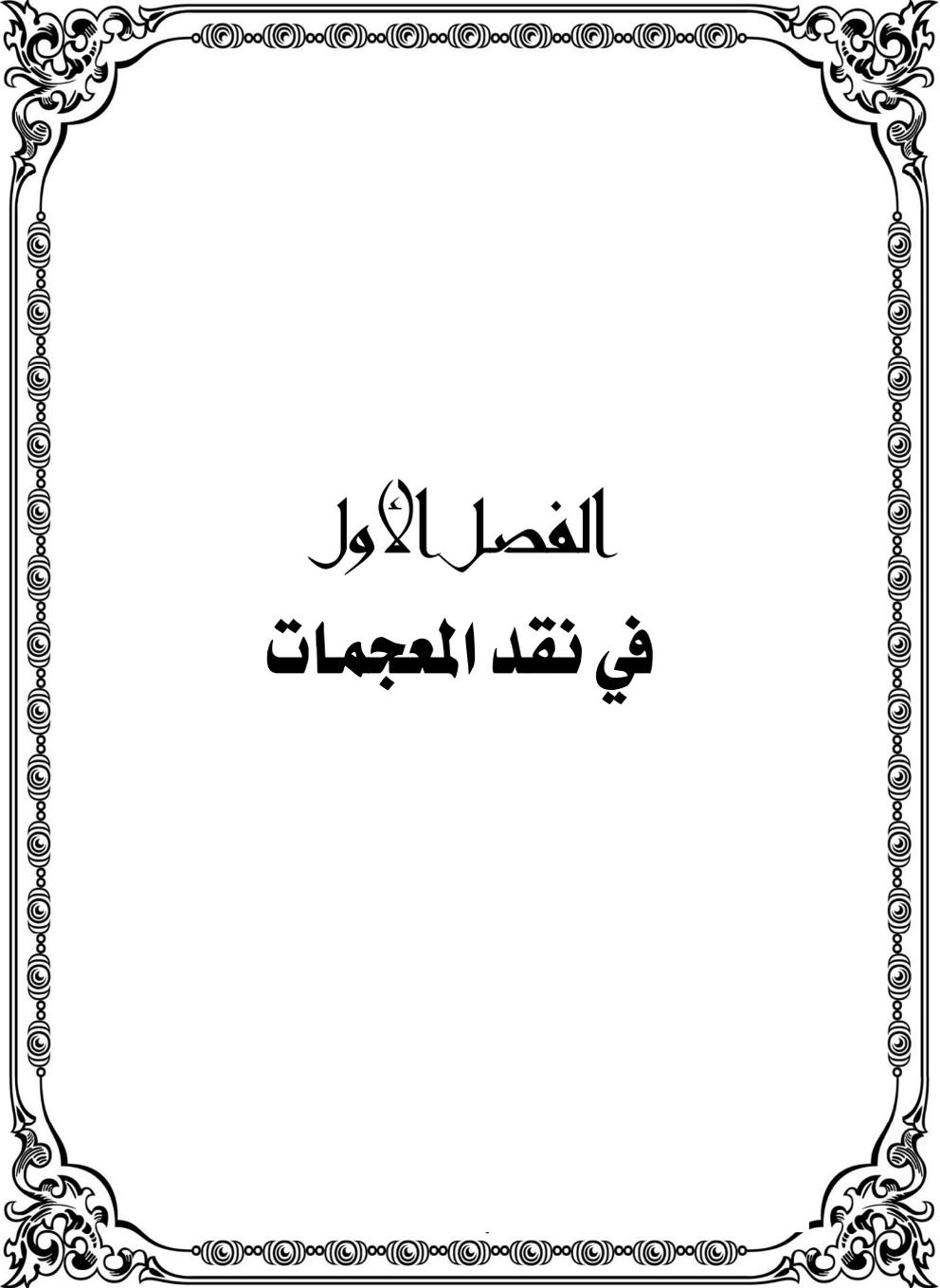
٣. د. إبراهيم عوض، وقد أفردنا الفصل الرابع لفحص منجزه في النقد المعجمي؛ بما هو مثال ظاهر على جهد المعاصرين في هذا الباب.

ولعلي لا أكون متجاوزاً إن قررت أن ما جمعته في هذا الكتاب يمثل محاولة جادة إلى حد ما، تزيد عن مجموع ما سبق من منجز المعاصرين في هذا الباب، وقد حرصت في هذا الكتاب على أمرين، هما:

أولاً: الاطراد في عناصر دراسات نقد المعاجم، وتنوع المعاجم محل الدرس النقدي.

ثانياً: الكثرة بالمفهوم الكمي، فقد زادت بحوث نقد المعاجم في هذا الكتاب بصورة ظاهرة، مقارنة بمنجز المعاصرين في الحقل نفسه.

وقد سبق مني أن عكفت مدة طويلة من الزمن في مرحلة سابقة على إنجاز مجموعة من "عروض المعاجم" والأعمال المرجعية الأخرى، أراها تمثل حلقة سابقة في طريق الوصول إلى ما سميته الآن باطراد عناصر دراسات نقد المعاجم في هذا الكتاب، ولعلي أعود إليها جامعاً لها في كتاب آخر.



الفصل الأول
في نقد المعجمات

١/١

معجم المصطلحات العلمية

في التراث الإسلامي

مراجعة علمية



مدخل: يقظة عقل ولسان!:

مثل نزول الكتاب العزيز نقطة النور الغامر الذي أيقظ العقل العربي، ونهض باللسان العربي. وهذه الحقيقة لا يشغب عليها أحد من الدارسين في الشرق أو الغرب جميعاً.

وقد تنبه إلى ذلك فقهاء اللغة العرب منذ زمان مبكر، ووضعوا لذلك مصطلحات معبرة عن هذه الحقيقة، من مثل الأسباب الإسلامية، ومن مثل الكلمات العربية الإسلامية، حتى وصل الأمر بواحد من أشهر العلماء العرب القدامى أن يقرر أن ثمة عدداً من الكلمات العربية يتعذر وجودها في الألسنة الأخرى؛ نظراً لارتباطها العضوي بالتصورات الإسلامية الخاصة، على ما جاء في فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ، الذي يقول (٥٢٤/٢): "فصل في أسماء عربية يتعذر وجود فارسية أكثرها". وكانت هذه الكلمات من مثل: الزكاة والحج، والفاسق والتميم... إلخ.

ومنذ ذلك الزمان وكل مواضع العلماء في مجالات العلوم المختلفة مردها إلى هذه الأسباب الإسلامية.

وهو الأمر الذي ظهرت العناية بجمعه وتفسيره المصادر التالية:

أولاً: معاجم المصطلحيات، أو ما يسمى أحياناً باسم معاجم المصطلحات المتعددة العلوم، كمفاتيح العلوم للخوارزمي، والتعريفات للسيد الشريف الجرجاني، والتعريفات والاصطلاحات لابن كمال باشا، وغيرها.

ثانياً: معاجم لمصطلحات كل علم على حدة، فظهرت معاجم لمصطلحات النحو، وأخرى لمصطلحات المنطق، وأخرى لمصطلحات الطب والصيدلة... إلخ.

ثالثاً: المعاجم اللغوية العامة ذات الصبغة الموسوعية؛ كالقاموس المحيط الذي عني - فيما عني به - بجمع عدد من مصطلحات العلوم المختلفة، وتفسيرها.

معجم المصطلحات العلمية في التراث الإسلامي:

المصنّف والمادة والمنهج والوظائف:

(أ) يعد الدكتور أحمد فؤاد باشا واحداً من أكابر العلماء المعاصرين في مجال العلوم الطبيعية، وله إسهامات كثيرة في خدمة العلم الطبيعي في التراث الإسلامي؛ تاريخياً، ودراسة، وتحقيقاً لمصنفاته.

ومنجزه العلمي في هذه الحقول المعرفية منجز معتبر، يضرب بجذور عميقة في تربة خدمة التراث العلمي عند المسلمين؛ ومن ثم فإن تصديده لإنجاز معجم للمصطلحات العلمية في التراث الإسلامي أمر يحمل على التقدير والاعتبار.

ومعجمه هذا صادر عن مركز تحقيق التراث العربي، بجامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا، وهي جامعة غير حكومية، تنبه بصنيعها هذا إلى أهمية نهوض هذه المؤسسات العلمية المختلفة بالعناية بتراث الأمة؛ بما هو أساس علمي لازم لدعم بناء الثقافة الوطنية.

وكان صدور هذا المعجم في طبعته الأولى، القاهرة سنة ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م، في (٢٤٥) صفحة من القطع الكبير.

(ب) مادة المعجم:

يضم هذا المعجم أربعة أقسام هي:

أولاً: تصدير المعجم (واجهه المعجم).

ثانياً: سرد مصطلحات المعجم الموزعة على عدد من العلوم الطبيعية والعملية.

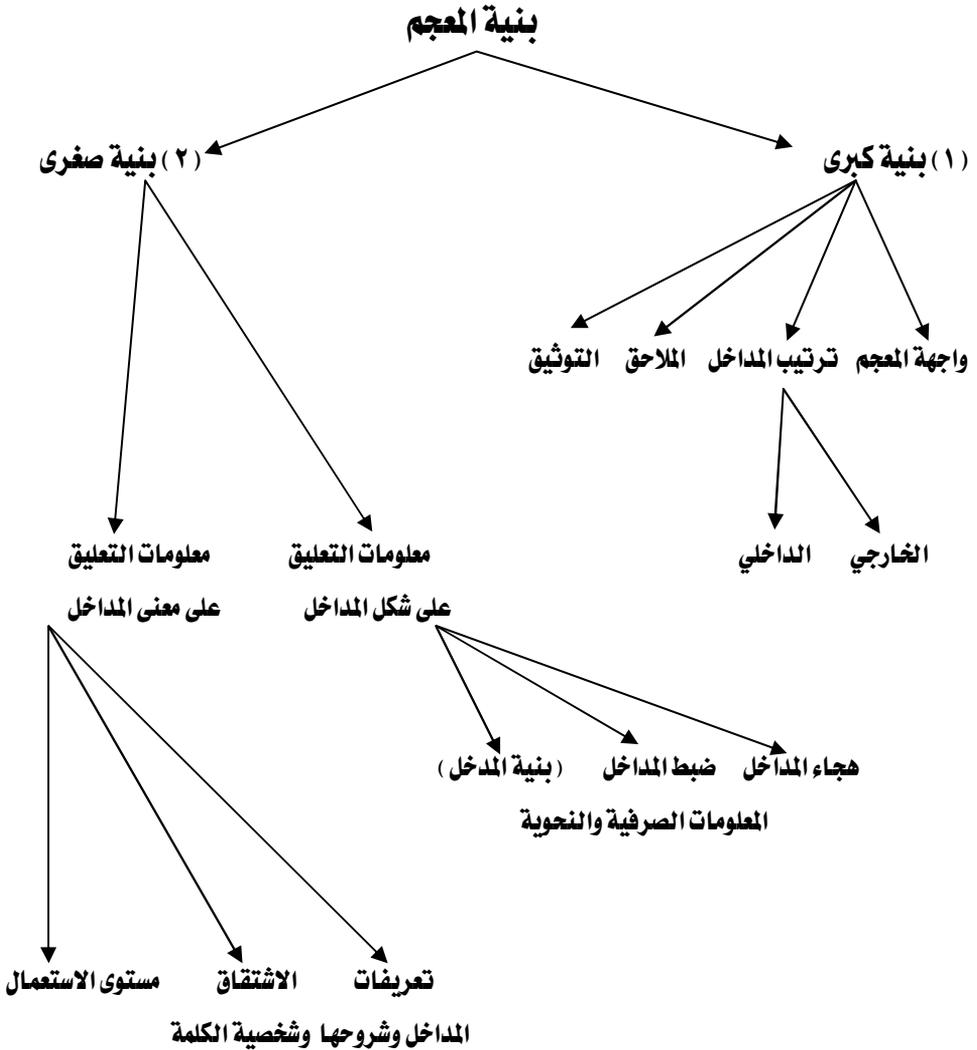
ثالثاً: ملحق بالصور والرسوم والأشكال لعدد من المصطلحات الواردة في المعجم.

رابعاً: قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدها صانع المعجم في جمع مادته وتحريرها.

وهذا التصميم من الناحية الشكلية موافق لما جرى اعتباره في صناعة المعجم الحديث، وإن كانت صناعة المعجم الحديث لا تفصل بين الصور والتعريفات الشارحة للمداخل / أو المصطلحات.

(ج) منهج المعجم:

تقرر صناعة المعجم والمعجمية مجموعة من المبادئ المستقرة الحاكمة لبناء المعجم، تكشف عنها مجموعة من العناصر الموزعة على ما يسمى باسم بنية المعجم، وهي التي يمكن بيانها في المخطط التالي:



(من هارتمان: ص ٩٤ Dictionary of lexicography)

(ج/أ) البنية الكبرى للمعجم:

ويعتمد في بنائه على أربعة أقسام، هي التي ظهرت في الحديث عن مادته، وهي:

- واجهة المعجم أو مقدمته.

- جسم المعجم (سرد المصطلحات).

- ملاحق المعجم.

- قائمة مصادره ومراجعته.

المعجم من الناحية الشكلية أو الهيكلية الخارجية يتوافق مع ما تقرره صناعة المعجم الحديث.

(ج/أ) غير أن ثمة ملاحظ في تفاصيل البناء أو البنية الكبرى؛ فقد جاءت واجهة المعجم فقيرة جداً في ما ينبغي أن تضمه من معلومات؛ فلم يظهر فيها الكلام عن المنهج الحاكم لترتيب المداخل، وغابت المعلومات الإرشادية أو إرشادات الاستعمال والطرق المستعملة في شرح مداخله، وبيان الرموز والاختصارات الواردة فيه، وأسلوب جمع مادته. لقد أشارت المقدمة إلى ما يلي:

أولاً: عراقية سهمة العرب في مجال تصنيف المعجمات المتنوعة؛ بسبب الدين الإسلامي، مقارنة بسهمة الغرب التي تأخرت كثيراً.

ثانياً: بيان الأهمية الحاكمة لتصنيف هذا المعجم، وهي الأهمية التي تمثلت في ضرورة إبراز هوية الأمة الثقافية؛ سعياً نحو قراءة الذات قراءة واعية (ص ٥).

ثالثاً: خدمة الدارسين في مجال المخطوط العربي، والمعنيين بتحقيق النصوص العلمية والتقنية.

رابعاً: الإسهام في خدمة تعريب العلم، ودراسة تاريخ العلم عند المسلمين، ودراسة تطور الكلمات العلمية، وتتبع مراحل ميلادها.

إن هذه المعلومات مهمة، وهي من لوازم عمل واجهة المعجم، ولكن غياب ما أشرنا إليه مؤثر في تقييم هذا العمل بدرجة ظاهرة.

ج ١ / ب) ترتيب المداخل:

رتب المعجم مداخله وفق النظام الألفبائي الجذعي؛ أي غير التجريدي، وهو منهج يرتب المداخل خارجياً بحسب الحرف الأول، من دون ردها إلى الجذور، وهو منهج مناسب جداً لهذا المعجم من عدة جوانب، هي:

أولاً: يسر استعماله، ولا سيما أن مستعمليه المتوقعين لا ينتظر منهم تفوقاً في الصرف العربي.

ثانياً: مناسبة لأصول المصطلحات العلمية في المعجم؛ ذلك أن جزءاً كبيراً منها وارد من لغات أعجمية، وهو ما يعني استحالة إيجاد جذر لغوي لها!

ومن جانب آخر، فإنه يبدو أن المصنف التزم كذلك نظام الترتيب الألفبائي في ترتيب المداخل في كل حرف؛ مراعاة للحروف الثواني والثالث... إلخ.

والملاحظ أنه عدّ ألف المدهزمة، وهو ما فسر ورود المدخل (أذريون) بعد (إذخر) وقبل (أراك!)، وكذلك ورود (أس) بعد (إزلاق) وقبل (أسارون)!. وكان ينبغي أن ينبه على ذلك.

كما أنه يعتبر "ال" إذا جاءت في الجزء الأخير من المصطلحات المركبة.

وقد التزم صانع المعجم وضع المكافئ الإنجليزي للمداخل العربية، وهي خدمة جيدة تعين على تحصيل مفاهيم هذه المداخل، ولا سيما أن كثيراً منها قديم غير شائع في الثقافة المعاصرة، وترجمته إلى الإنجليزية - بما هي لغة العلم الأولى في العالم في هذا العصر - معين على توضيح معانيها، وتحصيل تصوراتها!

وقد كان من المهم ترقيم هذه المداخل، ولا سيما أن بعضها متكرر الرسم، كما في المدخلين (أترج) لنوع من الليمون؛ مرة، والشجرة من الفصيلة السذابية؛ مرة أخرى (ص ٨)!.

ج ١ / ج) الملاحق:

ضم المعجم ملحقاتاً واحداً لعدد من الصور والرسوم والأشكال الموضحة لبعض المداخل المشروحة.

وهذه الرسوم توزعت على الحوائط والصور الفوتوغرافية والجداول والرسوم التوضيحية... إلخ.

وقد لوحظ عليه ما يلي:

أولاً: انفصال الصور عن مواضع تفسير المداخل، وضمها إلى المداخل مفيد بدرجة أكبر.

ثانياً: جاءت بعض الرسوم غير واضحة؛ بسبب مشكلات في التحرير، على ما نرى في صورة برج القوس كما رسمه ابن الصوفي (ص ٢٢٦)؛ فقد جاءت صورة الرسم بكتابة المعلومات الموضحة مقلوبة، وجاءت مجموعة أخرى خالية من الكتابات التوضيحية، كما نرى في لوحة المعدات الطيبة (ص ٢٣٣).

ثالثاً: مثلت نسبة الرسوم والصور قياساً لكثافة المداخل المشروحة رقماً ضئيلاً للغاية؛ فقد بلغ عدد الرسوم مع التفصيل (٩٨) رسماً وصورة!.. فقد مثلت نسبة الرسوم إلى عدد المداخل نحو نصف في المئة، على وجه التعيين ٦٨،٠ وهذه نسبة ضئيلة جداً.

(ج/١د) التوثيق:

للتوثيق في المعجم وظائف مهمة جداً، تسهم في خدمة المجال المعرفي لمستعملي المعجم، وتمنح مداخله الموثوقية، وتنتج فحص التراكم المصطلحي في الحقل المعرفي مشغلة المعجم. وقد أدخل المعجم في توثيق مداخله أو مصطلحاته إخلالاً تاماً، فلم يوثق مدخلاً واحداً، ولم تظهر في مقدمته - كما مرّ - فقرة لخطاب مصادر جمع مادته.

والإخلال بهذا المبدأ المهم فوت على الدارسين عدداً ضخماً من الفوائد المتعلقة بمسيرة حياة كثير من المصطلحات العلمية الواردة في المعجم، ومسيرة تطورها على مستوى البنية والدلالة معاً، ولاسيما فيما يتعلق بما افترضته العربية من غيرها من اللغات.

إن ثمة عدداً من المجالات أضررت بغياب التوثيق الداخلي للمصطلحات، يمكن إجمالها في ما يلي:

أولاً: دراسات تاريخ الحركة العلمية في الحضارة الإسلامية.

ثانياً: دراسات تطور التصنيف في الاصطلاحات العلمية في الحضارة العربية الإسلامية.

ثالثاً: دراسات التعريب، وطرقه، ومساراته.

رابعاً: دراسات المراجع والمصادر المعنية بالتراث العلمي والتقني في العربية. والمرات القليلة من توثيق التعريفات كما في المدخل: توتياء (ص ٦٥) لا تمثل ظاهرة بأي حال!.

ومن جانب آخر، فقد أورد صانع المعجم قائمة بمصادره ومراجعته التي اعتمدها في بناء معجمه. وقد توزعت هذه المصادر والمراجع على قوائم الحقول المعرفية التالية:

أولاً: المعجمات اللغوية العامة، من مثل: لسان العرب، لابن منظور؛ قاموس إلیاس العصري، لإلیاس أنطون إلیاس؛ وقاموس المورد، لمنير البعلبكي وغيرها.

ثانياً: المعجمات الاصطلاحية المختصة بمصطلحات عدد من العلوم، من مثل: المعجم الموحد لمصطلحات الرياضيات والفلک؛ والمعجم الفلكي، لأمين المعلوف؛ ومعجم أسماء النباتات، لأحمد عيسى بك.

ثالثاً: كتب تراثية في عدد من العلوم العلمية؛ من مثل:

١ - الطب؛ كالحاوي للرازي، والقانون لابن سينا، والتصريف للزهراوي، وتقويم الأدوية (= المنجح في التداوي) للعلائي.

٢ - النبات (الصيدلة)؛ ككتاب ديسقوريدس، ومنهاج البيان في ما يستعمله الإنسان لابن جزلة، ونباتات في حياة الرسول ﷺ للبتانوني.

٣ - الرياضيات؛ ككتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي.

٤ - المعادن؛ ككتاب الجوهرتين للهمداني، وأزهار الأفكار في جواهر الأحجار

للتيفاشي.

٥ - الفلك؛ ككتاب تحديد نهايات الأماكن للبيروني.

وغير ذلك من الحقول المعرفية.

(ج/٢) البنية الصغرى لمعجم المصطلحات العلمية في التراث الإسلامي:

ظهر انتهاء هذا المعجم لمدرسة الترتيب الألفبائي الجذعي، بحسب أوائل المصطلحات، ثم ترتيبها داخلياً وفق الترتيب نفسه الذي يراعي بعد الحرف الأول الحروف الثواني والثالث... إلخ.

أما البنية الصغرى لهذا المعجم فمتعلقة بما يلي:

أ- معلومات التعليق على الشكل: (الهجاء / والضبط / والبنية).

ب- معلومات التعليق على المعنى: (التعريف / الاشتقاق / مستوى الاستعمال).

(ج ٢/أ) معلومات التعليق على شكل المصطلحات:

تفاوتت العناية بمعلومات التعليق على شكل المصطلحات في هذا المعجم، وإن جمعها جميعاً جامع واحد، هو عدم الاطراد في الظهور.

ولم يكشف صانع المعجم عن منهجية حضور معلومات التعليق على الشكل وغيابها، وفي ما يلي بيان ذلك:

أولاً: غابت العناية بالهجاء عن المعجم بصورة واضحة، اللهم إلا من ظاهرة يمكن حملها على محمل الرعاية لهذا النوع من معلومات الشكل، تمثل في ذكر الطرق المختلفة لكتابة بعض المداخل عندما تتنوع هجاؤها؛ والظاهر أن اختلاف هجاء بعض المداخل راجع إلى اختلاف التعريب، من مثل:

ص ٧ / إبرية؛ هبرية (أ > ه).

ص ٨ / ترنج؛ طرنج (ت > ط).

ص ١٠ / إجاص؛ إنجاص (ج > نج).

ص ١٤ / أساريقا؛ مساريق (أ > م).

ص ٧ / إسفاناخ؛ إسبانخ (ف > ب).

ص ٣٣ / أنزروت؛ عنزروت (د > ع).

ص ٣٩ / إيلاؤس؛ عيلوص (د > ع).

ص ٤٠ / باداورد؛ باذاورد (د > ذ).

ص ٤١ / بازهر؛ بادزهر (ز > دز).

ص ٤٥ / برماذجة؛ نرماذجة (ب > ن).

ص ٤٥ / برنجاشف؛ برنجاسف (ش > س).

ص ٤٦ / بسفايح؛ بسبايح (ب > ف).

ص ٤٧ / بقدونس؛ مقدونس (ب > م).

إن هذه الأمثلة المختارة من بابي (الهمزة / والباء) جاءت في المعجم لغرض بيان التنوع التعريبي الذي ظهر في الكتابات التراثية العلمية، لكنها خدمت بند الهجاء في معلومات شكل المصطلحات. والعناية بها في المعجم أمر مهم يسهم في دراسة المعرب الصوتي في مصطلحات العلوم في التراث العلمي عند المسلمين.

وقد كشفت هذه الأمثلة - في مجموعها - عن أن التبادل الواقع بين الأصوات كان بسبب من تقاربها، في الغالب، في ملامح الحزم التمييزية الصوتية للصوت المبدل والصوت المبدل منه، وإن ظهرت استثناءات قليلة تحتاج إلى فضل فحص وتحليل.

ثانيًا: كان الاهتمام بالضبط أعلى ظهورًا من بند الاهتمام بالهجاء على قائمة معلومات التعليق على الشكل.

وقد تركز الضبط في نوع واحد هو الضبط بالقلم؛ أي وضع علامات التشكيل والضبط فوق الحروف، أو فوق رسم المداخل.

ولم يوضح المعجم المعيار الذي حكم ضبط بعض المداخل من دون بعضها الآخر، غير أن الغالب كان متجهًا إلى ضبط بعض المداخل المعربة؛ ربما بسبب من غرابة نقطتها، في مثل:

ص ٧ / إبرنج؛ بسكون الباء الموحدة، وفتح الراء المهملة وسكون النون!.

ص ٤٠ / بابونج؛ بضم الباء الثانية، وسكون النون!.

ص ٥٨ / ترمس؛ بضم التاء المثناة الفوقية، وضم الميم!.

ولا يعني ذلك غياب الضبط عن المداخل ذات الأصول العربية؛ فقد ضبط المعجم عددًا من المداخل العربية، في مثل:

ص ٥٨ / ترهل؛ بتشديد الهاء وضمها!.

ص ٦٦ / ثوم؛ بضم الثاء!.

ص ٩٦ دمعة؛ بفتح الدال المهملة، وكسر الميم!

وقد لوحظ على الضبط في المعجم ما يلي:

١- غياب معيار حاكم.

٢- الاضطراب.

٣- النقص في ضبط حروف المدخل الواحد.

٤- غيابه عن مداخل غريبة، غير متداولة أو مألوفة النطق.

٥- اطراده عند اتحاد رسم مدخلين، فيكون الضبط وسيلة التفريق، كما في: ص ٨١ / حمة؛

بفتح الحاء المهملة والميم المشددة المفتوحة، للينبوع الحار. الحمة؛ بضم الحاء المهملة وتشديد الميم المفتوحة، للحجارة السوداء.

ثالثاً: أما ما يتعلق ببيان المعلومات الصرفية، فقد تركزت العناية في هذا النطاق بمعلومات المفرد / والجمع في الغالب، وكان محل ظهورها بجوار المدخل بين قوسين، في مثل:

ص ٥٧ / ترس (ج. أتراس).

ص ١٠٦ / رفادة (ج. رفائد).

ص ١١٦ / سدة (ج. سدد).

ص ١٢٢ / سلامي (ج. سلاميات).

ص ١٢٩ / شريان (ج. شريانات).

وفي أحيان يذكر الجمع بغير الرمز الاختصاري الدال على الجمع (ج)، كما في:

ص ٧٥ / حبل (حبال).

ص ٧٧ / حرة (حرات. حرار).

ص ٨١ / حمة (حمات).

ومن أمثلة العناية ببيان المفرد إذا جاء المدخل في بنية الجمع:

ص ١٣٢ / شيافات (م. شياف).

ص ١٤٣ / عرפט (م. عرفطة).

ص ١٩٥ / ميسوسنات (م. ميسوسن) = شراب السوسن.

وبعض هذه المعلومات ربما يكون غير مفيد، كما في المثال الأخير المجموع بعلامة الجمع المفتوح، المنتهي بالألف والتاء!.

إن التفاوت والاضطراب وغياب المعايير في استعمال معلومات التعليق على الشكل أسهم في تراجع الاستفادة من كثير من محاور هذا المعجم من مداخل، ولاسيما في ما يتعلق بضبط المداخل، وطرق نطقها في التراث العلمي في الحضارة الإسلامية.

(ج ٢/ ب) معلومات التعليق على المعنى:

اختلف تعامل المعجم مع معلومات التعليق على المعنى، مقارنة بمعلومات التعليق على الشكل، بحيث يمكننا أن نقرر أنها اتسمت - في المجموع - بالسماة التالية:

١- الاطراد النسبي في العامل مع معلومات شرح المعنى، وبيان مستوى الاستعمال؛ نظراً لتنوع المجالات والحقول المعرفية التي تنتمي إليها المصطلحات الواردة في المعجم.

٢- الحرص على الوضوح، وهو ما تجلى في ما يلي:

أ- شرح المعنى باستعمال طريقة التعريف المحكم في الغالب.

ب- ذكر المكافئ الإنجليزي أمام المدخل العربي.

وفي ما يلي تحليل لعناية هذا المعجم بمعلومات التعليق على معاني المداخل:

أولاً: شرح المعنى أو تعريفات المداخل / المصطلحات:

تنوعت طرق شرح المعنى في هذا المعجم، واتخذت أشكالاً مختلفة، ومتفاوتة القيمة، وهو ما يمكن بيانه في ما يلي:

أ- طريقة الشرح بالتعريف المحكم، وهي أفضل طرق شرح المعاني فيما يخص تعريف المصطلحات؛ ذلك أنها تعني رصد السماة الدلالية الفارقة المميزة لمصطلح ما عن غيره.

وقد استأثرت هذه الطريقة بنسبة كبيرة من التعريفات، وهو أمر يحمده للمعجم بشكل

عام.

ومن أمثلة ذلك:

ص ٧١ / "جمست، جمشت: معدن من مجموعة السيليكا SiO₂، وهو متبلور من معادن المرو، فيه نسبة من الحديد تكسب لوناً بنفسجياً جميلاً، ويستعمل في أغراض الزينة".

ففي هذا التعريف يظهر:

أ- نوع المعدن، وتركيبته الكيميائية.

ب- العناصر التي يتكون منها.

ج- تفسير لونه.

د- أغراضه التي يستعمل فيها.

٢- طريقة الشرح بالتعريف المهجين، وهي الطريقة التي تجمع بين التعريف بالقول الشارح، مع التمثيل بما يوضح الشرح، من مثل:

ص ١٢٧ / "شاقول: ثقل صغير من الرصاص معلق في خيط؛ مثل: ميزان البناء".

ففي هذا التعريف ظهر اجتماع أمرين، هما:

أ- التعريف القولي.

ب- المثال.

وقد نهض التعريف القولي ببيان ماهية الشاقول، ومادته، ومكوناته، وكيفية صنعه، ونهض المثال ببيان شكل من أشكال استعماله في الأغراض العملية على سبيل توضيحه وتفسيره.

٣- طريقة الشرح بذكر المرادف، وهي طريقة غير معتبرة في بناء معجمات المصطلحات، ومن أمثلة استعمالها في هذا المعجم:

ص ١٣١ / شلجم. سلجم: هما اللفت!.

٤- طريقة الشرح السلبي (السكريتي): وهو ذكر/ المدخل من دون تعريفه بأي من طرق التعريف السابقة، اكتفاء بذكر المكافئ الترجمي له. ومن أمثلته:

ص ١٣٥ / صفراء زنجارية: verdigris- green Bille

٥- طريقة الشرح بالموضحات البصرية:

وهي الطريقة التي يذكر فيها المعجم الرسوم والصور لتعريف بعض المداخل، وقد مر بيان قلة الصور والرسوم المستعملة التي لم تتجاوز نسبتها ٧,٠، أي: (٩٨) صورة، من مجموع مداخل بلغت (١٤٢٧) مدخل، ثم تراجع أمرها بوضعها في ملحق خاص!

ثانيًا: معلومات الاشتقاق والتأصيل:

مثلت معلومات التأصيل اللغوي ركيزة أساسية في معلومات التعليق على المعنى في كثير من مواطن التعليق على مداخل هذا المعجم.

وقد اتخذت معالجات معلومات هذا البند صورًا متقاربة في التعليق على المداخل، وإن شغلت مكانًا واحدًا في الغالب، هو افتتاح التعليق على المداخل بها.

وفي ما يلي بيان صور معالجات التأصيل اللغوي لعدد من مصطلحات هذا المعجم تكشف عن أشكالها المختلفة:

أ- صورة الاكتفاء ببيان اللغة الأصل التي انحدر منها المصطلح، ودخل إلى المعجمية العربية التراثية المختصة؛ من مثل:

ص ٢٢ / أفاقيا: يوناني معرب. إنبيجات: هندية.

ص ٧٠ / جليجات: معربة عن الفارسية.

ب- صورة بيان اللغة الأصل مع بيان تركيبها فيها؛ من مثل:

ص ٧٠ / جلاب: فارسي معرب؛ الكلمة مركبة من: "جل" أي: ورد، و"آب" أي: ماء.

ج- صورة بيان ما انتقل من الأسماء العلمية العربية إلى اللغات الأوربية، من مثل:

ص ٩٥ / درونج: الاسم العلمي له Doronicum، مأخوذ من التسمية العربية.

وهذا النوع من معلومات التعليق على المعنى مهم جدًا؛ لرصد تاريخ التفاعل العلمي بين الحضارة العربية الإسلامية وغيرها من الحضارات، ومهم جدًا لبيان الطاقات اللغوية للعربية التي مكنتها من استيعاب التسميات الاصطلاحية المقترضة، ومهم جدًا لبيان ما صدرته لغة العلم العربية للمصطلح العلمي في اللغات الأعجمية.

ويتعلق بهذا النوع من معلومات المعنى ما حرص عليه المعجم من بيان بعض أنواع العلاقات اللغوية بين عدد كبير من المصطلحات، ولاسيما علاقة الترادف؛ إذ ظهر بين كثير من المصطلحات ترادف؛ لأسباب مختلفة، من مثل:

أ- ترادف بسبب اختلاف البيئات في تسمية الشيء الواحد، كما في: الريحان الذي يسمى في حضر موت: بالشقر، ويسمى في اليمن: بشجر الرعاف (ص ١٠٨).

ب- ترادف بسبب التداخل الاقتراضي؛ أي: دخول المفهوم بألفاظ مختلفة من لغات مختلفة؛ من مثل:

الرسام الحار (ورم) من الفارسية، ويسمى أيضًا: قرانيطس (ص ١١٧). والسَّمْسَم الذي يسمى أيضًا: جلعلان، وسليط، وكنجد.

ثالثًا: معلومات مستوى الاستعمال:

كان لتنوع انتماءات المصطلحات في هذا المعجم، وتوزعها على مجالات معرفية متنوعة من جانب، وترتيب المداخل هجائيًا - وليس مفهوميًا أو موضوعيًا - أثر في ازدياد قيمة العناية بمعلومات مستوى الاستعمال usage label، بما هي فرع من معلومات التعليق على المعنى في البنية الصغرى للمعجم.

وأصبحت هذه العناية بمعلومات مستوى الاستعمال هي الوسيلة شبه الوحيدة لتمييز المجالات التي تنتمي إليها المداخل المختلفة.

ويظهر من تحليل المعجم اعتماده ثلاث آليات لبيان المجال الدلالي لكل مدخل، هي:

أ- ما يبدو من معنى المدخل، ولاسيما إذا كان اللفظ كافيًا في الدلالة على المجال الذي ينتمي إليه.

ب- ألفاظ التعريف، أو قيوده.

ج- النص الصريح على انتماء المدخل لمجال معرفي بعينه.

وقد تفاوتت الاعتماد على هذه الوسائل من مدخل لآخر. ومن الأمثلة الموضحة لما

نقره:

ص ١٤٦ / "علة البقر: دود صغير متولد بين الجلد واللحم، ويدب في الجسم كله صاعداً وهابطاً".

ويبدو أن المعجم اكتفى برسم المدخل (علة البقر)؛ للدلالة على انتهائه إلى الحقل الطبي.
ص ١٦٥ / كبيكج: نبات: وهو من الفصيلة الشقارية. وهو ضرب من الكرفس، يقال له بالعربية: كفّ السبع!

فقد ظهر من ألفاظ التعريف أن المدخل من مصطلحات علم النبات.
ص ١٩٣ / منطقة البروج: في علم الهيئة (الفلك): هي تلك المجموعة النجمية التي تمر بها الأرض في أثناء دوراتها حول الشمس.

ففي هذا التعليق ينص على انتهاء المدخل إلى علم الفلك تصريحاً.
وهذه المعلومات الخاصة ببيان مستوى الاستعمال مهمة جداً في ضبط تحصيل تصورات المصطلحات، في معجم متعدد الحقول المعرفية.

وكان يفضل توحيد طريقة البيان، وعدم الاضطراب والتوزع على الصور السابقة.
إن فحص البنية الصغرى لهذا المعجم يكشف عن العناية بمفرداتها، ولكن بصورة يمكن وصفها بما يلي:

- ١ - الاضطراب في العناية بها.
- ٢ - عدم الاطراد في العناية بها.
- ٣ - التفاوت في صور العناية بها.
- ٤ - عدم الاستيعاب.
- ٥ - عدم الوضوح.

(د) انتهاء المعجم ووظائفه:

إن تحليل هذا المعجم يقود إلى تصنيفه ضمن المعجمات الاصطلاحية ذات الصبغة الموسوعية، وهو الحكم الذي جاء من ملاحظة أمرين، هما:

أولاً: العناية بجمع المصطلحات العلمية في التراث الحضاري الإسلامي؛ أي بجمع الألفاظ وتعريفها.

ثانياً: العناية بما ليس من الألفاظ أو المصطلحات من مثل: الكتب (: المجسطي، ص ٣١)؛ والنظريات: (مزدوجة الطوسي، ص ١٨٧).

أما عن وظائف هذا المعجم المتوقع أن يؤديها، فيمكن الإشارة إليها في ما يلي:

أ- الوظيفة المعرفية؛ أي تحقيق تحصيل مفاهيم المصطلحات التي كانت شائعة في تراث المسلمين العلمي.

ب- الوظيفة التاريخية؛ أي تحقيق قدر كبير من الإسهام في كتابة التاريخ العلمي من خلال تتبع ظهور هذا الكم من مصطلحات العلوم والتقنية في الحضارة العربية بعد الإسلام.

ج- الوظيفة اللسانية، وأقصد بها ما يمكن أن يسهم به هذا المعجم في دراسة كفاءة اللسان العربي، ومرونته في استيعاب المعربات المقترضة من اللغات الأخرى من جانب، وقدرته على اختراع تسميات من ألفاظه بطرق التوليد اللغوية الذاتية للتعبير عن حقائق العلوم الجديدة.

د- الوظيفة الحضارية، وأقصد بها ما يمكن أن يعين على فحص هذا المعجم في سياق ما قدمه العقل العربي المسلم لترقية الوجود المادي للحياة في جنباتها المختلفة.

هـ- الوظيفة القومية، وأقصد بها استثمار المعجم في ما يدعم الدعوة إلى تنمية الوعي بهوية هذه الأمة، والارتباط بذاتها، وقدراتها على إنتاج العلم، وصياغته بلغتها القومية.

إن هذا المعجم، على الرغم مما شابهه من ملاحظ سلبيه تتعلق بتطبيقات صناعة المعجم الحديث الغائبة، لا يزال يمثل أهمية بقدر ما، يرجى لها أن تنمو وتعظم مع تفادي هذه الملاحظ من جانب، وتقدم الدراسات التي تتحاور معه من زاويا هذه الوظائف الخمسة المرصودة وغيرها؛ سعياً نحو مستقبل علمي وحضاري أفضل!

٢/١

معجم المسعف: مراجعة علمية نقدية



مدخل:

اتفق فقهاء العربية التراثيون على حقيقة لسانية مفادها أن الإسلام كان له فضل عظيم في تطور المعجم العربي، وقاد إلى اختراع مفهوم أصيل عرف في تاريخ المعجمية العربية باسم: الألفاظ العربية الإسلامية.

لقد كان صوت فقه اللغة في نسخته التراثية العربية حاسماً في هذا المجال، وهو ما نجد علاماته في حديث ابن فارس اللغوي في الصاحبي عن الأسباب الإسلامية التي أدت إلى ظهور المواضع اللغوية في ميادين مختلفة.

وظل هذا الصوت مهيمناً على أدبيات فقه اللغة في تراث اللسانيين العرب القدامى، حتى السيوطي في كتابه: المزهري في علوم اللغة.

وجاء اللسانيون العرب المعاصرون والتقطوا ذلك الخيط، وأكدوه، وحشوا عليه، وزاده بسطاً وتفصيلاً.

وكان مما أسهمت به حركة التطوير التي أحدثها التصور الإسلامي على مستوى المعجم العربي النهوض بحقول الألفاظ الحضارية. وعرف العصر الحديث محاولات معجمية مستقلة، تفرغت لخدمة قطاعات كبيرة من الألفاظ الحضارية.

ومن هذه المحاولات المعجمية: (معجم) المسعف، للدكتور عبد العالم محمد القريدي، الذي صدر سنة ٢٠١٥م عن دار غريب، بالقاهرة.

يقول في تعريفه: "المسعف: معجم لغوي عصري يهتم بألفاظ الحضارة المعاصرة، وأسماء الآلات الحديثة".

(١) المعجم: انتمائه المعرفي / ومنهج ترتيب مداخله (بنيته الكبرى):

يبدو من فحص هذا المعجم أنه ينتمي إلى قطاع المعجمات شبه الموسوعية؛ نظرًا لعنايته بعدد من الألفاظ اللغوية المستحدثة الموزعة على محورين مركزيين، هما:
 أولاً: المفاهيم والتصورات الحديثة في مجالات وحقول معرفية كثيرة.
 ثانيًا: الأدوات والآلات والمخترعات المستحدثة المستعملة في ميادين عملية مختلفة.

يقول صاحب المعجم (ص ٨): "وقد كانت خطة هذا المعجم التركيز على إيراد ما استحدث من ألفاظ لمسميات حديثة، سواء التي تتعلق بالحضارة والمدنية المعاصرة؛ كبعض المفاهيم التي استجدت بالحياة المعاصرة، أو التي تتعلق بأسماء الآلات التقنية المخترعة بهذا العصر".

وقد توزعت ألفاظ هذا المعجم على حقول دلالية أو مجالات دلالية متنوعة، طالت المجالات العلمية التطبيقية؛ من طب وهندسة وتشبيد واتصالات وفيزياء وكيمياء، وحاسب آلي، وموسيقا، ومجالات أخرى إنسانية؛ كالتدريس والتدريب، ومفاهيم تنتمي إلى مجالات الفنون وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم السياسة... إلخ.

(٢) أما عن بنية المعجم الكبرى؛ فقد جاء تصميمه محتويًا على ما يلي:

أ- مقدمة المعجم / واجهة المعجم.

ب- جسم المعجم، ومادته (المداخل ومعلومات ما تحت المداخل).

ج- ملاحق المعجم.

د- قائمة مصادر المعجم.

(٢/ أ) كشفت مقدمة المعجم عن مجموعة من المعلومات الأساسية التي يلزم ظهورها،

من مثل:

أولاً: اسم المعجم، وهو: المسعف.

ثانيًا: الغاية من تصنيفه؛ وقد كشف عن تنوع في هذا السبيل غطى الهدف التعليمي، والإصلاح اللغوي، وفي ذلك يقول (ص ٧): "إن معجم: المسعف أقدمه... أملاً من خلاله إضافة لبنة جديدة في بناء التأليف المعجمي العربي المعاصر على طريق إصلاح اللغة

والنهوض بها، وراغبًا في أن يكون عاملاً مساعداً على طريق نشر العربية، وإشاعتها بين دارسيها في المجتمعات العربية، وراجياً من خلال ما احتواه من مادة لغوية مستحدثة إعادة الثقة لدى المتحدثين بالعربية".

ثالثاً: طبيعة المستعملين المستهدفين، وهو طلاب العربية، وعلى الرغم مما يبدو من وضوح تعبير (طلاب العربية) نظرياً، فإن مفهومه عملياً من خلال تحليل مادة مداخل المعجم يبدو أكثر غموضاً حتى يتسع ليعني كل مستعملي هذه اللغة!

رابعاً: طبيعة مادة المداخل المجموعة في المعجم، يقول (ص ٨): "وقد حرصت في هذا المعجم على إيراد الألفاظ العربية دون المعربة... إثباتاً لقدرة اللغة على النمو والتطور، وحتى تنتشر المقابلات العربية بين الناس".

خامساً: بيان منهج المعجم في: نوع الألفاظ الواردة فيه / ما التزم من ذكر المقابلات من عاميات ليبيا وبلدان المشرق العربي / وما التزم من أولوية ذكر ما أقرته المعاجم اللغوية، ثم ما وضعه علماء اللغة المعاصرون ممن عني بألفاظ الحضارة / ونظام ترتيب المداخل؛ ألفبائي جذري.

سادساً: الإشارة إلى بعض مصادره التي اعتمدها في جمع مادة مداخله.

وهذه المقدمة - مع ما احتوته من معلومات هي محل تقدير برامج صناعة واجهة المعجم في صناعة المعجم الحديث - أصحابها عدم التنظيم، وفاتها بيان طرق ترتيب المعلومات الواردة تحت المداخل، وأخلت بمعلومات إرشادات الاستعمال!

(٢/ب) أما عن نظام ترتيب المداخل، فقد بين المعجم في مقدمته أنها رتبت وفق النظام الألفبائي (أ؛ ب؛ ت؛ ث... إلخ) المتبع في المشرق العربي، مع رعاية جذور المداخل التي اشتقت منها؛ أي البدء بجذر المادة، ثم إيراد المدخل بصورته المستعملة بعد الجذر، عند تعدد المداخل تحت الجذر الواحد، يلجأ لترتيبها كيفما اتفق بصورة عشوائية، ففي المدخل (دور) (ص ٢٩) أورد تحت المداخل الفرعية المنضوية التالية (بترتيبها):

- الدارة: بيت فخم (فيلا).

- الدوارة: أداة يستخدمها المهندسون لعمل دوائر على الورق (فرجار/ بركار).

- الدوار: مرض يفقد الإنسان اتزانه، فيقع على الأض (الدوخة).

الدورة: مقدار ذبذبات البث الإذاعي (ميغاهيرست).

- المستديرة: ملتقى بشكل دائرة لعدة طرق (جزيرة دوران).

فالترام الترتيب الداخلي تحت الجذر كان يفرض أن يكون كما يلي: (الدائرة/ الدوار/ الدورة/ الدوارة/ المستديرة)! وهو ما لم يكن.

وهو ما يعني أن الترتيب الخارجي جاء منتظماً وفق الترتيب الألفبائي الجذري، وأن الترتيب الداخلي تحت كل جذر جاء عشوائياً، لا ينتظمه منهج أو نظام بعينه.

(٢/ج) أما عن ملاحق المعجم فقد صنع صاحب المعجم ملحفاً تعريفياً بمجامع اللغة العربية في البلدان العربية، ربما بسبب ما ذكره في المقدمة من التزام قراراتها في الألفاظ الحضارية.

وقد التزم صانع المعجم في هذا الملحق المعلومات التعريفية التالية:

١- اسم المجمع / سنة تأسيسه / مكان تأسيسه / نبذة عن أعضائه وبعض أهداف تأسيسه / ورئيسه.

(٢/د) أشار المعجم إلى مصادره مرتين؛ أولاًهما: في المقدمة عند حديثه عن أولويات ما اعتمده من ألفاظ أقرتها المجامع اللغوية، وعلماء اللغة ممن عنوا بجمع ألفاظ الحضارة في العصر الحديث. والأخرى: في القائمة التي صنعها في نهاية المعجم (ص ٧٥-٧٦)، وضمت مجموعة من المعجمات المعاصرة التي بدا منها نوع عناية بالألفاظ الحضارية المستحدثة، بالإضافة إلى عدد قليل من الدراسات اللسانية المعنية باللغة العربية في أطوارها المختلفة.

غير أنه لم يظهر لهذه القائمة أثر داخلي في توثيق المداخل؛ إذ انعدم أي نوع من التوثيق لمداخل المعجم، وهو أمر يمثل سلبية من السلبيات التي تقررها مبادئ صناعة المعجم الحديث.

(٢) البنية الصغرى لمعجم المسعف:

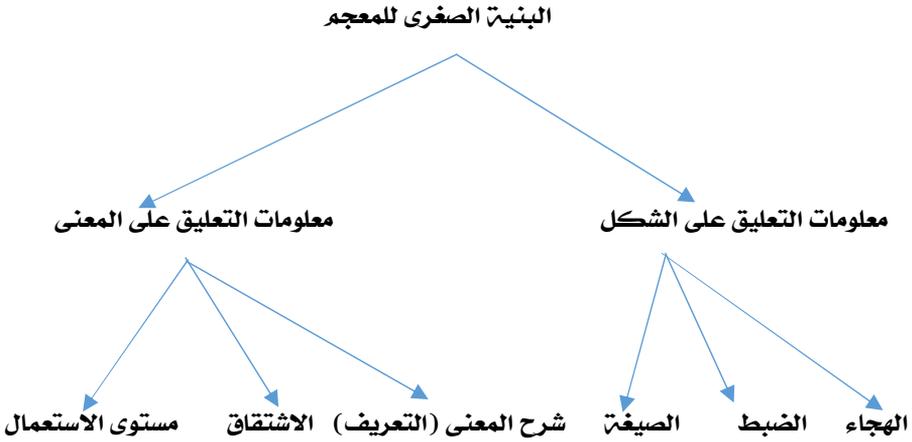
المقصود بالبنية الصغرى للمعجم ما يتوزع تحت المداخل من المعلومات تستهدف إضاعتها، وتنويرها.

وتقرر المعجمية الحديثة أن البنية الصغرى كيان يستوعب نوعين من المعلومات التي تسهدف التعليق على المداخل، وهما:

أ- معلومات التعليق على شكل المدخل.

ب- معلومات التعليق على معنى المدخل.

ويمكن بيانها في المخطوط التالي (المأخوذ من هارتمان في معجمه عن مصطلحية المعجمية):



وفي ما يلي بيان منهجية (المسعف) في بناء البنية الصغرى:

(٢/أ) معلومات التعليق على الشكل:

لم يعين صانع المعجم نوع معلومات التعليق على شكل المداخل في المقدمة التي صنعها لمعجمه، ولكن تحليل التعليقات على المداخل أظهر عناية خاصة بضبط المداخل أو الكلمات المشروحة. وقد استعمل المعجم طريقة الضبط بالقلم في الحدود الضيقة التي تسمح في أدنى صورها بتحصيل النطق الصحيح للألفاظ.

وقد تفاوتت طريقة ضبط الألفاظ، وتنوعت مستوياتها؛ استيعاباً بحروف المدخل، أو اكتفاءً ببعض حروف المدخل دون بعضها الآخر. وفي ما يلي بيان ذلك:

أولاً: ضبط حروف المدخل جميعاً (الضبط المستوعب):

جاء في باب الهمزة في مادة (ء ك ل) المدخل: الأكلة: (بفتح الهمزة والكاف واللام جميعاً). الحكمة (بكسر الحاء المهملة وتشديد الكاف المفتوحة): (أكزيبا).

وجاء في باب الباء في مادة (ب ث ث) المدخل: المبث: (بفتح الميم، وفتح الباء الموحدة التحتية، وتشديد الثاء المثناة): حجرة البث الإذاعي والتلفزيوني [أستوديو].

وجاء في باب العين في مادة (ع ن ف): العنيفة (بفتح العين المهملة والنون والفاء): مضخة بمحطات الوقود لجذب الوقود من الخزانات (طورينا).

ففي هذه الأمثلة يظهر حرص المعجم على ضبط حروف المدخل جميعاً، وهذا النمط من الضبط مهم جداً، يحقق عددًا من الوظائف الأساسية، من مثل:

أ- الوظيفة اللسانية: تحصيل النطق الصحيح للكلمات ولاسيما أنها مستحدثة.
ب- الوظيفة الاقتصادية: توفير الهدر الاقتصادي الذي ينشأ من غياب الضبط، ومتوالياته.

ج- الوظيفة التواصلية.

د- الوظيفة التعليمية، وتحسين التحصيل للألفاظ المستحدثة.

ثانياً: الضبط غير المستوعب لحروف المدخل (ضبط بعض الحروف دون بعض).

مثل هذا النمط من الضبط الصورة الغالبة لضبط المداخل، ولم يظهر معيار حاكم لتطبيقات هذا النمط.

ومن صور الشائعة في المعجم:

جاء في باب الحاء في مادة (ح ب ر): المحبرة: (بفتح الميم وسكون الحاء المهملة): قنينة الحبر (دواة).

وجاء في باب الدال في (د م ي): الدمية: (بتشديد الميم المضمومة والياء المثناة التحتية المفتوحة) - وسكت عن ضبط الميم بينهما!: ما يعد ليحل محل الإنسان عند تصوير بعض المناظر (بنبلة).

وجاء في باب اللام في مادة (ل ب ن): الملبنة: (بكسر الميم وسكون اللام) - وترك بقية الحروف: وعاء صغير، يقدم فيه اللبن عند تناوله.

ففي هذه الأمثلة لا تظهر معايير حاكمة لضبط ما ضبط من الحروف، ولا لما ترك منها بغير ضبط.

إن هذا الاضطراب لا شك مؤثر في تحصيل النطق الصحيح لعدد من الألفاظ، ولا سيما في ظل ما قرره صاحب المعجم من غربة اللفظ العربي، وانتشار استعمال اللغات الأعجمية، وفسو العاميات!

من جانب آخر، فقد غابت معلومات الهجاء والبنية الصرفية، واكتفى المعجم في باب التعليق على الشكل بما ظهر من نوعي الضبط.

صحيح أن بعض أشكال الضبط لبعض المداخل يمكن أن تسهم في تخمين نوع البنية الصرفية لعدد من الألفاظ، لكن ذلك سيظل مقصوراً على من له خبرة بالتصريف من مستعملي المعجم، وسيظل غير واضح في كثير من الأحيان، وقد ظهر في أوقات نادرة ذكر بعض المعلومات الصرفية؛ كذكر جموع بعض الألفاظ، كما في براغي، جمعا للبرغي، وهو المسار المولولب (ص ١٩).

ومن ثم فقد ظهر أمر التعليق على الشكل متراجعاً، لا يحقق الدرجة المناسبة مما ترجوه برامج بناء البنية الصغرى في صناعة المعجم الحديث.

(٢/ب) معلومات التعليق على المعنى:

تعيين صناعة المعجم الحديث للوفاء بهذا العنصر من عناصر البنية الصغرى للمعجم ثلاثة أنواع من المعلومات، هي:

أولاً: معلومات شرح المعنى، وتعريفه.

ثانياً: معلومات الاشتقاق والتأصيل اللغوي، بما أن العربية لغة اشتقاق يحمل الجذر فيها جرثومة المعنى وأصوله.

ثالثاً: مستوى الاستعمال، وهذا النوع من المعاجم التي اتبعت نظام الترتيب الألفبائي الجذري من أكثر المعاجم احتياجاً لخدمة مستوى الاستعمال؛ لأنه من الطبيعي أن يرد تحت

الجذر الواحد عدد متنوع من المداخل أو الألفاظ متنازعة الانتهاات المعرفية، المتوزعة على حقول مختلفة، يلزم معه وجود وسيلة للتفريق بين أنواعها المختلفة.

وقد اجتهد المعجم في شرح معاني الألفاظ المستحدثة، وكانت التعريفات المذكورة وافية - وفي كثير من الأحيان - بالكشف عن المعاني والدلالات، وقد جاء التصميم لمعلومات ما تحت المداخل كما يلي:

[جذر المادة اللغوية: المدخل المشروح؛ شرح معناه / تعريفه؛ اللفظ المكافئ له في العاميات].

وذكر المكافئ العامي في نهاية التعليق على الألفاظ أسهم - في حقيقة الأمر - في تنوير الدلالات والمعاني، وهو جزء أصيل من عمليات شرح المعنى في هذا المعجم، يعين على حسم المعاني المحصلة، وتوجيهها في الطريق الصحيحة.

وقد لجأ المعجم إلى توظيف طريقة أقرب إلى طريقة الشرح بالتعريف المحكم؛ أي اجتهد في جمع السمات الدلالية الفارقة المميزة للفظ من غيره. وهي طريقة مناسبة جداً تمثل هذا النوع من المعجمات.

وإن كان كثيراً ما يلزم إيراد مرادفات المدخل، ثم يأخذ في شرحها بالطريقة المذكورة.

وفي ما يلي أمثلة عملية كاشفة عما نقره:

- يقول المعجم (بيان حساب/ ص ٢٠): لائحة ترسل مع البضاعة لبيان كميتها، وثمانها، وأجرة نقلها [فاتورة].

ففي هذا التعليق على المعنى يظهر ما يلي:

أولاً: الشرح بالتعريف المحكم المستجمع لسمات اللفظ، أو مكوناته الدلالية، وهي (اللائحة/ المينة لكمية البضاعة وثمانها، وأجرة نقلها/ المكافئ العامي).

ثانياً: ذكر المكافئ العامي، وإن كان مزدوج الوظيفة؛ فإنه هنا أسهم في بيان المعنى وتقريب تصوره في الذهن.

- ويقول المعجم (الخزان/ ص ٢٧): الخزان: صندوق لحفظ الماء فوق البيوت، أو لحفظ الوقود، يركب على الآليات [تنك].

ففي هذا التعليق على المعنى يتضح ما يلي:

أولاً: الشرح بالتعريف المحكم الجامع للسمات الدلالية للكلمة، أو مكوناته الدلالية، وهي: (شكله (صندوق) / وظيفته: حفظ الماء / الوقود / موضع تثبيته: سطوح البيوت / الآليات).

ثانياً: المكافئ العامي المعين على تقريب تحصيل معناه (تنك).

ومن أمثلة الطريقة الأخرى التي تورد المترادفات ثم الشروح:

- يقول المعجم (س خ ن / ص ٣٥): المسخن، السخان: آلة لتسخين الماء بالحمامات.

- ويقول (ش و ي / ص ٣٩): المشواة، الشواية: أداة مغللة تحيط باللحم عندما يوضع

على الجمر.

ويبدو أن السبب وراء ذلك النمط من التعليق على المعنى، هو التنوع التصريفي لبعض

أسماء الآلات المشتقة في العربية، ووفرة الأوزان الصرفية في هذا الباب.

وقد لجأ المعجم في أحيان قليلة إلى الاكتفاء بشرح بعض الألفاظ بالترادف فقط، فيكون

المدخل بلفظه الفصيح، وشرحه بلفظ عامي متداول، كما في المدخل: غسل، بكسر الغين،

يقول المعجم (غ س ل / ص ٤٨): الغسل: الشامبو!

من جانب ثان، فإن التزام الترتيب الألفبائي الجذري قدم خدمة اشتقاقية، وإن كانت

الخدمة غير منصوص عليها، لكن وضع الجذر مدخلاً وتحت الألفاظ المشتقة منه، صنع نوعاً

من الربط الدلالي بحكم الترابط الاشتقاقي بينهما.

كما أن ذكر المكافئ العامي - في كثير من الأحيان - كاشف عن انتماء كثير من الألفاظ

للغات الأجنبية، ولاسيما الإيطالية بحكم العلاقات التاريخية الاستعمارية بين إيطاليا وليبيا،

التي تركت آثارها على المعجم الليبي المعاصر.

ومن جانب آخر، فقد ضم هذا المعجم عددًا كبيراً من الألفاظ الموزعة على مجالات

دلالية حضارية كثيرة، وهو ما كان يلزم معه العناية ببيان مستوى استعمال كل لفظ، وهو ما لم

يحدث بصورة قصدية منضبطة.

ولكن ثمة ما يمكن اعتماده لتعويض الغياب في هذه النقطة، وهو تأمل الأقوال الشارحة في التعريفات، أو ما يعرف بقيود التعريفات، فكثيراً ما تحتوي التعريفات على كلمات / قيود كاشفة عن المجال الدلالي للفظ المستعمل، وفي ما يلي تحليل لذلك:

جاء في المعجم (ر ص د / ص ٣٢): الراصد: مكان ترصد منه حركة الطائرات صعوداً وهبوطاً [رادار]. ففي هذا التعريف كلمات كاشفة عن المجال الدلالي الخاص بالمدخل (الراصد)، وهو المجال الجوي، ومجال الاتصالات.

وجاء في المعجم (ق ف ز / ص ٥٢): القفاز: لباس الكف من جلد أو غيره (قوانطو). ففي هذا التعريف استعمل لفظ: لباس الكف؛ ليكشف انتهاء المدخل إلى حقل الثياب، وهو حقل مركزي من حقول ألفاظ الحضارة.

وجاء في المعجم (م ح ج / ص ٥٩): المحواج: جهاز تسجيل حركة الأحشاء وغيرها (كيمو جراف). ففي هذا الشرح بيان لانتهاء المدخل إلى مجال علم الأشعة، وهو ما يستفاد من الكلمات الشارحة.

صحيح أن القارئ يجد قدرًا من الصعوبة تتفاوت من مدخل لآخر، ليتمكن من التوصل إلى المجال الدلالي الذي يستعمل فيه هذا المدخل أو ذلك، لكن تعيين موضع بعينه للنص على مستوى الاستعمال يعد وسيلة لازمة وهادفة على طريق تحصيل دلالات الألفاظ المستحدثة بوجه خاص.

خاتمة:

إن هذا المعجم عند التقييم النهائي يجمع عددًا من الخصائص الإيجابية، من مثل:

١- حلقة جيدة، من حيث المبدأ، على طريق خدمة حقول ألفاظ الحضارة، يصنع تراكمًا إلى جوار المحاولات السابقة التي اضطلع بها نفر من المعجميين المعاصرين.

٢- مثلت العناية بذكر المكافئات العامية / والأعجمية للمداخل العربية خطوة جيدة على طريق ترسيخ الدلالات، ووضوحها في الذهنية العربية المعاصرة.

٣- العناية بشروح المعنى بطريقة واضحة وافية إلى حد كبير.

ولكنه مع ذلك تورط في عدد من المآخذ، يرجى استدراكها في ما بعد، من مثل:

- ١- تراجع توظيف مبادئ صناعة المعجم الحديث على مستوى صناعة واجهة المعجم (المقدمة)، ولاسيما ما يتعلق بإرشادات الاستعمال، والسكوت عن منهجية ترتيب معلومات البنية الصغرى.
 - ٢- تراجع العناية بمعلومات التعليق على الشكل، مع أهميتها البالغة في معجم يدعي رعايته لألفاظ المستحدثات الحضارية.
 - ٣- حاجة المعجم لصناعة ملاحق تصنيفية للحقول الحضارية للألفاظ، بحيث تجمع ألفاظ كل حقل حضاري على حدة.
 - ٤- غياب الصور والرسوم عن تعريفات المداخل شكل نقطة ضعف ظاهرة.
 - ٥- غياب التوثيق أضر بحجم ما يمكن استثماره من المعجم، ولاسيما على مستوى دراسات التأصيل اللغوي.
- إن المرجو في المستقبل أن تتقدم صناعة المعجمات التي ترعى جوانب جديدة من قطاعات الألفاظ التي لم تخدم من قبل، وفق أسس علمية منضبطة.

٣ / ١

معجم الدخيل في العامية المصرية
الألفاظ وأسماء الأعلام والألقاب المصرية
مراجعة نقدية



١ - مدخل: في البحث عن الأصول:

يمثل درس التأصيل اللغوي فرعاً عريقاً من فروع دراسة متن اللغة بوجه عام، وقد عرف الدرس اللغوي في التراث العربي جهوداً ممتازة في هذا الحقل لأغراض دينية ومعرفية معاً.

أولاً: معاجم المعربات المستقلة التي انشغلت ببيان ما دخل متن العربية من كلمات هاجرت من لغاتها، وسكنت بنية اللسان العربي؛ وللجواليقي (ت ٥٤٠هـ)، والسيوطي (ت ٩١١هـ)، والبشبيشي، والشهاب الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ) إسهام معروف في هذا الميدان.

ثانياً: كتب تأصيل تعريب الكلمات الأجنبية في العربية، ولأحمد بن كمال باشا (ت ٩٤٠هـ) سهمة معلنة في هذا الباب.

ثالثاً: معاجم اللغة الموسعة التي اعتنت بجمع الكلمات التي يستعملها أهل العربية، وثمة تفاوت في درجات العناية بهذا المنحى، وإن بدت في المعجمات المتأخرة درجة العناية به أكثر. وقد التقط عدد من المعاصرين هذا المنجز، وبنوا عليه، ومن شاع عنه عناية بتأصيل الكلمات في العامية المصرية منهم: حسن توفيق العدل (ت ١٣٢٢هـ)، وحفني ناصف (ت ١٣٣٨هـ)، ومحمد علي الدسوقي (ت ١٣٥٧هـ)، والدكتور أحمد عيسى (١٣٦٥هـ)، وأحمد رضا العاملي (١٣٧٢هـ)، والدكتور عبد المنعم سيد عبد العال، والدكتور أحمد السيد سليمان، وغيرهم.

وهذه القوائم الانتقائية تثبت درجة ظاهرة من درجات العناية بتأصيل ما ينتقل لبنية اللسان العربي في الاستعمالات اليومية والدارجة.

وهي عناية تصب في باب الكشف عن الجهود المتواصلة لخدمة اللسان العربي، وبيان أصول الكلمات التي تروج على ألسنة مستعمليها، وهو نوع دراسة مهم جداً؛ لأغراض لغوية وغير لغوية، تتجاوز اللغوي إلى غيره من الحقول الاجتماعية والتاريخية والحضارية معاً!

ويأتي كتاب الدكتور عبد الوهاب علوب (معجم الدخيل في العامية المصرية)؛ ليمثل حلقة في سلسلة طويلة متتابعة، لا يتصور انقطاعها؛ بحكم مرونة هذه اللغة، وتداخلاتها.

(٢) معجم الدخيل في العامية المصرية :

بناء الكتاب، والانتماء المعرفي:

٢.١. بناء الكتاب:

جاء المعجم مفتتحاً بمقدمة (٥ - ٢٠)، تناولت بعضاً من تأريخ العناية بالتأصيل للكلمة العربية في العصر الحديث، وهو نوع تأريخ لصيق الصلة بتخصص المصنف (الدكتور عبد الوهاب علوب) في اللغات الشرقية في الأصل، بالإضافة إلى تناول بعض ملامح تاريخ دخول الدخيل إلى العامية المصرية من اللغات المختلفة.

ثم ضم المعجم خمساً وعشرين باباً، مرتباً على حروف المعجم وفق الترتيب الألفبائي المشرقي: أ؛ ب؛ ت؛ ث؛ الخ.

وقد نقص من المعجم أبواب لثلاثة حروف هي: ذ؛ ض؛ ظ، لم يورد عليها أمثلة للدخيل.

وقد ضم المعجم الكلمات التالية:

- أباجورة/ أباليك/ أبريق/ أبعدية/ أبلكاشة/ أبله/ أبليك/ أبوكاتو/ أبيه/ إتسجني/
إتير / إتيكيت/ أتيليه/ أجزخانة/ أجزاخانجي/ أجزه/ أجزجي/ أجنده/ اختيار /
أخطبوط/ أراجوز/ أردغانة/ أزيز/ أرسلان/ أرشيف/ أرناءوطي/ أرنس/ أرءوش/
أراميدان/ أرمه / إزبتالية/ إسبتالية/ أزبكية/ إستاذ/ أستاذار/ أستاذ/ الأستاذة/ أستك/
أستكة/ أستوديو/ أستيكه/ إسحاق/ إسرائيل/ إسطمية/ أسطوانة/ أسطي/ أسفلت/
إسماعيل/ أسمهان/ أشكناز/ أصلان/ أغا/ أفرنجي/ أفسايد/ أفندي/ أفوره/ أفيز/
أقطاي/ أكروبات/ إكسدام/ أكسدة/ إكسرة/ إكسوار/ أكلاشيه/ أكنجي/ الأجرسون/
الأجة/ الأضيش/ الأطة/ آلب/ إلجي/ ألسطة/ اللمي/ ألهاظ/ ألمظية/ إلبايت/ أليط/

أمور/ أناناس/ أناهيد/ أنباشي/ أنتريه/ أنتيخانة/ أنتيكة/ أنجة/ إنجي/ أنشطة/
 إنكشاري/ إنكل/ أوبرا/ أوتيل/ أورطة/ أورمان/ أوضة/ أوغلي/ أوفر/ أوفرتايم/
 أوفرول/ أونباش/ أونطجي/ أونطة/ أيبك (١٠٣ مدخل): بابور/ باتيناج/ بؤجة/ بابيون/
 باجور/ بار/ بارفان/ بارة/ باروكة/ بازار/ باس/ (بيوس) باسبور/ باشا/ باش شاويش/
 باصي (بياصي) باغة/ باكتة/ باكم/ باكيزة/ باكيناز/ باكينام/ بازار/ بالطو/ باللو/ بالوظة/
 بانجو/ بانيو/ بترينة/ بخشوانجي/ بدال/ بدرون/ بدشاويش/ برادي/ برافوا/ بربري/
 بربريز/ برتيتة/ برجل/ برداية/ بردقوش/ برده/ يرويس/ برش/ برفين/ بركات/ برلمان/
 برلنت/ برلنتي/ برمچ/ برمجة/ برنامچ/ برنجي/ برتستو/ بروفة/ بريانتين/ بري/ بريد/
 بريزة/ بريمو/ بريه/ بس/ بستان/ بيستر (بسترة) / بستليا/ بستنة/ بسرية/ بسطة/ بسطة/
 بسطجي/ بسطرمة/ بسكوت (بسكويت) / بشبوري/ بش شاويش/ بشلق/ بشويش/
 بشكارا/ بشكور/ بشكير/ بشلة/ بشكاتب/ بؤسماط/ بشمهندش/ بصمة/ بصمجي/
 بطارية/ بطاس/ بطيريك/ بطيركية/ بعبع/ بغاشة/ بغدولي/ بغددة/ بغتة/ بقيق/
 بقشيش/ بكالوريا/ بكباشي/ بكلة/ بلاتوه/ بلاج/ بلاستك/ بلانة/ بلتم/ بلطة/ بيلف/
 بلف/ بلنتي/ بلك/ بلكونة/ بلوك/ بلوييف/ بلوكاين/ بلونة/ بليد/ بمبة/ بمبة قادن/
 بمبي/ بنج/ بندق/ بنزايون/ بنزهير/ بنزين/ بنسة/ بنسة/ بنسيون/ بنش/ بنط/
 بنطة/ بنطلون/ بنك/ بنوار/ بهادر/ بهجت/ بهروز/ بهلوان/ بهجي/ بودرة/ بور/ بوري/
 بوز/ بوسة/ بوط/ بوطة/ بوفيه/ بولاد/ بولاق/ بوكس/ بولمان/ بوليصة/ بونبوني/ بوية/
 بيادة/ بيبة/ بيجامة/ ييجوم/ بيدزة/ بيرقدار/ بيسين/ بيشة/ بيه (١٦٣).

تابلوه/ تانت/ تاير/ تحت/ تختروان/ تحتة/ تريزة/ ترزي/ ترسكل/ ترسنة/ ترسو/
 ترسينة/ ترلة/ ترماي/ ترمبيطة/ ترنج/ ترنجيلة/ ترياق/ تستيف/ تشفير/ تفتاه/ تفكش/
 تفيدة/ تكتكة/ تكس/ تكسجي/ تكنيك/ تلتوار/ تلغراف/ تلفون/ تليفزيون/ تلفون/
 تمباك/ تمبكشية/ تمرجي/ تملي/ تمبل/ تنت/ تنترليه/ تنده/ تنر/ تنشنة/ تنك/ تنور/ توالت/
 توت/ تورتة/ تورلي/ توفى/ تياترو/ تيزة (٥٠) ثروت (١).

- جاز/ جاشنكير/ جاك/ جاكنة/ جالة/ جامكية/ جاموسة/ جانتى/ جاويش/ جبه
 خانه/ جس/ جراج/ جرافيت/ جرانيت/ جراية/ جرد/ جردل/ جرسون/ جرنال/

جرنان/ جرنالجي/ جريتلي/ جزافي/ جزر/ جزماتي/ جزمة/ حص/ جفت/ جعالك/
 جلالا/ جلاب/ جلاتيه/ جلاس/ جلبهار/ جلبه/ جلسرين/ جلسن/ جلفدان/ جلفار/
 جلة/ جمانه/ جمباز/ جمدانه/ جمرج/ جمرک/ جمه/ جنات/ جنایه/ جنتل/ جنتله/ جندول/
 جنزير/ جنشة/ جنی/ جنیه/ چهار/ جهجهوتي/ جوزا/ جوزة/ حدقة/ جوکندار/ جون/
 جي/ جيتار/ جيلاتي/ حيلان/ جيهان. (٦٧) حافة/ حرمک/ حسن شاه/ حشمت/
 حکمت/ حکمدار. (١١)- خارطة/ خام/ خازندار/ خان/ خانکه/ خديوي/ خردوات/
 خردواتي/ خردة/ خرسيس/ خزندار/ خزنة/ خستکه/ خشاف/ خن/ خندأ/ خواجة/
 خوجه/ خوده/ خورشيد/ خوشقدم. (٢٢) داده/ يدادي/ دانق/ دانه/ دايه/ دباره/ دبش/
 دبل/ دُبُور/ ددبان/ دراز/ دربين/ درجي/ دردشة/ دردي/ درقاعة/ درک/ درويش/
 دسته/ دوش/ دوشک/ دوغري/ دوکار/ دولاب/ دولت/ دولتو/ دويدار/ ديواجه/
 ديکوليتيه. (٧٦) رابش/ راديو/ رأفت/ راوند/ روتوش/ رتینه/ رزمه/ رستأه/ رستم/
 رسلان/ رسيفر/ فعتلو/ رنجه/ روان/ روبات/ روتين/ روح/ روش/ روماتيزم/
 ريچيسير. (٢٠) زاکته/ زبان/ زرجن/ زرچينه/ زرد/ مزركش/ زفت/ زلاييه/ زمالك/
 زمبلك/ زمبه/ زبور/ زنبيل/ ززانة/ رنجرة/ رنهار/ زورق/ زؤاء (زقاق) زيبق. (١٩)
 سادة/ ساذج/ ساطور/ سندوتش/ سبت/ سبداج/ سبرتو/ سبرتايه/ سبيط/ ستف/
 ستوک/ سخام/ سخطة/ سراج/ سراي/ سرايه/ سرجه/ سرداب/ سرنجه/ سروال/
 سروخ/ سطب/ سعادات/ سعادتو/ سطل/ إسطمبه/ سفرجي/ سفرة/ سفين/ سگر/
 سلحدار/ سلحليک/ سلخانة/ سلطة/ سلمک/ سلنسيه/ سافور/ سمباتيک/ سمبک/
 سمبکه/ سمبوسه/ سمسار/ سمسرة/ سمکري/ سموکن/ سنافور/ سنجق/ سنجه/
 سنکار/ سنکرة/ سنجرة/ سفرة/ سنيورة/ سه/ سوارس/ سواري/ سوجرا/ سوء
 (سوق)/ سوئي (سوقي)/ يتسوق/ سوکه (سوک)/ سيجار (سيجارة)/ سيجورتاه/ سي
 دي/ سيديهات/ سيرج/ سيس/ سيف/ سيما/ سنه/ سنائي/ سيناريو. (٧٣) شابونيز/
 شادر/ شاذج/ شارع/ شاسيه/ شافکي/ شاموا/ شاهنده/ شاهيناز/ شايوش/ شبکش/
 شينيام/ شراب/ شربات/ شربتلي/ شربونه/ شرز/ شرفش/ شرموطه/ شش طاووق/

شش کباب / ششخانه / ششم / ششمة / ششني / شطانوف / شطب / شطرنج / شفاخانه /
شفرة / شفعات / شفلک / شکاریه / شکاری / شکلمه / شکوش / شکیب / شلن /
شماشرجی / شمردل / شمبر / شمعدان / شمندوفر / شميز / شندي / شنطة / شنیشه /
شهیندر / شهپور / شهرزاد / شهریار / شرار / شور / شوینر / شوبش / شوربجی / شاط /
شوپة / شوکت / شوپ / شوپکار / شیک / شیک / شیاکه / شیره / شیرین / شیزلزنج /
شیش / شیش / شیشه / ششینی / شیک / شینون. (۷۳) صاروخ / صاغ / صافیناز / صالة /
صالون / صباب / صرفیناز / صرمة / صفوت / صلصلة / صلیب / صلیبیه / مصلوب /
صنبور / صنجة / صندل / صینیة / صهبجیة / صولجان. (۲۰) طازة / طاسة / طاطورة /
طاقة / طبنجة / طربوش / طرابیزة / طرة / طرشی / طرشجی / طرطة / طرنش / طز / طزلک /
طشت / طمبور / طمبوشة / طوبخانه / طوبجی / طن. (۲۱) عالمة / عجة / عدلات /
عربجی / عربون / عزت / عزتلو / عسکری / عصمت / عطشجی / عطوفتلو / عطیات /
عفارم / عفت / عمو / عنایات / عنایت / عنتبلی. (۱۸) غاز / غربال / غلیون. (۳) فابریکه /
یفبرک / فاتورة / فاروز / فازه / فالصو / فالیزة / فايظ / فتیل / فرحات / فرخنده / فردوس /
فرسة / (یفرس) / فرسة / فرفر / فرقاطة / یفرکش / فرمان / فرمة / فرمط / فرنار / فرنوطة /
فرود / فریسکا / فزبة / فزدوء (فزدق) / فزدي (فزدقي) / فستان / فشنک / فلان / فلتر /
فلتو / فلغل / فلنکه / فنجال / فنجری / فنطزیة / فهرس / فوتو عرفیا / فوتیه / فولاذ / فیروز /
نیروز / فیشة / فیلا / فیلم / فیلیه. (۴۷) قادن / قالب (آلب) / قبطان / قبانی / قطیفة /
قراجوز / قراقوش / قرامیدان / قرینة / قرص / قرمزی / قرمة / قرنی / قزاقسمت / قسیس /
قشلان / قطران / قلاووظ / قلنونیة / قمره / قمشة / قمیص / قنبلة / قندیل / قنطرة / قول /
قولون / قومسیون / قومسونجی / قهوة / قهوگی. (۳۲) کابتن / کابرتا / کابینه / کابینه /
کادر / کارو / کاش / کاکة / کانیتن / کانون / کافیار / کامیرا / کاوتش / کباریه / کبایة /
کبانیه / کبسونه / کبشة / کبة / کت / کتاوت / کدیسة / کرایة / کبراتییر / کربون / کرباناتو /
کرت / کرتن / کرتة / کرتة / کرتون / کرتونه / کرخانه / کردوان / کردون / کرسی / کرف /
کرفته / کرکم / کزرونة / کرکم / کرکون / کرملة / کرنفال / کرواسات / کروکی / کریزة /

كريمة/ كزبرة/ كزرلة/ كزرونة/ كرلك/ كستبان/ كسرونة/ كسكتة/ كش/ كشتبان/
كشري/ كشكشة/ مكشكش/ كشك/ كشكول/ كفتة/ كفر/ كلت/ كلسون/ كلفتة/
كلور/ كله/ كلیم/ كمان/ كمبليزون/ كمنجة/ كمبوشة/ كمبينة/ كمبيوتر/ كمر/ كمره/
كمريرة/ كمسرى/ كمنجة/ كمنار/ كنتراتو/ كنجي/ كنز/ كنية/ كنيف/ كهربا/ كهربائي/
يكهرب/ كهربة/ كهنة/ يكهن/ كوافير/ كوبري/ كوتش/ كوتشينة/ كود/ كورنیش/
كورنیشه/ كوز/ كوزا/ كوشة/ كوسة/ كوفريه/ كولة/ كومسيونجي/ كومنده/ كومندان/
كومودينو/ كيتي/ كيك. (١٥٤) لاطوعلي/ لبلب/ لجام/ يلجم/ لط/ لمبة/ لندة/ لنشون/
لنية/ كوتریه/ لوكاندة/ لولب/ لي. (١٣) مارجرس/ ماركة/ مازورة/ ماسورة/ ماشة/
مافيا/ مأكسد/ مانيكير/ ماهي/ ماهيتاب/ ماهينور/ ماهية/ مبتديان/ مبستر/ متستف/
متر/ متر/ متردوتيل/ متشين/ محبات/ محستك/ مدادية/ مدام/ مدحت/ مدلية/
مدموزيل/ مرفت/ مري جرجس/ مزة/ مزاب/ مزز/ زمزيل/ مشاط/ مشق/ مطن/
معلقة/ مغربل/ مقصدار/ مكاري/ مكرفون/ مكرونة/ كنة/ مكنجي/ مكانيكي/
مكوجي/ ملتم/ مليم/ منخوليا/ منديل/ مهتاب/ مهر/ مهردار/ مهرجان/ مهشيد/
مههاز/ مهمفخانة/ مهندار/ مهندز/ مهندس/ مهورار/ مهورار/ مهوش/ مهييار/ موبایل/
موبيليا/ موتوسيكل/ مورستان/ موسكي/ موس/ مي/ ميز. (٨١) ناريمان/ نازك/ نازلي/
ناظك/ ناي/ نبطش/ نبوليا/ نجاد/ نجار/ نجدت/ نرجس/ نرجيل/ نرمين/ نشأت/
نشان/ ينشن/ نشنجي/ نشنكان/ نصرت/ نظاجة/ نفتالين/ نقشبندي/ نقطة/ نكتة/ نكله/
نمكي/ نهال/ نوبطشي/ نوجة/ نورهان/ نوزاد/ نول/ نيفين/ نيازي/ نيروز/ نيكل/ نينة/
نيون. (٣٩) هارده/ هامبورجر/ هانزاده/ هانم/ هيبك/ هجص/ هلوسة/ همت/ هنج/
هناجر/ هندام/ هندزة/ هندسة/ هنش/ هودج/ هويدا. (١٦) وابور/ وجاق/ وجنات/
وردربوبه/ ورديان/ وردية/ ورشة/ ورنيش/ وزير/ وشوشة/ ونش. (١٢) يايلا/ يايظ/
ياما/ يادر/ يدكي/ يزدي/ يشمك/ يغمه/ يك/ يلدز/ يللا/ يلمظ/ يمك/ يمكخانه/
يواش يواش/ يوزباشي/ يويو (١٧).

وقد بلغت كثافة مداخل هذا المعجم ما يقرب من واحد وخمسين ومئة وألف مدخل، رتبت جميعاً وفق الترتيب الهجائي الألفبائي الشرقي، الذي يراعي الكلمة تامة كما ينطقها الناطقون بها.

ومع ذلك فقد وقع المعجم في كثير من الاضطراب في الترتيب، وكانت أظهر علامات هذا الاضطراب في نظام ترتيبه، ماثلة في ما يلي:

أولاً: ورود مداخل في غير ترتيبها الهجائي من مثل ورود المداخل التالية: أزيز وبعدها إرسال! واستتالية وبعدها أزبكية! وغير ذلك كثير جداً.

ثانياً: ورود مداخل في صورة أفعال مضارعة مبدوءة بالياء التي للمضارعة في غير أبوابها، ولعله كان يقصد إسقاط الياء في الاعتبار الترتيبي.

ثالثاً: اعتبار حرف الألف المدّهمة فقط!

رابعاً: اعتبار الحرف المضعف بمثابة غير المضعف في الترتيب.

٢.ب. الانتماء المعرفي للكتاب:

يقع هذا الكتاب - ابتداءً وفق تصنيف صاحبه - في الصميم من الأعمال المعجمية، فهو معجم للدخيل في العامية المصرية.

وهو بهذا امتداد معتبر لقائمة طويلة صنعها المعاصرون للعناية بجمع الألفاظ الأجنبية والدخيلة في العامية المعاصرة في مصر، سبق الإشارة إلى بعض منها.

والكتاب مع ذلك صالح لأن ينتمي إلى عدد آخر من الانتماءات المعرفية، من مثل:

أولاً: دراسات التأصيل اللغوي:

لقد كان واحداً من أهداف صاحب هذا المعجم، هو إرادته الكشف عن أصول الكلمات التي أوردها في معجمه، وبيان التحولات التي أصابتها في رحلة هجرتها إلى المعجم العربي من لغاتها الأصلية.

وقد حرص صاحب المعجم في المقدمة على بيان طرق سفر الكلمات الدخيلة إلى العامية المصرية، والأسباب والعوامل التي مكنتها من الاستقرار فيها، فقرر أن هجرة الدخيل إلى العامية المصرية، كان سببه ما يلي:

أ- التأثير الثقافي المتبادل بين الثقافة المصرية والثقافتين التركية والفارسية؛ بسبب العلاقات التاريخية والحضارية والدينية معاً.

ب- التأثير السياسي الذي جمع بين المصريين والأترك فترة زمنية طويلة في أثناء الخلافة العثمانية، وانصواء مصر تحتها.

ج- العلاقات الحضارية بين مصر وأوروبا، وخضوع مصر للاحتلال الفرنسي والإنجليزي.

د- تأثير البعثات في لغة النخبة المصرية في فترات كثيرة من التاريخ المعاصر.

هـ- أثر وسائل الإعلام، وسرعة استجابته لسد الفجوات التي تنشأ بسبب الفيض التقني الحديث الذي يرد من الغرب.

و- تراجع المنجز المصري في مجالات المستحدثات الحضارية!

والدكتور عبد الوهاب علوبة على وعي بطبيعة هذا الانتفاء المعرفي، وهو الوعي الذي يكشف عنه قوله (ص ٥): "هدفنا في هذا العمل تأصيل الدخيل الذي كان متداولاً، ولا يزال في مصر".

ثم يعود فيقرر: "ونتناول في عملنا هذا كثرة من الألفاظ المتداولة في مصر الحديثة من أسماء أعلام وألقاب وأماكن وتعبيرات متداولة على لسان المصريين، مع ردها إلى أصولها في اللغات المأخوذة منها، مع بيان ما طرأ عليها من تغيرات تتفق وبنيتها الصوتية الجديدة".

ثانياً: دراسات التاريخ الاجتماعي والاقتصادي:

يصلح هذا المعجم أن يكون واحداً من المصادر الثانوية في مجال دراسة التاريخ الاجتماعي، الذي صحب عددًا من الظواهر التي نتجت عن أثر المبعوثين إلى أوروبا بعد عودتهم إلى المجتمع المصري، وعن أثر ممارسات الاحتلال الأجنبي في التركيبة الاجتماعية لمجموع السكان.

فضلاً عن أنه يصلح مصدرًا ثانويًا في مجال دراسة الأوضاع الاقتصادية للمصريين، من خلال فحص ما كان يستورده المصريون تعيينًا، وبيان أنواعه، وتقدير قيمته الاقتصادية، وتأثير ذلك على السلوك الاجتماعي للمصريين.

ثالثاً: دراسات التاريخ السياسي والعسكري:

ضمت قائمة المدخل التي جاءت في هذا المعجم عددًا من الألفاظ التي تنتمي إلى الحقول السياسية والإدارية والعسكرية، تسربت إلى العامية المصرية بتأثير التداخل الذي حدث بين المصريين وطوائف من أبناء اللغات الأخرى؛ كالفرس والترک والفرنسيين والإنجليز، إن بسبب ثقافي وديني، وإن بسبب سياسي وعسكري.

وهو ما يجعل هذا المعجم مصدرًا من المصادر الثانوية في ميدان دراسة التاريخ السياسي والإداري والعسكري لفترات من تاريخ المصريين الحديث والمعاصر.

رابعاً: دراسات التاريخ الحضاري:

يعد معجم الدخيل في العامية المصرية مصدرًا أصيلاً لدراسات التاريخ الحضاري لمصر في العصر الحديث، وفحصه كاشف عن حدود التطور الذي أصاب حياة المصريين في مناطق متنوعة من خريطة عيشهم، طالت المجالات التالية:

- أ- مجال الملابس والثياب والعطور.
- ب- مجال الأثاث المنزلي والمكتبي.
- ج- مجال التصنيع، والتشييد والبناء.
- د- مجال الفنون، والموسيقا.
- هـ- مجال الأطعمة والمشروبات.
- و- مجال الطب والتمريض والأدوية.
- ز- مجال الحرب، والأسلحة.
- ح- مجال الإدارة، والتعليم.
- ط- مجال الأسماء والأعلام والألقاب.

وهذا النقل الذي أصاب الحياة المصرية في كثير من مجالات الحياة الحضارية يدل على طبيعة استجابة المجتمع المصري للتحديث، وقبول أنماط الحياة الحديثة في المجالات المادية ومستحدثات الحضارة، من دون انسحاب ذلك النقل على التأثير السلبي على الجانب المعنوي والأخلاقي المتعلق بأبعاد هوية الشخصية المصرية.

٣. معجم الدخيل في العامية المصرية:

مقالة في البنيتين الكبرى والصغرى:

(١.٣) البنية الكبرى للمعجم:

٣.١.١ أ:

كان مما انشغل به الدكتور عبد الوهاب علوب في المقدمة التي صنعها لمعجمه (معجم الدخيل في العامية المصرية) إشارته إلى طريقة ترتيب المداخل، وهو الترتيب الذي جاء وفق النظام الهجائي الألفبائي الذي يراعي منطوق الألفاظ، من دون اعتبار لمفهوم الجذر root، وهو وعي جيد؛ ذلك أن مفهوم الجذر اللغوي وتطبيقاته المعجمية صالح لنوع الألفاظ العربية، وليس الدخيلة، والمفهوم الصالح للتطبيق هو مفهوم الجذع stem، الذي تتجلى بعض تطبيقاته في ترتيب الألفاظ وفق أشكالها النهائية في الاستعمال المعاصر في العامية المصرية.

يقول (ص ١٥): "وفي ترتيبنا الأسماء والألقاب في البحث اتبعنا ترتيباً أبجدياً حسب الحرف الأول من اللفظ بصورته الكاملة والمتداولة".

وقد سبق أن وقع نوع من عدم الدقة في ترتيب المداخل وفق هذه المنهجية، التي رتب الألفاظ وفق الحروف الأول من كل لفظة، تمثلت في ما يلي:

أولاً: وضع عدد من المداخل في غير موضعها المتوقع تبعاً للحرف الثاني مع الأول، وهو الترتيب الذي بدا معتبراً في ترتيب مداخل المعجم كاملة.

ومن أمثلة ما جاء في غير موضعه من المداخل:

أزير / استبدالية / أقطاي / ألب / بؤسماط / سندوتش - ولو جاء رسمها: ساندوتش لاستقام وضعها في موضعها - سبرتاي / سبيط.

ثانياً: وضع عدد من المداخل في صيغة الفعل المضارع، من دون اعتبار لحرف المضارعة (الياء)، ولو أنه جاء بالفعل في صيغة الماضي لاستقام له الترتيب.

ثالثاً: عد اعتبار المد بالألف، ومعاملته معاملة الهمزة من دون تنبيه على ذلك.

رابعًا: معاملة الهمزة المضمومة - في مثل: بؤسماط / زؤاء - معاملة الواو، وهو نوع خضوع للرسم الكتابي، الذي ظن معه أن الحرف واو، والصواب أن توضع في باب الباء والهمزة والزاء والهمزة على الترتيب، أو في بابي الباء والقاف والزاء والقاف، على اعتبار أن الهمزة متحولة عنها، مع التنبيه على ذلك في المقدمة.

هذا في ما يتعلق بترتيب المداخل.

(١.٣. ب) مقدمة المعجم: فقد تضمنت ما يلي:

أولًا: هدف المعجم: وهو تأصيل الدخيل المتداول في العامية المصرية.

ثانيًا: مسالك الدخيل إلى العامية المصرية من اللغات الفارسية والتركية والفرنسية والإنجليزية وغيرها، وبيان العوامل التي شجعت هجرة هذه الألفاظ إلى العامية المصرية.

رابعًا: بيان قيمة التشجيع في مقام إنتاج العلم باللغة الوطنية.

وهذه المقدمة - أو ما يعرف في باب البنية الكبرى باسم واجهة المعجم format matter - أوردت عددًا مما ينبغي أن تنشغل به مقدمات المعجمات.

على أن هذه المقدمة لم تذكر بعضًا مما يذكره علماء المعجمية في برامج صناعة المقدمة، يمكن إجمالها في النقاط التالية:

أ- خلو المقدمة من بيان إرشادات الاستعمال users' guide.

ب- خلو المقدمة من معلومات حول طبيعة العربية وتاريخها وبنيتها.

ج- خلو المعجم من بيان أسلوب جمع مادته.

د- خلو المعجم من بيان مصادر المادة، وأنواع هذه المصادر.

هـ- خلو المعجم من وضع قائمة باللغات الأجنبية التي أمدت العامية المصرية بما احتاجته من الدخيل.

(٢،٣) البنية الصغرى للمعجم:

استقر استعمال مفهوم البنية الصغرى للمعجم في المعجمية مصطلحًا على ما يضعه صانع المعجم من معلومات تحت المدخل، تتوزع على نوعين جامعين:

أ- معلومات التعليق على الشكل: (الهجاء/ والضبط/ وبنية المدخل).

ب- معلومات التعليق على المعنى: (التعريف/ شخصية الكلمة واشتقاقها / مستوى الاستعمال). وهذا التخطيط الذي رعاها هارتمان في معجمه لمصطلحات المعجمية ص ٩٤ = (Dictionary of Lexicography, London an New York, 1994, p: 94)

لقد اعتنى الدكتور عبد الوهاب علوب بمجموعة من معلومات البنية الصغرى لمعجمه، صح أنها لم ترد وفق منهجية ثابتة مستقرة ومطردة. وفي ما يلي استعراض لعدد من الأمثلة التي تكشف عما أصاب تطبيقات البنية الصغرى في معجمه:

• يقول في التعليق على المدخل (بانيو): ص ٥٠: "بانيو: وعاء الاستحمام، وهو من اللفظ التركي: banyo (حمام)، ويجمع في المصطلح في مصر بصيغة: بانيوهات؛ حيث يضيف المصريون هاءً للوقاية بين حرفي الزلاقة الواو والألف".

ففي هذا التعليق عناية بالمعلومات التالية:

أ- بيان المعنى في الاستعمال المصري المعاصر: وعاء الاستحمام.

ب- بيان الأصل الذي هاجر منه اللفظ، وهو التركية مع بيان معناه فيها.

ج- بيان بعض المعلومات الصرفية؛ كجمع الصيغة في العربية، ومحاولة تفسير التحولات التي وقعت في رحلة الهجرة.

وكما نرى فإن هذه المعلومات تتوزع على نوعي المعلومات التي تتضمنها برامج البنية الصغرى، وقد فات صاحب المعجم ما يلي:

أولاً: معلومات الهجاء، والضبط (من معلومات التعليق على الشكل).

ثانياً: نقص في معلومات تعريف المدخل؛ من مثل: طبيعة المادة التي يصنع منها هذا الوعاء، مع الإشارة إلى مستوى من يتخذه للاستحمام في مسكنه من المستويات المرتفعة نسبياً، وهذه المعلومات من معلومات التعليق على المعنى.

ويحمد لصاحب المعجم الحرص على كتابة المداخل بالحروف اللاتينية في أصولها الأجنبية، ولكن تفسيره لزيادة الهاء في بانيوهات بأنه للوقاية، ربما يكون محل اختلاف؛ ذلك

أن كثيراً من الكلمات الدخيلة التي انتقلت إلى العربية لم يرد فيها دخول هذه الهاء في الأوضاع المماثلة في مثل: باشوات، وأغوات، وبكاوات، ولعل السر وراء دخول الهاء هو تيسير الانتقال من الواو غير المتحركة في بانوي، وتوطئة لنطق الفتحة الطويلة، التي هي الألف.

ويقول (ص ٨٦): "جاكتة: سترة رجالي، ويجمع: جكتات، وجواكت، وهو من اللفظ الإنجليزي jacket+ اللاحقة هاء للوحدة".

وقد تضمن التعليق المعلومات التالية:

أ- المعنى (وهو من معلومات التعليق على المعنى).

ب- جمع اللفظ/ وأصله وتفسير حقوق الهاء به.

وهذه من معلومات التعليق على الشكل.

ج- ضبط المدخل بعلاوات الضبط (ضبط قلم):

وقد نقص من المعلومات بيان مستوى الاستعمال؛ ذلك أن لحوق التاء، وإن حقق معنى الوحدة، كما قرر صاحب المعجم، فإنه أشار إلى أن هذا النطق يدل على نوع طبقة اجتماعية متراجعة نسبياً، إن على مستوى التعليم، وإن على مستوى السكن؛ ذلك أن النطق: جاكت بغير الهاء يبدو محملاً بعدد من الدلالات الاجتماعية الدالة على نوع ارتفاع في مستوى التعليم والاقتصاد والثروة.

• ويقول: (ص ١٠٣): "خُشاف: منقوع الياميش؛ وهو من اللفظ الفارسي: خوشاب (الماء المحلى)، ويتكون من اللفظ الفارسي: "خوش" (حلو) + آب (الماء)".

وقد تضمن هذا التعليق ما يلي:

أ- المعنى (منقوع الياميش).

ب- ضبط الخاء بالضممة.

ج- بيان أصل المدخل، وأنه في أصله مركب من لفظين، هما (خوش) + (آب).

وقد قصرت الحركة الطويلة في خوش / وخففت همزة (آب)، وتحولت الباء إلى صوت

الفاء. وقد نقص التعليق من المعلومات التالية:

أ- نقص في التعريف، وهو ما كان ينبغي معه ذكر مفردات ما ينتع من تمر وزبيب ومشمش مجفف، وتين مجفف في ماء وسكر!

ب- نقص في مستوى الاستعمال، وأنه يكاد يكون حكرًا على شهر رمضان الفضيل، ويتناوله الصائمون على الإفطار.

ج- نقص في تفسير ما حدث في رحلة التحولات من الفارسية إلى العربية، مما ذكرناه هنا من تقصير الحركة الطويلة، وتخفيف الهمزة، وتحول الباء الانفجارية إلى الفاء الاحتكاكية المهموسة.

• ويقول (ص ٢٢٤): "مهرجان: حفل كبير، ويجمع مهرجانات، وهو من اللفظ الفارسي: مهركان بكسر الأول (عيد الشمس)".

يظهر في هذا التعليق على مدخل (مهرجان) المعلومات التالية:

أ- معنى اللفظ (حفل كبير).

ب- جمع اللفظ.

ج- بيان أصله الذي هاجر منه إلى العامية المصرية، وهو الفارسية، مع بيان التحولات الصوتية التي أصابته (تحول كسرة الميم فتحة).

ونقص التعليق ما يلي:

أ- مستوى الاستعمال؛ ذلك أن المعنى كان في الفارسية نوعًا من الأعياد، ذات الصبغة الدينية، وتحول في العامية المصرية إلى نوع من العموم؛ ليغطي مناطق واسعة، وإن كانت ذات أبعاد فنية واحتفالية.

ب- ذكر القانون المفسر لتحول الكسرة في الأصل إلى فتحة في العامية، وهو المماثلة الصوتية المدبرة؛ أي بسبب فتحة الراء والجاف!.

ملاحظات نقدية:

إن معجم الدخيل في العامية المصرية عمل طيب، يمثل إضافة لقائمة منجز معاصر اعتنى بهذا الباب المهم، وقد تمتع بحظ وافر من علامات الجودة.

ولكنه أخل بعدد من الأمور، يمكن ملاحظتها في ما يلي:

أولاً: لا نوافقه على دعواه بانعدام دراسات تأصيل الدخيل في العامية المصرية، باستثناء الكتاب الذي ذكره في مقدمته، وهو كتاب الدكتور أحمد السعيد سليمان رَحْمَةُ اللَّهِ، وقد أشرنا في مفتح هذه المرحلة إلى عدد من المؤلفات المعاصرة، اعتنت بتأصيل كثير من الألفاظ الدخيلة في العامية.

ثانياً: نقص في معلومات المقدمة، سبق التنويه عنها في التعليق على المقدمة، بما هي جزء من عناصر البنية الكبرى.

ثالثاً: نقص في معلومات التعليق على معلومات البنية الصغرى، تمثل أخطرها في:

- أ- عدم الوفاء بتعريف المداخل، بذكر السمات الدلالية الفارقة للمدخل.
- ب- عدم الاطراد في الضبط.

ج- عدم الاطراد في تفسير التحولات الصوتية في رحلة انتقال اللفظ الدخيل من أصوله إلى العامية المصرية.

رابعاً: عدم ذكر المصادر التي اعتمدها صاحب المعجم في تأصيل الدخيل، ولا توثيقه.

خامساً: كنت أفضل وضع اختصارات للغات الأصل في صورة حروف هجائية، تكشف عن لغة الأصل بجوار المدخل، وهو أمر شائع في معاجم التأصيل.

سادساً: عدم ذكر موارد هذه الكلمات، وتوثيق ذلك.

ويبقى الجهد الذي بذله الدكتور عبد الوهاب علوب جديرًا بالتقدير، والحفاية، ولا سيما في إطار شعوره الوطني، ومسئوليته الأخلاقية نحو لغته الوطنية العربية.

٤/١

معجم الطفولة: مفاهيم مصطلحية مراجعة علمية نقدية



مدخل: الطريق طويلة!:

إن مراجعة اتجاهات الكتابة في خدمة مجال دراسات الطفولة في اللغة العربية تكشف عن فقر حقيقي في دراسات هذا الحقل المعرفي.

صحيح أن هذا الوصف - بفقر الدراسات في المجال - متفاوت من مجال فرعي إلى آخر داخل الحقل العام، لكنه صحيح إلى أبعد حد في ميدان المعجمات الخاصة بالطفولة على وجه الخصوص، وهذا الفقر صحيح في الاتجاهين المتوقعين، وهما:

أولاً: المعجمات المتوجهة للأطفال؛ بما هم مستعملوها، وهو ما سبق لنا أن رصدناه في بحثنا عن معاجم الأطفال العربية المعاصرة: وظائفها وخصائصها [مجلة أدب الأطفال: دراسات وبحوث، ٨٤ فبراير سنة ٢٠١٤م؛ (ص ص ١٧ - ٣٩)، دار الكتب المصرية، مركز توثيق وبحوث أدب الطفل، القاهرة].

ثانياً: المعجمات الخادمة لدراسات الطفولة، والمتعاطية مع مفاهيمه وتصويراته وحقائقه، وقضاياها.

ومعجمات الاتجاه الأخير أكثر ندرة من المعجمات الخاصة بالاتجاه الأول - بطبيعة الحال - ومن ثم فإن وجود معجم للطفولة يمثل حالة تستدعي التحليل والدراسة والعناية معاً؛ ذلك أن الطريق طويلة وصعبة، وتحتاج إلى كثير من الجهد والدعم والتواصل البحثي.

وهو بعض ما تستهدفه هذه الدراسة النقدية لواحد من المعاجم العربية المعاصرة المعنية بحقل مفاهيم الطفولة في الثقافة العربية المعاصرة. ويتناول هذا البحث المطالب التالية:

(١) المادة والانتفاء المعرفي والمنهج والأهمية.

(٢) بنية المعجم (الكبرى والصغرى).

(٣) وظائف المعجم.

(٤) الخاتمة.

(١) معجم الطفولة؛ مفاهيم نقدية:

مادته وانتمائه ومنهجه وأهميته:

معجم الطفولة، مفاهيم نقدية، أو معجم مصطلحات الطفولة، للدكتور أحمد زلط [هبة النيل، القاهرة، ط (١) سنة ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م] معجم في: مصطلحات أدب الطفل وتربيته وفنونه وثقافته، وهو ما ظهر في العنوان الإنجليزي للمعجم، الذي جاء في صفحة تالية لصفحة العنوان العربي:

Childhood literature dictionary (terminology of: child literature and education child arts and culture).

(١ / ١) وهو من حيث المادة أو كثافة المداخل مكون من (٤١٤) مدخل / مصطلح موزعة على اثنين وعشرين فصلاً، هي جملة فصول المعجم، المرتب على حروف المعجم الإنجليزي (A, b, c, etc)؛ أي أنه إنجليزي / عربي.

ولم يفسر صانع هذا المعجم السبب في ترتيب مداخله وفق النظام الأبجدي الإنجليزي، ولكن يبدو أن السر وراء ذلك كامن في استقرار المصطلحات في هذه اللغة الأجنبية، وعدم استقراره النهائي في اللغة العربية.

وقد كان من الأولى ترتيب المداخل وفق الأبجائية العربية، مع صنع كشف بالمصطلحات وفق مكافئاتها الإنجليزية؛ خدمة للمستعمل العربي المستهدف الأساسي من هذه المحاولة المعجمية.

(٢ / ١) أما عن انتهاء هذا المعجم المعرفي فيبدو أمرًا غريبًا أن نعين فقرة للحديث عن انتهاء المعجم المعرفي، ومكمن الغرابة أن صاحبه يعلن أنه معجم بدليل خطاب:

أ- العنوان (معجم الطفولة/ أو معجم مصطلحات الطفولة) في العربية ومعجم أدب الطفولة في الإنجليزية childhood literature dictionary

ب- المقدمة، حيث يقول فيها (ص ١١): "أقدم لمكتبة الأدب العربي: (معجم مصطلحات أدب الطفولة: مفاهيم مصطلحية)، وهو عمل نوعي specific متخصص، يتناول بين دفتيه المحاولة الأولى لوضع القواعد الاصطلاحية الشارحة شبه (المجملية) لأدبيات الطفولة في نهج أكاديمي. وهو أيضا معجم يستقري أمهات الكتب العربية والأجنبية؛ بهدف تحديد المفاهيم اللغوية والدلالية، السائد منها في التخصص أو المستحدث في مجالات: أدب الطفل، وتربيته، وكذلك فنونه، وثقافته، ثم وسائطه".

ومع ذلك فهذا المعجم في حاجة إلى بيان دقيق لانتائه المعرفي، الذي يتلخص - من وجهة نظرنا - في أنه: معجم ثنائي ذو صبغة موسوعية.

أما أنه مختص؛ فلأنه يعنى بشرح المصطلحات الخاصة بحقول خاصة، هي:

أ- أدب الطفل.

ب- تربية الطفل.

ج- ثقافة الطفل.

د- فنون الطفل.

هـ- الوسائط التعليمية في مجال الطفولة.

وأما أنه ذو صبغة موسوعية، فلأنه لم يتوقف عند حدود شرح المصطلحات أو الألفاظ المختصة بتلك الحقول المعرفية الخاصة، وإنما تجاوزها إلى التعريف بالمؤسسات المعنية بدراسات الطفولة، والتعريف بأعلام المبدعين في ميدان أدب الطفل في العالم العربي واللغات الإنسانية والعصور المختلفة، والتعريف بأعلام الدارسين من رواد دراسات أدب الطفل من العرب المعاصرين، ومن التربويين العرب الرواد المعاصرين (الملاحق: ص ص ٢٦٥ - ٢٧٨).

وأما أنه ثنائي اللغة، فلأنه يستعمل لغتين؛ لغة إنجليزية للمداخل / المصطلحات، ولغة عربية للشرح والتعريفات.

(٣ / ١) أما عن منهج بناء المعجم، فهو معجم ألفبائي، مرتب المداخل وفق الحرف الأول من المصطلحات المذكورة وفق النظام الألفبائي الإنجليزي. وسوف نورد فقرة خاصة فيما بعد للحديث عن البنية الكبرى والصغرى للمعجم.

(٤ / ١) ويمثل ظهور هذا المعجم أهمية حقيقية لدراسات هذا المعجم؛ لاعتبارات كثيرة جداً، يمكن التوقف أمام أظهرها في ما يلي:
أولاً: ريادته في الميدان:

لقد ظهر معجم الطفولة في سياق تعاني فيه المكتبة المعجمية، ومكتبة دراسات الطفولة، ومكتبة أدب الطفل وثقافته وفنونه فراعاً حقيقياً من المصادر والأعمال المرجعية من نوع المعجمات، وهو الأمر الذي يكسب هذا المعجم قيمة حقيقية، ترقى بمنزلته في الثقافة العربية المعاصرة، مهما كانت الملاحظات النقدية عليه.

ثانياً: صدوره عن وعي بطبيعة المجال المعرفي، ومشكلاته، واحتياجاته، وهو ما يعبر عنه الدكتور أحمد زلط (ص ١٢): إن حجم الإشكالية كبير، يقصد بالإشكالية في مجال أدب الطفل: "اختلاط المفاهيم وغياب الرؤية الواضحة للقواعد التي ينطلق منها الأكاديمي والتربوي والنفسي والمبدع في ميدان أدبيات الطفل".

ثم يعلن صراحة فيقول (ص ١٣): "كل ذلك دفعني إلى أهمية التوفر على محاولة الإسهام في رافد تععيد المصطلح العربي وشرحه بما يناسب الهوية العربية والإسلامية في أعز ما تملك: "الناشئة" في أدبهم وثقافتهم وتربيتهم وفنونهم".

ثالثاً: اتساع نطاق جمع مادته؛ ذلك أنه لم يتوقف عند حدود حقل أدب الطفل فقط، ولكن توسع فضم مصطلحات من حقول أخرى، تتداخل مع حقل أدب الطفل وترفده بمجموعة من المفاهيم الأساسية، من مثل حقول: تربية الطفل وثقافته، وفنونه.

رابعاً: صدوره عن مختص، منح وقتاً وجهداً ظاهراً لهذا الحقل المعرفي، فالدكتور أحمد زلط رَحِمَهُ اللهُ كان واحداً من أكثر الذين أخلصوا لدراسة أدب الطفل، وهو الإخلاص الذي يعكسه منجزه العلمي المتميز في هذا الميدان.

وقد توزع منجزه في هذا الحقل على محاور كثيرة، يمكن بيانها في ما يلي:

- ١- فرع أدب الطفل ونقده، وهو فرع ظهرت له فيه آثار نظرية تعنى بالتأصيل، وأخرى تطبيقية تعنى بالتحليل من مثل:
 - أ- أدب الطفولة: أصوله ومفاهيمه، القاهرة، سنة ١٩٩٧م.
 - ب- أدب الطفل العربي: دراسة في التأصيل والتحليل، القاهرة سنة ١٩٩٨م، والإسكندرية سنة ١٩٩٩م.
 - ج- رواد أدب الطفل العربي، الزقازيق، مصر، سنة ١٩٩٣م.
 - د- أدب الأطفال بين شوقي وعثمان جلال، القاهرة، سنة ١٩٩٤م.
 - هـ- أدب الطفولة بين كامل الكيلاني ومحمد الهراوي، القاهرة، سنة ١٩٩٤م.
 - و- ديوان السنهوتي للأطفال، الزقازيق، مصر، سنة ١٩٩٢م.
 - ز- الطفل مبدعاً، الإسكندرية، سنة ١٩٩٩م.
 - ح- مدخل إلى أدب الطفولة: أسسه، وأهدافه، ووسائطه، الرياض، ٢٠٠١م.
- ٢- فرع ثقافة الطفل، وهو فرع مكمل للدائرة الواسعة لمفهوم أدب الطفل، وهو فرع ظهرت له فيه الآثار التالية:
 - أ- الطفولة والأمية، القاهرة، سنة ١٩٩٥م.
 - ب- أدب الطفل وثقافته وبحوثه، الرياض، سنة ١٩٩٨م.

وقد حرصنا على سرد مفردات هذا المنجز؛ لنكشف عن بعض محددات الأهمية التي تقف في خلفية هذا المعجم.
- خامساً: ارتباط مادته بالمصادر الحديثة في اللغات الأجنبية التي شهدت تطوراً واستقراراً وتراكمًا في المنجز الخادم لهذا الحقل المعرفي.
- وهذا الارتباط بالمصادر الحديثة في اللغة الإنجليزية (لغة المداخل)، يعكس اتصال المعجم وصاحبه بالأفكار المستحدثة في بحوث هذا الحقل المعرفي؛ مما يجعله مفيداً وصالحاً إلى حد كبير، على الرغم من مرور وقت على صدوره.

(٢) معجم الطفولة: مفاهيم مصطلحية: قراءة في خطاب البنية:

في هذه الفقرة نقف أمام بنية هذا المعجم المهم في ميدانه، وهي البنية الموزعة على محورين، وهو التصميم المستمد من هارتمان في معجمه لمصطلحات المعجمية (٩٤):
dictionary of lexicography، وهما كما يلي:

(١ / ٢) البنية الكبرى للمعجم، وتضم:

أ- ترتيب مداخله (خارجياً / داخلياً).

ب- مقدمته.

ج- ملاحقه.

(٢ / ٢) البنية الصغرى للمعجم، وتضم:

أ- معلومات التعليق على شكل المداخل (هجائياً / ضبطها / معلومات البنية).

ب- معلومات التعليق على معنى المداخل (التعريفات / الاشتقاق / مستوى الاستعمال).

وفي ما يلي تحليل لتجليات هذه العناصر في هذا المعجم:

(١ / ٢) البنية الكبرى لمعجم الطفولة:

صمم الدكتور أحمد زلط معجمه هذا، فجاءت بنيته الكبرى في ثلاثة أقسام، هي:

أ- المقدمة.

ب- جسم المعجم (المداخل والشروح).

ج- الملاحق والمصادر.

(أ) مقدمة المعجم: وقد تضمنت المعلومات التالية:

أولاً: نوع المعجم، أو الانتماء المعرفي له، فقرر أنه: "معجم نوعي متخصص، يتناول بين دفتيه المحاولة الأولى لوضع القواعد الاصطلاحية الشارحة (شبه المجملة) لأدبيات الطفولة في نهج أكاديمي".

ثانياً: ملابسات التوجه إلى فكرة صناعة معجم خاص بمصطلحات أدب الطفولة، فقرر أن تنامي الإشكالات في المجال، هو الذي دفعه لصناعة هذا المعجم.

ثالثاً: أسلوب وضع المصطلحات وشرحها، وقرر في ذلك السياق التزامه بما يلي:

١- المنهج الاستقرائي.

٢- تغليب المفهوم العربي اللغوي والاصطلاحي على الأجنبي.

رابعاً: بيان خطوات وضع المصطلحات، وهي:

١- الاستنباط الدلالي والوظيفي لمصطلحات المعجم عامة.

٢- انتقاء بعض المصطلحات في عمليتي التعريب أو الترجمة من الآداب الغربية.

٣- التوليد الاشتقاقي (من طريق البحث).

٤- الإفادة من المفاهيم المستقرة، أو التعريفات السائدة، موازنة مع معاجم العلوم

المساعدة.

٥- الإفادة من الدراسات الرائدة في مجال أدب الطفل، بما فيها من مؤلفات صاحب

المعجم نفسه.

خامساً: بيان طبيعة المعجم، مقررًا أنه معجم نوعي خاص، وليس عامًا، قصد إلى إيراد

الشرح الموجز الدال أمام كل مصطلح.

سادساً: شكر من عاون أو وجه إلى شيء مفيد في صناعة المعجم.

(أ.أ) وقد تضمنت هذه المقدمة مجموعة من المبادئ التي تنادي بها أصول صناعة المعجم

الحديث في برامج تصميم واجهة المعجم، وقصرت في مجموعة أخرى من المبادئ، يمكن

إجمالها في ما يلي:

١- التقصير في بيان منهج ترتيب المداخل. والنظام الألفبائي يراعي الألفبائية الإنجليزية.

٢- الإخلال بإرشادات الاستعمال.

٣- الإخلال ببيان طريقة جمع مادة المعجم.

٤- الإخلال ببيان المصادر التي جمع منها مادة المعجم.

٥- السكوت عن بيان ترتيب المعلومات الواردة تحت المداخل.

(ب) جسم المعجم:

ثم جاء جسم المعجم، وهو القسم المركزي، وضم (٢٢) فصلاً على عدد حروف الألفبائية الإنجليزية، وتحت كل حرف / فصل رتبت المداخل، وفق التنظيم التالي:

رقم المدخل

المدخل (بحجم طباعي مائز) بالعربية:
المدخل (بحجم طباعي عادي) بالعربية: مكافئه الإنجليزي، معلومات الشرح والتعليق.

والترتيب الداخلي؛ أي في كل حرف / فصل ألفبائي أيضاً يراعي ترتيب الألفبائية الإنجليزية، في الثواني والثالث؛ إلخ.

ومن الأمثلة الدالة على هذا التصميم (ص ٣٠):

٤٥

النشيد:
النشيد: Anthem نظم شعري يتغنى به الأطفال بعد تلحينه، ويميل إلى البساطة، والتركيز والتكرار والإيقاعات الصدوية.

(ب. ب) ويلاحظ على تصميم جسم المعجم عدم البدء بالمكافئ الإنجليزي، مع أن نظام الترتيب المتبع فيه يسير مهتدياً بالترتيب الأجنبي. وهو ما يسبب التوتر البصري لمستعمل المعجم؛ إذ المتوقع وضع المكافئ الإنجليزي مدخلاً رئيساً، ويليه المكافئ الترجمي بالعربية، وليس كما فعل.

ومرد التوتر البصري لدى المستعمل يأتيه من اضطراب الحروف العربية الافتتاحية للمداخل في صيغها العربية.

ومن أمثلة ذلك مثلاً ما نراه في (ص ٣٠):

المدخل بالإنجليزية	رقم المدخل	المدخل الرئيس
Anecdote	٤٤	نادرة
Anthem	٤٥	النشيد
Anthology	٤٦	مقتطفات أدبية مختارة
Aphonia	٤٧	وهن

فعلى حين اتحد الحرف في المكافئات الإنجليزية التي جاءت غير مركزية في الكتابة، نرى اختلاف الحروف الأولى من المكافئات العربية المبدوءة بها في الكتابة، وتسويدها طباعياً، مع أن المعجم ثنائي اللغة، مداخله مرتبة وفق الإنجليزية، وشروحه عربية!

(ج) الملاحق والمصادر:

ألقى الدكتور أحمد زلط بمعجمه هذا ملحقين جامعين، هما:

أولاً: الأعلام:

١- أعلام أدب الطفولة في أدب اللغات العالمية والأدب العربي:

أ- المبدعون في أدب اللغات الإنسانية، في التاريخ القديم (ق.م) (ستة أعلام) / في العصر الوسيط (أربعة أعلام) / في عصر النهضة (أربعة أعلام) / في العصر الحديث (ثلاثة عشر علماً).

٢- أعلام الأكاديميين العرب الرواد في مجال أدب الطفولة (أحد عشر علماً)، ومن التربويين الرواد (أربعة وعشرون علماً)، ومن الإعلاميين والمكتبيين العرب الرواد (تسعة أعلام)، ومن الخبراء والنقاد العرب الرواد؛ إبداعاً ونقداً (عشرون علماً). والرواد المحدثون في مصر (تسعة عشر علماً)، ومن الرواد المعاصرين في مصر (واحد وعشرون علماً) وأدباء ونقاد وباحثون في مجال التنظير والتخطيط البراجمي (الثقافي والبيولوجرافي) (أربعة وعشرون علماً).

ثانياً: المؤسسات:

١- المنظمات الدولية (منظمة واحدة).

٢- المنظمات النظرية:

أ- في مصر (٨ منظمات).

ب- في السعودية (ثلاث منظمات).

ج- في البحرين (منظمة واحدة).

د- في العراق (منظمة واحدة).

هـ- في الكويت (منظمة واحدة).

و- في الوطن العربي (في القاهرة/ الأردن) (منظمة واحدة).

(ج.ج) كانت هذه هي المنظمات، ومن قبلها الأعلام الذين اهتموا بالمجال مشغلة المعجم. وهو دليل إرشادي، لكنه ناقص المعلومات ولا سيما في الجزء المتعلق بالمنظمات؛ إذ كان من المهم استكمال بياناتها من العنوانات، ووسائل التواصل بها.

ثم صنع الدكتور أحمد زلط قائمة لمصادر المعجم ومراجعته:

وقد ضمت مجموعات نوعية من المصادر، يمكن تصنيفها موضوعياً وفق ما يلي:

أولاً: معجمات مختصة في مجالات معرفية مختلفة، لمصطلحات الأدب/ والفنون/ والتربية/ والدراما/ وعلم الاجتماع.

ثانياً: مراجع خاصة متنوعة بمجالات متداخلة مع الطفولة، كلغة الطفل/ ووسائط أدب الطفل/ ونظرية الأدب/ والحكاية، وغيرها.

(ج.ج) وهذه القائمة العامة عليها ملحظان أساسيان عامان، هما:

١- النقص من جهة عدم استيعاب بحوث الرواد في المجال وفروعه ممن تقدم ذكرهم في ملحق الأعلام الرواد.

٢- النقص من جهة عدم معرفة كثافة الإمداد الذي منح من هذه المصادر للمعجم؛ ذلك أن مداخل المعجم والشروح التي تحتها لم توثق من أي مصدر أو مرجع على الإطلاق.

إن بناء المعجم، وتصميمه، وإن جاء من الناحية المعمارية موافقاً للمعجمات الحديثة من جهة الهيكل الثلاثي (واجهة المعجم / جسم المعجم / الملاحق)، إلا أنه في داخل كل قسم من الأقسام الثلاثة المكوّنة لهيكله شابه نوع نقص ما. ولكن ما يقدم على سبيل العذر للمعجم أنه:

أولاً: عمل فردي.

ثانياً: عمل مختص في أدب الطفل، وليس معجمياً.

ثالثاً: عمل أولي افتتاحي غير مسبوق في الثقافة العربية، وهو الأمر الذي يحتاج معه إلى مواصلة الجهد في هذه السبيل المهمة.

(٢ / ٢) البنية الصغرى لمعجم الطفولة:

تعرف البنية الصغرى لأي معجم بأنها مجموع ما يمثل المعلومات تحت الكلمات فيه، أو هي: تنظيم ما يتعلق بشكل الكلمة / المدخل من معلومات، وما يتعلق بمعناها أيضاً. وقد بدا من هذا التعريف أن البنية الصغرى موزعة على قسمين بحكم التصور الثنائي للعلامة اللغوية: الدال (الشكل) والمدلول (المعنى).

(أ) وقد أدخل هذا المعجم بكل ما تنصح برامج المعجمية في ما يتعلق بمعلومات التعليق على شكل المداخل، فخلا مما يلي:

أولاً: ضبط المداخل، وبيان طرق نطقها، سواء في شكل الصيغة الإنجليزية أو العربية معاً! صحيح أن كثيراً من المداخل كلمات شائعة، لكن كثيراً منها في حاجة إلى الضبط.

ثانياً: بيان نوع الصيغة (من جهة النوع التصريفي) في اللغتين الإنجليزية أو العربية معاً. وقد تنوعت أنماط مصطلحات أدب الطفولة المفرد مثلاً، فجاءت أسماء معنى، وأسماء ذات مصادر، ومنسوبات، ومشتقات، وغير ذلك.

وهو ما كان يلزم معه العناية ببيان أنواع صيغ المداخل المختلفة.

ومرات ذكر الضبط كان محدوداً جداً؛ ربما جاء شعوراً بعسر نطق بعض المداخل، وقد كان ذلك في مرات لا تتجاوز في عددها أصابع اليدين، كما في ضبط مصطلح (العمة) بفتح العين المهملة والميم (ص ٢٧).

(ب) أما ما يتعلق بالتعليق على معنى المداخل، فقد كان أفضل حالاً مقارنة بالتعليق على معلومات الشكل.

(١) وكانت شروح المعنى وتعريفاته هي المعلومات المركزية التي اعتنى بها المعجم، وهو ما بدا واضحاً من واجهته؛ حيث افتتحها صاحب المعجم قائلاً (ص ١٤): "إن هذا المعجم النوعي الخاص... ليس من كتب القواميس العامة التي تكتفي بإيراد المصطلح العربي إلى قرينه في اللغة الإنجليزية أو العكس. وإنما قصدت إلى إيراد الشرح الموجز الدال أمام كل مصطلح".

وأغلب الشروح أو التعريفات التي علق بها صاحب المعجم على مداخله المختلفة تنتمي إلى نوع ما يسمى بالشرح بطريقة التعريف المحكم true definition، وهي طريقة يحرص مستعملها على جمع السمات الدلالية الفارقة والمميزة للكلمة المشروحة.

ثم تأتي طريقة الشرح بالتعريف الهجين hybridform، وهي طريقة تجمع بين طريقة التعريف بذكر السمات الفارقة أو المكونات الدلالية للكلمة / المداخل، وبين ذكر الأمثلة التوضيحية. وفي ما يلي أمثلة تطبيقية على توظيف هاتين الطريقتين في هذا المعجم:

١- يعرف المعجم المدخل (٦٠ / ص ٣٤: القدرة الفنية) فيقول: "القدرة الفنية Artistic ability خاصة توجد لدى الفرد، تمكنه من إنجاز عمل فني ما، بالمهارة والدقة".

ففي هذا التعريف اتضح الحرص على جمع السمات الدلالية الفارقة في شرح المدخل.

١- يعرف المعجم المدخل (٦٤ / ص ٣٥: الوظيفة الفنية) فيقول: "الوظيفة الفنية: Artistic function أو هدف فني يربط بين الأثر الفني ووظيفته مع الوظائف الأخرى في الأثر ذاته؛ كالوظائف الجمالية والتربوية والأخلاقية"

ففي هذا التعريف ظهر الحرص على جمع السمات الدلالية الفارقة في شرح المدخل، المتمثلة في:

أ- الغاية والهدف المقيد بالمجال الفني.

ب- ربط الوظيفة أو الدور بمفهوم الأثر، أو التأثير.

ج- عدم استبعاد بقية الوظائف الأخرى.

٢- يعرف المعجم المدخل (١٩٦ / ص ٩٢: الأدب المكشوف)، فيقول: "الأدب المكشوف Erotic literature لون أدبي تعتمد أساليبه على إثارة الغرائز، وعلى الأخص غريزة الجنس على هيئة الوصف الفاضح أو المواقف التي محورها تفصيلات تخدش الحياء، وتتعارض مع المثل العليا في المجتمعات. ويظهر مثل هذا الأدب الرخيص في فترات الضعف أو الزيف الحضاري. ومنه يجب الاحتراز في تقديم أي من أشكاله للأطفال".

ففي هذا التعريف يتضح تقديم المعلومات التالية الخاصة بالمعنى:

أ- تعريف هذا النوع الأدبي بذكر سماته الدلالية الفارقة.

ب- بيان الأشكال والتجليات التي يتخذها مثل هذا اللون الأدبي (وصف فاضح/ مواقف تفصل ما يخدش الحياء؛ إلخ).

ج- ذكر مرادفات للمصطلح (أدب رخيص).

د- بيان للمراحل التاريخية التي يظهر فيها مثل هذا اللون.

وقد تميزت معالجات المعجم لشرح المعاني والتعريفات بإرادة واضحة لتحقيق مستوى متقدماً من الوضوح، تمثلت في التطبيقات التالية:

أولاً: الحرص على ذكر بعض المرادفات الشارحة أمام المدخل العربي بين قوسين، قبل التعريف.

ومن أمثلة ذلك: المدخل ٤٠ / ٢٩: الحبسة (أو الرثة).

المدخل ٢٠٩ / ص ٩٩: المهرجان (الاحتفال).

المدخل ٣٢١ / ص ١٥٩: عناد (إصرار).

(٢) ثم كانت العناية ببيان مستوى الاستعمال ذات أثر في إضاءة كثير من المفاهيم الخاصة بعدد كبير من المصطلحات الواردة في المعجم.

وجاءت العناية ببيان مستوى الاستعمال فيما يبدو بسبب من تعدد الحقول المعرفية في هذا المعجم؛ فهو معجم لمصطلحات: أدب الطفل، وفنونه وثقافته، وتربيته؛ مما يلزم معه - في ظل هذا التنوع المعرفي - ضرورة وجود مواعظ عند احتمال وجود رسوم مصطلحات متحدة أو مشتركة في بعض هذه الحقول؛ بمعنى أنه لما كان واردًا وجود مصطلح صورته واحدة

مستعمل في أكثر من حقل معرفي، لزم معه وجود قرينة دالة على الحقل المراد، المقصود عند التعريف والشرح.

وهو ما تنبه إليه المعجم في بعض المداخل، موضع بين قوسين لفظاً أو عبارة كاشفة عن المجال المقصود، قبل التعريف؛ بياناً لمستوى الاستعمال وتمييزه؛ منعاً من تداخل المفاهيم أو اضطراب التصورات.

ومن أمثلة ذلك في هذا المعجم:

- أ- مدخل ٨٣ / ص ٤٤: أغنية (مأثورة) لبيان تاريخها، تفريقاً لها عن الأغاني المعاصرة.
 ب- مدخل ١٣٩ / ص ٦٧: الطفولة (مراحل) أضيفت الكلمة بين القوسين لبيان انتماء المصطلح إلى علم نفس النمو.
 ج- مدخل ١٦٨ / ص ٨٠: مهارة (عملية)؛ تفريقاً لها عن المهارة الذهنية.

إن هذه القيود التي وضعت بين القوسين - كما ظهر في هذه الأمثلة - تكشف عن بعض ملامح العناية التي قدمها المعجم لمعلومات التعليق على المعنى من جهة بيان مستوى الاستعمال؛ بما يعين على تعيين المجال الذي يراد تحصيل المفهوم الخاص بمصطلحاته. ومن مجموع ما مرّ في تحليل معلومات البنية الصغرى نلمح فقراً فيما يتعلق بمعلومات البنية الصغرى المتعلقة بالتعليق على الشكل بدرجة واضحة جداً، يقترب من العدم. ونلمح فقراً أقل حدة على مستوى معلومات التعليق على المعنى؛ ذلك أن المعلومات الاشتقاقية غائبة تماماً، كما غابت معلومات التوثيق لموارد المصطلحات والشروح التي عليها!

(٢) معجم الطفولة: مفاهيم مصطلحية:

قراءة في خطاب الوظائف:

إن تحليل معجم الطفولة للدكتور أحمد زلط يكشف عن عدد من الوظائف التي يمكن الاضطلاع بها، واستثمارها في الواقع المعاصر، ويمكن رصد هذه الوظائف في ما يلي:

أولاً: الوظيفة المعرفية:

يمكن أن يقدم هذا المعجم خدمة جليلة على مستوى بناء المفاهيم والتصورات، وضبطها، وهو بعض ما دفعه أصلاً إلى صنعه، كما قرر صانعه في بيان الدوافع وراءه في

مقدمته. إن ثمة إشكالات تتعلق بكثير من المفاهيم، والحقول الفرعية المنضوية تحت أدب الطفل، ولاسيما أن كثيراً من المصطلحات وافدة من اللغات الأجنبية التي شهدت عناية واسعة بدراسات هذا المجال - وهو الأمر الذي يرجى من هذا المعجم أن يساهم في التعاطي معها بشكل إيجابي؛ لتحقيق تهيئة تسمح بوجود مساحة من المشترك المفاهيمي بين العاملين في هذا المجال.

ثانياً: الوظيفة الحضارية:

إن تطور العناية بالطفل وثقافته وفنونه والآداب المقدمة له والمقدمة منه معاً له عائد بالمعنى الحضاري العام؛ لأن كل تقدم في مجال تنمية الإنسان، وتزكيته، وترسيخ ذلك من سنوات الطفولة، له أثره البالغ في تحضر الأمة.

وهذا المعجم بتحليل خطاب المقدمة، وتحليل عدد من مداخله يعلن وفاء للمفهوم الحضاري الذي يراعي هوية الأمة، وينطلق منها، ويسعى إلى تعزيز القيم والمثل العليا، وهو أمر ظاهر في الاستجابة لضرورات وضع القواعد أو الأسس الصحيحة لبناء طفولة (عربية إسلامية) قيمة، تساهم في منظومة الحياة الإنسانية، على حد تعبير المعجم في مقدمته (ص ١٢-١٣). وهو الوجه والوظيفة التي ظهرت في بعض التعليقات على معنى عدد من المصطلحات، كما نرى مثلاً في التعليق على معنى مدخل (الأدب المكشوف ١٩٦ / ص ٩٢) عندما قال: "ويظهر مثل هذا الأدب الرخيص في فترات الضعف أو الزيف الحضاري. ومنه يجب الاحتراز في تقديم أي من أشكاله للأطفال". وهذه العبارة الأخيرة كاشفة عن الوظيفة الحضارية الكامنة في خلفية التعليق على معنى كثير من المداخل.

وهذه الوظيفة الحضارية تضم تحتها مجموعة من الوظائف الأخرى، يمكن بيانها بمجملتها في:

أ- الوظيفة التربوية / الأخلاقية.

ب- الوظيفة السلوكية / العملية.

ج- الوظيفة الفنية / الجمالية.

وهي جميعاً تتآزر لتنهض بتحقيق الدور الحضاري المنتظر من هذا المعجم في هذا الميدان.

ثالثاً: الوظيفة اللسانية اللغوية:

يبرهن هذا المعجم - شأنه شأن غيره من المعجمات المعاصرة - على شيء أضح عليه في كثير مما أعالجه من بحوث المعجمية، وهو مرونة اللغة العربية، وقدرتها على استيعاب المفاهيم النوعية المختصة في الحقول المعرفية المختلفة، وهذا المعجم بمنهجيته وإجراءاته التي اتبعها - ولاسيما في الإجراء الذي سماه باسم التوليد الاشتقاقي (ص ١٣)، وتوظيف إمكانات عمليتي التعريب والترجمة - يكشف عن قدرة العربية في هذا المجال.

إن تراكم الإنتاج المعرفي في ميدان أدب الطفل وثقافته وتربيته وفنونه، من جانب، ومواكبة ذلك بوضع جهاز اصطلاحي ينهض بمفاهيمه وتصوراته من طرق: أ- التعريب والترجمة.

ب- التوليد/ الاشتقاقي، بأنواعه المختلفة - دال على ما يمكن أن يقدمه هذا المعجم للوظيفة اللسانية واللغوية على مستويات:

أ- الدفاع عن العربية، في مواجهة اتهامها بعدم القدرة على استيعاب المفاهيم الحديثة.
ب- ترسيخ الإيمان بقدرة اللسان العربي على استيعاب جهازها التصريفي للتعبير عن المفاهيم والتصورات النوعية.

(٤) خاتمة:

حرصت هذه المراجعة العلمية - والمراجعات العلمية بحوث كاملة في التصور العملي المعاصر - على مجموعة من الأهداف، نجملها في ما يلي:

أولاً: أهمية المراجعات العلمية لبحوث أدب الطفل - ولاسيما البحوث المرجعية أو التأسيسية - في الكشف عن منجزها، وتطوير أدواتها، وتهيئة آفاقها المستقبلية.

ثانياً: متابعة المنجز المعاصر في مصر والعالم العربي، بدراسته وفحصه وتحليله من المنظور النقدي؛ لأهمية ذلك في ظل تنامي العناية ببحوث هذا المجال على المستويين: الفردي، والمؤسسي.

ثالثاً: ضرورة التلبث طويلاً أمام منجز جيل الرواد تعييناً في هذا المجال؛ لأهميته البالغة على دراسات الأجيال التالية.

إن كل فحص وتحليل ومراجعة لأعمال جيل الرواد يسهم في توجيه الأجيال المتعاقبة بدرجات واسعة؛ نظراً للمنزلة العلمية والنفسية التي تشغلها في الغالب دراسات الرواد. ومعجم الطفولة معجم افتتح مجالاً مهماً، وما يزال يمثل حالة فريدة في بابه، وكل مراجعة علمية لما جاء به ما تزال تحمل من الفوائد الشيء الكثير.

لقد كشف هذا البحث (المراجعة العلمية لهذا المعجم) عن النتائج التالية:

- ١- ريادته وأوليته في الثقافة العربية المعاصرة.
- ٢- استيعابه لكثير من المداخل الموزعة على عدد من الحقول المعرفية المنضوية تحت حقل علوي عام هو: الطفولة، ضمت أدب الطفل، وتربيته، وثقافته، وفنونه.
- ٣- تنبيهه للمصادر الحديثة في اللغة الإنجليزية؛ طلباً لصناعة اتفاق مصطلحي، ومفهومي معاً.

- ٤- ظهر من تحليل هذا المعجم إخلاله بعدد من المبادئ المستقرة في صناعة المعجم الحديث، إن على مستوى البنية الكبرى، فيما يخص:
 - أ- تصميم واجهة المعجم أو مقدمته، والمعلومات الواجبة فيها.
 - ب- تصميم الملاحق والمعلومات اللازمة فيها.
 - وإن على مستوى البنية الصغرى، فيما يخص:
 - أ- الغياب شبه التام لمعلومات التعليق على الشكل.
 - ب- غياب بعض معلومات التعليق على المعنى.

إن معجم الطفولة: مفاهيم مصطلحية، افتتح باباً أو ميداناً يحتاج إلى مواصلة الجهد والإيجاز.

وحسب هذا المعجم فضلاً أنه شق طريقاً طويلة صعبة، يرجى من أجيال الباحثين أن يواصلوا مسيرته.

المصادر والمراجع:

- ١- معجم الطفولة: مفاهيم مصطلحية، للدكتور أحمد زلط، هبة النيل، القاهرة، سنة ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.

2- Hartman and Gergory James, (1998) dictionary of lexicography, London and New York.

٥/١

نحو معجم موسوعي لمصطلحات علم تحقيق النصوص التراثية



الدوافع والمصادر:

ظهر علم تحقيق النصوص التراثية في المجال المعرفي العربي المعاصر بتأثير مباشر من الرافدين الكبيرين المتمثلين في:

أولاً: التقاليد الاستشراقية التي شيدت صرح قواعد إصدار النشرات النقدية لنصوص التراث الأوربي القديم.

ثانياً: التقاليد التراثية العربية التي انبلج نور قواعده في أحضان علم الحديث النبوي الشريف.

ومنذ ذلك الظهور ومحاولات الإضافة إليه متجددة؛ حتى تحقق لقواعد هذا العلم قدرًا واضحًا من الاستقرار. وباتت الحاجة ماسة إلى تجديد عدد من مباحثه؛ طموحًا إلى إحيائه الجديد.

والاعتقاد الصحي يميل إلى أن أية محاولات في سبيل إنجاز هذا الإحياء الجديد يلزمه أمر لم يتحقق إلى الآن، على الرغم من الإضافات الجوهرية التي نهض بها كثير من أبناء جيل الرواد المؤسسين لنظرية تحقيق النصوص التراثية في الثقافة العربية المعاصرة، والأجيال التي تلت هذا الجيل المؤسس.

وهذا الذي نقرر لزومه لعملية الإحياء الجديد لعلم تحقيق النصوص التراثية مائل في ضرورة العمل على إخراج (معجم جامع لمصطلحيته)، وهي ضرورة معرفية، ومهنية، وحضارية بكل تأكيد.

وفي هذا البحث محاولة لفحص هذه الدعوة من جوانب متعددة، تكشف عن أهميتها لهذا المجال المعرفي المهم للغاية.

ويعالج هذا البحث مطلوبه من خلال فحص المطالب التالية:

١. معجم مصطلحية تحقيق النصوص التراثية: الدوافع والأهمية.
٢. معجم مصطلحية علم تحقيق النصوص التراثية: مقالة في تعيين خطاب المصادر.
٣. معجم مصطلحية علم تحقيق النصوص التراثية: (نموذج عملي).
٤. معجم مصطلحية علم تحقيق النصوص التراثية: مقالة في خطاب الوظائف والمقاصد.

وفيا يلي بيان هذه المطالب، وفحصها:

١/ الدوافع والأهمية:

يعد أمر العناية بتحرير الجهاز الاصطلاحي لأي ميدان معرفي خطوة ضرورية على طريق تطوير أبحاثه ومسائله؛ ذلك أن هذا التحرير يضع أيدينا على الفروق الدقيقة بين استعمالات المصطلحات في هذا الحقل أو ذاك، وما لحق دلالات هذه المصطلحات من تحولات، أو تطورات على امتداد مسيرة البحث في التطبيقات المختلفة.

وقد شاع استعمال طائفة كبيرة من المصطلحات في ميدان تحقيق النصوص التراثية في التقاليد العربية المعاصرة، جاءت إلى مجاله من ثلاثة روافد كبرى أساسية، هي:

أولاً: رافد النقل من التقاليد الاستشراقية المعاصرة، التي كانت نقطة التأثير المباشرة في ظهور التقاليد العربية في الثقافة المعاصرة، ولاسيما التأثير الذي تركه براجشتراسر بعمله الرائد: أصول نقد النصوص ونشر الكتب (١٩٣٢م)، ومحاضراته في هذا الحقل في الجامعة المصرية، التي كانت سبباً مباشراً في إنجاز عمله الرائد.

ثانياً: رافد استحياء الموروث المصطلحي الذي ظهر في أحضان علم الحديث النبوي، ولاسيما أن كثيراً من أبحاث هذا العلم وإجراءاته كانت تتغيا ضبط نصوص الأحاديث، وتوثيقها، ومقابلة روايات بأخرى؛ وهي غايات وإجراءات تقترب جداً في كثير من تطبيقاتها من الغايات الحاكمة في حقل تحقيق النصوص التراثية. يقول الدكتور خالد فهمي في كتابه: (معاجم المصطلحات الحديثية العربية المعاصرة، دار المقاصد، القاهرة، ٢٠١٦م، ص ٢٨٤):

"إن مصطلح الحديث أسهم بشكل أساسي في بناء علم تحقيق النصوص التراثية في العصر الحديث، وسار تأثيره في علم تحقيق النصوص التراثية في مسارين كبيرين، هما:

- أ. تأثيره في البنية المعرفية للعلم من جهة القواعد والإجراءات والأدوات.
- ب. تأثيره في الجهاز الاصطلاحي لعلم تحقيق النصوص التراثية ونقدها".

ثالثاً: رافد ما اخترعه المعاصرون من المصطلحات الحاملة لدلالات عدد من التصورات والمفاهيم المتعلقة ببعض القواعد والإجراءات والأدوات في هذا الحقل المعرفي. وقد استقرت هذه المصطلحية استقراراً شبه تام في الأدبيات العربية المعاصرة في هذا الميدان.

والتوجه إلى العناية بجمعها، وتحريها، وتدوينها في أعمال مرجعية مستقلة من نوع المعجمات المختصة أو الاصطلاحية أمر مهم جداً من كثير من الجوانب، يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: الدواعي المعرفية:

إن جمع مصطلحية تحقيق النصوص التراثية من شأنه أن يسهم في استقرار قواعد العلم، واستقرار الإجراءات المتعلقة ببحوثه، كما أن من شأنه أن يسهم في تطوير مباحثه، ومسائله المتنوعة.

وهو جمع يدعم الدراسات التاريخية والمقارنة بين المدارس العربية المعاصرة العاملة على تحقيق النصوص التراثية، والكشف عن مستويات قربها وبعدها من التقاليد الاستشراقية، والتقاليد التراثية، من طريق فحص الأجهزة الاصطلاحية المستعملة من جانب المحققين العرب المعاصرين جميعاً.

أضف إلى ذلك أن ثمة فروقاً دلالية بين كثير من المصطلحات التي تبدو متقاربة، أو متداخلة، وجمع هذه المصطلحات في أعمال مرجعية مستقلة تمنح الدارسين الفرصة كاملة لفحص هذه الفروق، والحكم عليها، وربطها بسياقات الأبواب التي تستعمل فيها.

ثانياً: الدواعي الوطنية/ القومية:

إن جمع مصطلحية تحقيق النصوص التراثية في أعمال مرجعية مستقلة من نوع الأدلة والمعجمات، من شأنه أن يدعم توظيفها في الثقافة الوطنية أو القومية، من خلال ما تسمح به من معاودة الفحص، والمدارسة، والمراجعة، والضبط والتدقيق.

ثالثاً: الدواعي اللسانية:

إن الدفاع عن اللسان الوطني دفاعاً عملياً إيجابياً يستلزم من أهل العلم في الحقول المعرفية المتنوعة استعماله، وتحمله حقائق هذه العلوم، والإعلان عن جاهزيته لهذا التحمل. وهذا الاستعمال العملي الإيجابي هو أكبر خدمة تقدم للسان الوطني، وتكشف عن طاقاته الكامنة، ومرونته، واستجابته لحمل التصورات العلمية الدقيقة في الميادين المعرفية المتعددة. وظهر معجمات لمصطلحات تحقيق النصوص التراثية في العربية المعاصرة نوع من أدب الدفاع العملي الإيجابي عن هذا اللسان وقدراته ومرونته، بطريق تبرهن على استجابته لحمل التصورات والمفاهيم.

رابعاً: الدواعي الحضارية:

إن انتشار صناعة المعجمات المختصة على وجه التعيين، يكشف عن الوعي بقيمة ضبط التصورات، وتيسيرها لجمهور المستعملين من المتعلمين والباحثين والدارسين. وخدمة الأغراض التعليمية (البيداغوجية)، والتيسير على أنماط من المستفيدين من الأعمال المرجعية - بصناعتها لهم - دليل على التنامي الحضاري.

إن هذه الأربعة الدواعي، قابلة للزيادة عليها، ولكنها صالحة في الكشف عن أهمية هذه الدعوة إلى صناعة معجمات مختصة، بجمع مصطلحية تحقيق النصوص التراثية ونقدها، وتحريرها، وضبط تصوراتها، وما لحق بها في مجالات استعمالها من تحولات وتطورات دلالية، وما بينها من فروق دلالية تبعاً لحقول استعمالها الفرعية من جانب المحققين المعاصرين، تبعاً لمدارسهم، وروافد التأثير فيهم.

٢ / مصادر مصطلحية تحقيق النصوص التراثية ونقده (مصادر مادة المعجم):

تعيين مصادر مصطلحية علم تحقيق النصوص التراثية ونقده أمر تأسيسي لازم، وشرط وجود لمن يروم صناعة معجمات جامعة لمفردات هذه المصطلحية. وتعيين هذه المصادر عمل شاق جداً، ويستلزم نوعاً من الوعي، والاحتشاد الشديد، والتعيين الأولي أو المبدئي، يكشف عن صور المصادر التالية:

٢ / ١ أدبيات علم تحقيق النصوص التراثية، ونقده في التقليدين الاستشراقي والعربي

المعاصرين:

تمثل أدبيات علم تحقيق النصوص التراثية ونقده في التقاليد الاستشراقية والعربية مصدرًا مهمًا وأصيلًا لما نروم صنعه من معجمات جامعة لمصطلحية هذا العلم؛ ذلك أنها حفلت بمجموعات ضخمة من الكلمات الفنية المختصة في سياق تعاملها مع مسائل هذا العلم، وحقائقه، وإجراءاته، وأدواته.

ولا يمكن تصور إنجاز معجم لمصطلحية هذا العلم من دون الفراغ من جرد المصطلحات التي استعملتها هذه الأدبيات المعاصرة.

صحيح أن هذه الأدبيات متفاوتة القيمة والأصالة فيما يمكن أن تمدنا به من ألفاظ فنية اصطلاحية حاملة للتصورات المعرفية لحقائق هذا الحقل، ولكنها مع ذلك لازمة جميعًا. وكل توسع في جمعها، وجرد ما فيها من هذه الألفاظ الفنية المختصة قضية ضرورة منهجية بالأساس.

وفي هذا السياق يمكن تقسيم هذه الأدبيات قسمين ظاهرين، هما:

أولاً: أدبيات جيل الرواد من المنظرين لهذا العلم في العصر الحديث، وهي الأدبيات التي أنجزها: أ. المعلمي اليمني، وأ. عبدالسلام هارون، ود. رمضان عبد التواب، من العرب، وبرجستراسر، وجان سوفاجيه وريجيس بلاشير من الغرب، بصورة أساسية، مع ما يضاف إليها من محاولات غير مكتملة ولا مستوعبة، من أعمال الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، ومن قبلها الدكتور محمد مندور، ومقدمات المحققين بالمستشرقين لما نشره من نشرات نقدية لمجموعات من النصوص التراثية.

وقد تنبه - مثلاً - الأستاذ عبد السلام هارون رَحْمَةُ اللَّهِ إِلَى صنع كشاف (فهرس) للمصطلحات الدترة في كتابه: تحقيق النصوص ونشرها، وتعهده بالإضافة والزيادة عليه من طبعة لأخرى؛ فقد تضمن كشافه الطبعين الأولى ١٩٥٤م، والثانية ١٩٦٥م نحو خمسين مصطلحًا، على حين تضمن كشاف الطبعين الثالثة والرابعة ١٩٧٦م خمسة وخمسين مصطلحًا، وكان مما زاد فيها المصطلحات التالية:

أ. إجازة التصحيح. ب. الإغارة على الكتب.

ج. الحروف المشابهة. د. الضبة.

هـ. النسخة الأم. و. النقط المغربي.

وظاهر جدًّا من هذا النموذج العملي ما يمكن أن ترفدنا به هذه الأدبيات المعاصرة لمعجم متوقع بجميع مصطلحيات هذا العلم الجليل.

٢ / ٢ الأدبيات التراثية والمعاصرة في حقل علم مصطلح الحديث النبوي:

من العلوم المبكرة في تاريخ العلم عند المسلمين علم مصطلح الحديث النبوي، الذي ظهر من غاياته ضبط نقل الحديث النبوي الشريف، وحفظه، وصيانتة.

وهذه الغايات تلتقي في بعض جوانبها مع غايات علم تحقيق النصوص التراثية ونقده، الذي يستهدف العناية بالنصوص التراثية، ومعالجتها، وخدمتها، وتوثيق معلوماتها، وإقامة الدليل على صحة قراءتها، وضبطها؛ لتخرج على وفاق مراد أصحابها.

ومن ثم كانت الأدبيات الخاصة بعلم مصطلح الحديث مصدرًا أصيلًا من مصادر مصطلحية علم تحقيق النصوص ونقده في كثير جدًّا من مراحل العمل فيه؛ بدءًا من النسخة، ومرورًا بالمقابلة، والتصحيح، والتوثيق، وانتهاءً بالتدوين والحفظ.

ويعد علم مصطلح الحديث أعظم مصادر مصطلحية علم تحقيق النصوص ونقده على الحقيقة؛ لهذا التقارب بين غايات العلمين.

وصور أدبيات مصطلح الحديث التي يمكن أن ترفد مصطلحية علم تحقيق النصوص التراثية ونقده - متنوعة، يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: الأدبيات التراثية؛ بدءاً من الرامهرمزي (ت ٢٦٠هـ) في كتابه: المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، وانتهاء بالجزائري الدمشقي (ت ١٣٣٨هـ) في كتابه: توجيه النظر إلى أصول الأثر، ومروراً بقاتمة طويلة جداً من أدبيات هذا الحقل المعرفي المتنوعة، من جهة أنساق التأليف، وكثافة حجوماً، وما إلى ذلك.

ومن علماء هذا القسم الذين تركوا أدبيات لا غنى عنها في هذا السياق:

- ابن فارس اللغوي (ت ٣٩٥هـ) في: مأخذ العلم.
- والإمام أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) في: معرفة علوم الحديث.
- والخطيب البغدادي (ت ٤٦٧هـ) في الجامع، والكفاية، والموضح.
- والقاضي عياض اليحصبي (ت ٥٤٤هـ) في الإلماع.
- وابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ) في: المقدمة.
- والنووي (ت ٦٧٦هـ) في: التقريب.
- وابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ) في: الاقتراح.
- وابن كثير (ت ٧٧٤هـ) في: اختصار علوم الحديث.
- وابن الملقن (ت ٨٠٤هـ) في: أنواع علوم الحديث.
- والسيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) في: المختصر في أصول الحديث.
- وابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) في: النخبة، ونزهة النظر (شرح النخبة).
- والسيوطي (ت ٩١١هـ) في: تدريب الراوي.
- وابن الحنبلي (ت ٩٧١هـ) في قفو الأثر.
- والشنشوري (ت ٩٩٨هـ)، في تحقيق المختصر.
- وأبو المحاسن يوسف الفاسي (ت ١٠٥٢هـ) في: طرفة الطرف.
- والحافظ ابن الأهدل (ت ١١٩٧هـ) في: المنهل الروي.
- والصبان (ت ١٢٠٦هـ) في: مصطلح الحديث.

- [انظر سهمة هذه الأدبيات فيما تقدمه من اصطلاحات حديثة، ومن ثم تحقيقية: معاجم المصطلحات الحديثة العربية المعاصرة: دراسة معجمية وصفية نقدية، للدكتور خالد فهمي، دار المقاصد، القاهرة، ٢٠١٦م (ص ٥٢ - ٩٠)].

ثانيًا: الأدبيات المعاصرة في علم مصطلح الحديث:

وهذا النوع كثير، متنوع الحجم، وأنساق التصنيف، وإن غلب على الكتب المدرجة تحته الاجترار، وعدم الإضافة.

ثالثًا: معاجم المصطلحات الحديثة العربية المعاصرة:

وهذا النوع من الأدبيات كثير، ومتنوع المناهج، والمدارس التصنيفية.

وقد توسع الدكتور خالد فهمي في جمعها، ودراستها، وتصنيف مدارسها، واتجاهاتها في كتابه: معاجم المصطلحات الحديثة العربية المعاصرة [دار المقاصد، القاهرة، ٢٠١٦م].

وقد فطن هذا الكتاب إلى التأثير المباشر لمصطلح الحديث في تأسيس الجهاز الاصطلاحي لعلم تحقيق النصوص التراثية ونقده في مبحث مستقل (ص ٢٨٣ - ٢٨٩) بعنوان: "تأثير مصطلح الحديث في مصطلحية علم تحقيق النصوص التراثية، ونقده".

ومما جاء في نهايته (ص ٢٨٩) قوله: "إن فحص ما سكن بنية علم التحقيق، وجهازه الاصطلاحي يثبت التأثير القوي لمصطلح الحديث فيه. ولعلنا لا نبالغ إن قلنا إن هذا التأثير يفوق في وزنه أشكال تأثير مصطلح الحديث في العلوم الأخرى.

وهو ما أظهر - تبعًا لذلك - تأثيرًا واضحًا في الجهاز الاصطلاحي لعلم الكتاب المخطوط بالحرف العربي على مستوى مفردة التحقيق، أو غيرها من أعمدة هذا العلم المعاصر".

٣ / ٢ معاجم مصطلحات التاريخ الإسلامي في العربية:

تأسس علم التاريخ عند المسلمين - متأثرًا في بعض جوانب هذا التأسيس - على أمرين مرتبطين ارتباطًا مباشرًا ووثيقًا بعلم مصطلح الحديث، هما:

أولاً: نقل منهج الرواية والإسناد في الكتابة الإخبارية.

ثانيًا: استعمال قطاع كبير من الجهاز الاصطلاحي المتعلق بالرواية، والإسناد، والتصحيح، ومقابلة الأخبار.

وهذان الجانبان يلتقيان مع بعض غايات صنعة تحقيق النصوص التراثية، والإجراءات المتبعة فيها عند معالجة النصوص؛ بهدف تصحيحها تصحيحًا علميًا، وتوثيقها، وتحريها، وهي عمليات التحقيق كما استقرت في التقاليد المعاصرة.

ومن مجمل ذلك يظهر أن الجهاز الاصطلاحي لعلم التاريخ الإسلامي يتضمن طائفة ضخمة من المصطلحات المشتركة التي يستعملها علم تحقيق النصوص التراثية.

وهو ما يجعل معجمات مصطلحية التاريخ الإسلامي بمدارسها المختلفة، المحقبة (أي المختصة بتحرير مصطلحات التاريخ الإسلامي المتعلقة بحقبة تاريخية بعينها)، أو المستوعبة - مصدرًا من المصادر الأساسية للمعجم الموسوعي لمصطلحات تحقيق النصوص التراثية المقترح. ويعد كتاب مصطلح التاريخ، للدكتور أسد رستم مثالًا ممتازًا لهذا النمط من الأدبيات والكتابات التي تمتلئ بحصيلة ممتازة من المصطلحات اللازمة لحقل التحقيق.

٢ / ٤ معاجم مصطلحات البحث العلمي ومناهجه المختصة بالتراث العربي:

ثمة محاولات معاصرة اتجهت إلى فحص مصطلحات البحث الأدبي وغيره في التراث العربي، بالإضافة إلى محاولات معاصرة أيضًا اجتهدت في فحص ملامح المنهج العلمي الذي اتبعه العلماء المسلمون.

وهذه الأدبيات - على قلتها الظاهرة - تضمنت بحكم موضوعها ومجالها عددًا كبيرًا من المصطلحات الواقعة في الصميم من مشاغل حقل تحقيق النصوص التراثية.

ومن الممكن التمثيل بعدد من هذه الأدبيات التي نرى فيها مصدرًا مهمًا وأساسيًا من مصادر هذا المعجم الموسوعي المقترح لمصطلحات علم تحقيق النصوص التراثية، وهي كما يلي:

أ. مصطلحات البحث والتأليف الأدبي عند العرب، للدكتور أحمد جاسم النجدي [ضمن كتاب المورد: دراسات في اللغة، بغداد، العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٦م] (ص ١١٧ - ١٤٤). ومما جاء فيه من مصطلحات تحقيق النصوص التراثية: التحرير/ المعارضة/ التعليق/ المقابلة/ النسخ.

- ب. معجم مصطلحات البحث العلمي، للدكتور عبد الله بن محمد أبو داهش [مكتبة العبيكان الرياض، ١٤١٨ هـ = ١٩٩٨ م]. ومما جاء فيه من مصطلحات التحقيق ما يلي:
- النسخة الأم/ النسخة الثانوية/ الوجداء/ الوراق.
 - ج. مجموعة كبيرة من أدبيات مناهج البحث عند المسلمين، من مثل:
 - ثقافة الكاتب العربي، للدكتورة تغريد حسن عبد العاطي، القاهرة، ٢٠١٠ م.
 - مناهج البحث في العلوم الإنسانية بين علماء المسلمين وفلاسفة الغرب، للدكتور مصطفى حلمي، الإسكندرية، ١٩٩١ م.
 - مناهج البحث عند مفكري الإسلام، للدكتور علي سامي النشار، القاهرة، ٢٠٠٨ م.
 - مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، للدكتور فرانتز روزنتال، ترجمة: أنيس فريجة، بيروت ١٩٨٤ م.
 - منهج البحث التاريخي والتدوين التاريخي عند العرب، للدكتور محمد عبد الكريم الوافي، بنغازي، ١٩٩٠ م.
 - ومما تضمنته من مصطلحات في التحقيق ما يلي:
 - تصحيح النص/ النسخ/ المقابلة/ وغير ذلك.
- وفحص هذه الأدبيات، ووجد ما تضمنته من مصطلحات أمر مهم جداً على طريق الإعداد لصناعة هذا المعجم الموسوعي المقترح لمصطلحات تحقيق النصوص التراثية في المجال العربي.

٢/ ٥ أدبيات علم المخطوط العربي (معجمات مصطلحاته):

- يعد تحقيق النصوص فرعاً من فروع الكوديكولوجي/ أو علم المخطوط بالحرف العربي في كثير من الأدبيات التي حددت حدود الخريطة المعرفية لحامل هذا العلم.
- وهو الأمر الذي يجعل من هذه الأدبيات ومعجمات مصطلحاتها مصدرًا أصيلاً وأساسياً لمصطلحات علم تحقيق النصوص التراثية في اللغة العربية في العصر الحديث.
- وتقفز إلى الذهن - هنا - مجموعة من الأدبيات المعاصرة لعلم الكوديكولوجي التي تحتفظ بطائفة كبيرة من مصطلحات التحقيق، يتمثل أشهرها فيما يلي:

أ. أدبيات علم المخطوط في الثقافة العربية المعاصرة، للدكتور عبد الستار الحلوجي، في علم المخطوط، والدكتور قاسم السامرائي، في علم الاكتناه.

ب. أدبيات علم المخطوطات المنقول إلى العربية من لغات أجنبية، مثل كتاب فرانسوا ديروش: المدخل إلى علم المخطوط العربي، وغيره.

ج. معجمات مصطلحات الكوديبولوجي في اللغة العربية، مثل معجم الدكتور أحمد شوقي بنين والدكتور مصطفى طوبي.

د. معجمات مصطلحات الكوديبولوجي المنقول إلى العربية من لغات أخرى، مثل معجم آدم جاسك: تقاليد المخطوط العربي، والمرجع في المخطوط العربي، وغيرهما.

والحقيقة أن هذا النوع الأخير - هنا - من المصادر التأسيسية يمثل قيمة بارزة؛ بسبب تعامله مع تحقيق النصوص بوصفه فرعاً أصيلاً من فروع حقل علم المخطوط.

وثمة مصادر أخرى تلي هذه الأنواع السابقة في الأهمية من جانب، وفي كثافة جمعها لقطاع من المصطلحات المتعلقة بعلم تحقيق النصوص التراثية، يمكن إجمالها في رءوس العنوانات التالية:

أولاً: معاجم المصطلحيات العربية، من مثل: التعريفات للسيد الشريف الجرجاني (٨١٦هـ) وغيره.

ثانياً: أدبيات تصنيف العلوم، وموضوعاتها، من مثل كشف الظنون، لحاجي خليفة (ت ١٢هـ) وغيره.

ثالثاً: أدبيات نقد تحقيق النصوص، مثل: قطوف أدبية، لعبد السلام هارون، وغيره.
رابعاً: أدبيات فهرسة المخطوطات.

خامساً: أدبيات الدراسات التراثية، وتاريخ التراث العربي، وغيرها.

سادساً: الكشافات المستقلة وغير المستقلة التي صدرت، أو لحقت بعدد من الكتب التراثية، وضمنت كشافات للمصطلحات.

وقد توسع هذا البحث في رصد مصادر مصطلحات تحقيق النصوص قصداً؛ لأسباب كثيرة، منها:

- أ. إرادة خدمة المقترح بصورة مستووعة.
- ب. عدم وجود دراسات سابقة معينة برصد مصادر مصطلحية علم تحقيق النصوص التراثية.
- ج. خطر قضية جمع مصطلحات هذا العلم، من النواحي المعرفية، والحضارية، واللسانية.
- د. ضمان تحقيق أعلى نسبة استيعابية لمصطلحات العلم المقترح جمعها في معجم موسوعي؛ مما يمثل رصيلاً مصطلحياً لمادة مصطلحات هذا الميدان المعرفي.
- هـ. ضمان الوقوف على قدر كبير من السياقات المتنوعة التي ترد فيها مصطلحات تحقيق النصوص، وهو ما يعين على إنجاز ما يلي:
- أولاً: استيعاب الفروق بين المصطلحات المتقاربة في المعنى.
- ثانياً: استيعاب المصطلحات المترادفة.
- ثالثاً: استيعاب التطورات التي أصابت طائفة من هذه المصطلحات.
- رابعاً: استيعاب الفروق الناشئة من استعمال المدارس، والجغرافيا المختلفة لمصطلحات تحقيق النصوص.
- خامساً: الوقوف على الفروق الاستعمالية بين التقاليد الاستشراقية، والتقاليد العربية لكثير من مصطلحات هذا الحقل المعرفي.
- سادساً: التمهيد لفحص نسب تأثير المصادر الاستشراقية، والمصادر التراثية في تأسيس التقليد العربي المعاصر في ميدان تحقيق النصوص التراثية.
- سابعاً: إتاحة الفرصة أمام جمع مادة المعلومات الموسوعية؛ من أسماء المحققين، وأسماء كتبهم، والمعاهد العلمية المعنية بتحقيق النصوص، وأسماء الدوريات العلمية، والمراجع التأسيسية.

٣/ نحو معجم موسوعي لمصطلحات صنعة تحقيق النصوص التراثية: نموذج عملي:

- تقرر برامج صناعة المعجم الحديث أن أي معجم حديث يلزم له معالجة قسمين، هما:
- أ. واجهة المعجم؛ أي عنوانه، ومقدمته.

ب. متن المعجم؛ أي صلبه، ومادة مداخله، والمعلومات التي تنهض بالتعليق عليها. وهو ما يلزم العناية بمعالجتهما في هذا المعجم الموسوعي المقترح؛ إذ تنهض المقدمة ببيان ما يلي:

أولاً: طبيعة هذا المعجم المقترح، وأنه معجم موسوعي مختص، يعنى بتحرير المصطلحات المستعملة في ميدان حقل تحقيق النصوص التراثية، ونقده، مع إضافة نوع معالجة لمجموعة من الأسماء الأعلام، والأماكن، والمؤسسات، والكتب؛ إلخ، تمثل نوعاً من الاصطلاحات في المجال؛ بحكم انتهائه إلى المعجمية الموسوعية.

ثانياً: الغاية والهدف من هذا المعجم (وهي أهداف معرفية بالأساس لخدمة تحقيق النصوص).

ثالثاً: طبيعة المستعملين المتوقعين الذي يروم المعجم الوصول إليهم.

رابعاً: إرشادات الاستعمال.

خامساً: الاختصارات والرموز المستعملة في المعجم.

سادساً: مصادر جمع مادته.

سابعاً: طريقة توثيق الاستشهادات المرجعية.

ثامناً: المنهج ونظام ترتيب المداخل، ويفضل أن ترتب المداخل / المصطلحات فيه ترتيباً هجائياً ألفبائياً جذعياً، يراعي منطوق المصطلحات، وفق شكل تداوله واستعماله في العلم من غير اللجوء لتطبيقات تقنية الترتيب الجذري؛ إنعاماً في التيسير، ومواكبة للشائع في أنظمة الترتيب المعاصرة، مع ضرورة الوفاء بتطبيقات الإحالة المعجمية، عند وجود ضرورة بين مداخل المعجم؛ تحقيقاً لمبدأ التماسك المعجمي بين المفاهيم المترابطة، والمتقاربة، والمتداخلة.

وفيما يلي تحرير لنموذج من مصطلحات هذا الحقل تحريراً عملياً يكشف عن طريقة

العمل المقترح الذي ندعو إلى إنجازه:

(التحقيق):

مصدر حقق الشيء يحققه، انتقل إلى الاسمية، وأصل دلالته دائر على: إحكام الشيء؛

يقول ابن فارس في معجمه: مقاييس اللغة (ح ق) [٢ / ١٥، تحقيق عبد السلام هارون،

مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط (٢) ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م]: "الحاء والقاف: أصل واحد، وهو يدل على إحكام الشيء وصحته". وهو ما يصل بالأمر ليكون يقينياً. وانتقل بهذه الدلالة الأصيلة إلى ميدان علم تحقيق النصوص التراثية؛ يقول الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه: مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين [ص / ٥، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١ ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م]: "تحقيق النص معناه: قراءته على الوجه الذي أراده عليه مؤلفه، أو على وجه يقرب من أصله الذي كتبه به هذا المؤلف". ثم يقرر أن من الخطأ حصر تحقيق النص في إعدادة للنشر، يقول: "وقد قر في أذهان الناس خطأ أن المراد بتحقيق النص إعدادة للنشر حسب القواعد المتبعة فحسب. وليس الأمر كذلك تماماً، فإن أي باحث ... مطالب بتحقيق النص الذي يستنبط منه نتائج معينة، قبل أن يقدم على استنباط هذه النتائج".

وهذا التعريف راعى التصور العلمي، والغائي لمصطلح التحقيق، وهو ما كشفت عنه كلماته عندما عينت غايته. ورسمت خريطته وحدوده، وهو امتداد لما استقر من لدن عبد السلام هارون في كتابه التأسيسي.

ويقول الأستاذ محمد صالح إبراهيم فرحات (ص ١٥٧) [مفهوم التحقيق: الغاية والأداء، دار الفاروق، ط (١) ١٤٣٧ هـ = ٢٠١٦ م]: "التحقيق هو خدمة للنص ذاته خدمة ظاهرة في بنيته الداخلية - المتن، وخدمة للنص من خارجه عن طريق الهامش، ومباحث ضرورية تقدم قبل النص، وفهارس تفصيلية كاشفة جامعة لمحتوياته وأجزائه وتأتي عقبه".

وهذا التعريف راعى حدود المقصود بالتحقيق، وراعى الإجراءات اللازمة، وراعى العمليات الأساسية، وإن فاته ذكر: الملاحق، وتقييد الخدمة بقيد الوثيقة!

ويعرفه آدم جاسك Adam Gacek في كتابه (المرجع في علم المخطوط العربي، ترجمة: مراد تدغوت، ومراجعة فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ط (١) ١٤٣٧ هـ = ٢٠١٦ م) (ص ٤٠٦ / نقد النص وتحقيقه)، فيقول: "هو التأكد من النص الحقيقي الذي أراده المؤلف. وبعبارة أخرى: هو أسلوب إرجاع النصوص إلى شكلها الأصلي - بقدر الإمكان - من خلال تحرير العلماء".

ويعرف (معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي)، للدكتور أحمد شوقي بنين، والدكتور مصطفى طوي [الخزانة الحسنية، الرباط، المغرب، ط (٣) سنة ٢٠٠٥م (ص / ٧٤)]، فيقول: "التحقيق: إخراج نص معين في شكل أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه اعتمادًا على المقارنة بين كل النسخ التي بقيت من الكتاب، وهو مصطلح حديث".

وتجمع هذه التعريفات على مفهوم أساسي يحيط بحقيقة، هي الدوران حول إصدار نص مراجع، موثق يستهدف الاقتراب أو مطابقة ما تركه المؤلف للنص مشغلة التحقيق.

ومن مجموع تعريفات مصطلح التحقيق تتضح حدود مفهومه وتصوره فيما يلي:

أولاً: المقدمات، أو المكملات القبلية التي تسبق النص المحقق عند الإخراج، وفيها:

١. كلمة كاشفة عن النص، وأهميته، ودوافع تحقيقه، أو إعادة تحقيقه إن كان سبق نشره.

٢. صنع قائمة بالمؤلفات في متن النص؛ لبيان منزلة النص مشغلة التحقيق من تاريخ

التأليف في فنه.

٣. دراسة النص، وتحليل منهجه الذي يلزم معه بيان:

أ. نوع النص من جهة النسق التألفي (متن أو شرح أو حاشية؛ إلخ).

ب. الانتماء المعرفي للنص (أو فنه وحقله المعرفي) مع الدليل.

ج. بنيته الكبرى (هيكل النص).

د. بنيته الصغرى (مجموعة المعلومات الداخلية، خريطة ترتيبها).

هـ. توثيق نسبة النص، وهويته إلى صاحبه، مع إقامة الدليل الداخلي والخارجي.

وهذه هي الدراسة الفيلولوجية للنص، التي ترعى موضوعه أو متنه أو مادته.

٤. دراسة الوعاء الحامل للنص، ووصف النسخ المخطوطة، ويلزم منها بيان:

أ. الوصف المادي للنسخ الكلي (عدد الصفحات، ومقاس الصفحة، وعدد سطورها).

ب. الوصف المادي التفصيلي (نوع الخط ولوازم النسخ في الكتابة، والألوان المستعملة فيها، وطريقة ترتيب الصفحات (بالترقيم أو التعقيبات)، ووصف خوارج النص من التمليكات، والسماعات، والحروود والحواشي... إلخ.

ج. بيان معلومات النسخ من اسم النسخ وتاريخ النسخ ومكانه؛ إلخ.

د. بيان منزلة النسخ.

٣. بيان منهج التحقيق وإجراءاته.

٤. إلحاق تصورات للنسخ المخطوطة.

ثانياً: النص المحقق.

ثالثاً: الملاحق (إن وجدت).

رابعاً: الكشافات.

ومن المجموع تعريفات مصطلح التحقيق، يتضح انضواء العمليات التالية في حدوده المعرفية:

أولاً: اختيار النص مع إيضاح مسوغات الاختيار.

ثانياً: جمع نسخ النص المخطوط.

ثالثاً: ترتيب منازل النسخ، لاتخاذ قرار بشأن منهج التحقيق.

رابعاً: نسخ النص (قراءته وضبطه وأداؤه مقروءاً).

خامساً: التعليق على النص ومعالجته، وتخراج محتوياته، ونقوله، وتوثيق ذلك كله.

سادساً: المقابلة، واتخاذ قرار حاسم بعد الفراغ من التعليق والتوثيق بشأن ما يوضع في متن النص، وما ينقل فيثبت في الهوامش.

سابعاً: صناعة ما يلزم النص من ملاحق عند الضرورة.

ثامناً: تكشيف النص، مع تفصيل التوسع في تكشيف المكونات الصغرى من المعلومات، مع رعاية معايير التيسير والتوفير على المستعمل.

ويظهر من مراجعة أدبيات المصادر المختلفة التي عرفت مصطلح التحقيق وجود مرادفات تامة تستعمل بمعناه، وهي:

١. التصحيح العلمي للنص (عند المعلمي).

٢. قراءة النص (عند محمود شاكر).

٣. نقد النص (في التقاليد الاستشراقية).

التحقيق الابتدائي.

التحقيق النهائي.

مراجع للاستزادة:

١. مناهج تحقيق النصوص بين القدامى والمحدثين، للدكتور رمضان عبد التواب.
٢. مقدمة في المنهج، للدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ).
٣. المرجع في علم المخطوط العربي، لأدم جاسك، ترجمة: مراد تدغوت، ومراجعة: د. فيصل الحفيان.
٤. مفهوم التحقيق: الغاية والأداة، لمحمد صالح.
٥. أنشودة المتن والهامش: نحو إحياء جديد لعلم تحقيق النصوص التراثية، للدكتور خالد فهمي، تحرير: هالة القاضي.

٤/ المعجم الموسوعي المقترح لمصطلحات علم تحقيق النصوص التراثية:

خطاب الوظائف والمقاصد:

من المسائل المهمة الجديرة بالفحص مراجعة الدعوة إلى صناعة المعجم الموسوعي المقترح لمصطلحات علم تحقيق النصوص التراثية، في ضوء المظنون من وظائفه ومقاصده المتوقعة أو المنشودة.

ولعل ما تقدم في واحد من مطالب هذا البحث كاشف عن وجود مجموعة من الدوافع وراء هذه الدعوة إلى إنجاز هذا المعجم الموسوعي المقترح.

١ / ٤ وقد تقدمت مجموعة الدوافع التي نجملها في: الدوافع العلمية المعرفية، واللسانية والحضارية، وهي نفسها مجموعة الوظائف المتوقع إنجازها من طريق هذا المعجم الموسوعي المقترح.

٢ / ٤ أما المنشود أن ينهض به هذا المعجم الموسوعي المقترح على مستوى الغايات أو الأهداف، فيكمن في جملة من المقاصد المتوقعة، نجملها فيما يلي:

أولاً: المقصد الديني (حفظ الدين)؛ ذلك أن ظهور المعجم الموسوعي لمصطلحات علم تحقيق النصوص التراثية - بما سيسهم به من تطوير مباحث هذا العلم - سيرقى بالنصوص التي ستحقق، وفي هذا التحقيق خدمة لتراث الأمة الذي ظهر في مجمله خدمة للكتاب العزيز والسنة المطهرة، بما هو أساس فاعل في حركة العلم في الحضارة العربية الإسلامية.

ثانياً: المقصد الحضاري؛ ذلك أن تطوير علم تحقيق النصوص، وضبط الجهاز المفاهيمي من طريق تحرير تصورات مصطلحاته، سيسهم بالتبعية في ترقية مسائل علم التحقيق، وترقية النصوص المحققة، وترقية ما يترتب على هذه النصوص من أعمال في الحياة والوجود.

ثالثاً: المقصد التيسيري؛ ذلك أن كل منجز يستهدف ضبط التصورات هو بالضرورة مانع من التعسير، ومحقق للتيسير على جملة الطلاب والباحثين والدارسين في مجال التحقيق، وهو ما يعني ما يلي:

أ. رفع الحرج والمشقة على المعلمين في هذا المجال.

ب. رفع الحرج والمشقة على الباحثين في هذا المجال.

رابعاً: مقصد حفظ العقل: بتحرير التصورات في العلم هذا، ومنع تطرق الاختلاط في المفاهيم في هذا المجال، وتحقيق تقويم الخلل، وتسديد النظر لما فرط من آراء وتصورات في الأدبيات السابقة.

خامساً: مقصد حفظ المال: إن ضبط التصورات وتحرير المفاهيم مانع من الاختلاط والالتباس، وهو ما يوفر وقتاً للدارسين، ويوفر جهداً عليهم، وهو ما يترجم في صور مانعة من الهدر الاقتصادي.

سادسًا: مقصد أخلاقي: إن هذا المعجم الموسوعي المقترح - بما سيضمه من مداخل لأجيال من أعلام الرواد في مجال التحقيق، والتنظير له - سيحقق عمليًا مجموعة من الأخلاق النبيلة، من الوفاء لهم، والإشادة بمنجزهم، وإثبات آرائهم، وهو نوع تقدير لإسهامهم، مفض إلى شكرهم شكرًا عمليًا.

خاتمة:

إن هذا البحث غطى أربعة مطالب، هي:

١. دوافع الدعوة إلى هذا المعجم الموسوعي المقترح وأهميته.
٢. مصادر هذا المعجم الموسوعي المقترح.
٣. عرض نموذج عملي لمصطلح التحقيق.
٤. وظائف هذا المعجم الموسوعي المقترح ومقاصده.

وقد كشف هذا البحث عن جملة من النتائج، وهي:

أولًا: ظهور الأهمية المعرفية والعلمية، والحضارية واللسانية وراء هذه الدعوة إلى إنجاز هذا المعجم الموسوعي المقترح.

ثانيًا: ظهر تنوع في المصادر المتاحة التي يمكن اعتمادها في إنجاز هذا المعجم الموسوعي المقترح، من مثل:

- أ. أدبيات المنظرين لمسائل علم التحقيق في التقليديين الاستشراقي والعربي.
- ب. أدبيات علم مصطلح الحديث النبوي.
- ج. معاجم مصطلحات التاريخ الإسلامي.
- د. معاجم مصطلحات البحث العلمي التأليفي.
- هـ. أدبيات علم المخطوط العربي (الكوديكولوجيا).

ثالثًا: الكشف عن جملة من الوظائف والمقاصد المحيطة بالدين، والعقل، والمال، تدعم الدعوة إلى إنجاز هذا المعجم الموسوعي المقترح لمصطلحات علم تحقيق النصوص التراثية.

المراجع:

١. أصول نقد النصوص ونشر الكتب، لبرجستراسر، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦ م.
٢. أنشودة المتن والهامش: نحو إحياء جديد لعلم تحقيق النصوص التراثية، للدكتور خالد فهمي، تحرير هالة القاضي، دار النشر للجامعات، القاهرة، ٢٠١٥ م.
٣. تحقيق النصوص ونشرها، للأستاذ عبد السلام هارون، مطبعة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة (ط٢) ١٩٦٥ م و (ط٤) ١٩٧٦ م.
٤. المرجع في علم المخطوط العربي لأدم جاسك، ترجمة: مراد تدغوت، مراجعة: د. فيصل الحفيان، معهد المخطوطات ٢٠١٦ م.
٥. معاجم المصطلحات الحديثة العربية المعاصرة: دراسة معجمية وصفية نقدية للدكتور خالد فهمي، تقديم الدكتور سعد مصلوح، دار المقاصد، بالقاهرة، ٢٠١٦ م.
٦. معجم مصطلحات البحث العلمي، للدكتور محمد أبو داهش، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٦ م.
٧. مفهوم التحقيق، لمحمد صالح، دار الفاروق، الإسكندرية.
٨. مقدمة في المنهج، للدكتور عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة، ١٩٦٥ م.
٩. مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، للدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٦ م.

٦/١

من نماذج التطوير الإداري في المنهجية الإسلامية المعاصرة
العناية بالاصطلاحات الفقهية
في مجلة الأحكام العدلية (المجلة)
الملاحم والوظائف



مدخل: تاريخ طويل من رعاية برامج إدارة الدولة في الفكر الإسلامي:

كان للنظر إلى الإسلام بوصفه ديناً يتنظم شؤون الحياة جميعاً، أثره في ظهور العناية بالفقه السياسي، أو السياسة الشرعية في تراث الحضارة العربية الإسلامية العلمي، وتمددت صور هذه العناية بالتأليف في التراتيب الإدارية للدولة الإسلامية، بدءاً من تاريخ الحكومة النبوية، وما تلا ذلك من عصور زمنية امتدت إلى العصر الحديث.

ونشأ في رحاب هذا العلم، ودار في فلكه مجموعة من المباحث الفرعية المهمة التي كانت أئراً لتطور العلم في مجال السياسة الشرعية من جانب، وأسهمت في ترقيته وتحديثه، والاقتراب بمعالجاته وبحوثه من روح العصر الحديث؛ بسبب من أمور كثيرة تتعلق بطبيعة العلاقة مع الأمم الأخرى من جانب، وبالانفتاح على المنجز القانوني في هذه الأمم من جانب آخر، وبسبب التطور والتنظيم الذي أصاب فروع علم القانون في العصر الحديث من جانب أخير.

ومما كان من علامات الاستجابة لمطالب ترقية مباحث السياسة الشرعية من جانب اللسانيات، أو علم اللغة ما يلي:

أولاً: عناية كثير من المعجمات اللغوية ذات الصبغة الموسوعية بلغة الفقه السياسي أو السياسة الشرعية أو اصطلاحاتها، في مثل: لسان العرب، لابن منظور (ت ٧١١هـ)، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي (ت ٨١٦هـ).

ثانيًا: استقلال التصنيف في المصطلحات في مجالات الأصول، والفقه، والتاريخ السياسي في تاريخ المعجمية العربية عند العرب المسلمين، حتى ظهرت قطاعات كاملة من المعجمات المختصة بهذه الميادين العلمية، كانت مشغلة عدد من الدراسات المعجمية واللسانية المعاصرة.

ثالثًا: الاستجابة المؤسسية المعاصرة لإعادة كتابة الاصطلاحات الأصولية والفقهية بصورة معاصرة، تتسم بالتقنين والتنظيم.

وهذا البحث يروم فحص واحدة من التجارب الرائدة في مجال العناية بالمصطلح الفقهي، وتنظيمه وتقنيته في العصر الحديث؛ بما هي نموذج للتطوير الإداري، والقانوني، والدستوري في المنهجية الإسلامية من جانب، وبما يعكس المرونة الذاتية التي يمتلكها التصور الإسلامي نحو الإصلاح الدستوري والقانوني والإداري.

وهذه التجربة ماثلة في منجز: مجلة الأحكام العدلية، "التي تحتوي على القوانين الشرعية، والأحكام العدلية المطابقة للكتب الفقهية"، التي تعد (دستورًا) تعلقت به إرادة الباب العالي في فترة الخلافة العثمانية، بعد إقرار التقرير الذي قدمه عدلي باشا الصدر الأعظم بشأنها في غرة المحرم سنة ١٢٨٦هـ.

ويتناول هذا البحث بالمعالجة المطالب التالية:

١. المصطلح الفقهي: التصور والحدود والتطور.
٢. مجلة الأحكام العدلية: مقالة في التصنيف!
٣. حدود معالجة المصطلح الفقهي في مجلة الأحكام العدلية وكثافته.
٤. المصطلح الفقهي في المجلة: مقالة في معالجة شرح المعنى.
٥. المصطلح الفقهي في المجلة: مصادره، ووظائفه.

وفيما يلي بيان كل مطلب من هذه المطالب:

١/ المصطلح الفقهي: التصور والحدود والتطور:

١ / ١ التصور:

المصطلح الفقهي جزء من اصطلاح أوسع عرف في فقه العربية تراثياً باسم: المصطلحات العربية الإسلامية، وهي تلك الثروة اللفظية التي ظهرت بأسباب إسلامية في الأساس.

وهذا يعني أن مجيء الإسلام، ونزول الوحي الكريم، وتأسيس الفقه - بما هو البيان عن تكليفات الله تعالى للإنسان الذي ارتضى الإيمان به ومتابعة نبيه الخاتم ﷺ - هو السبب المباشر الذي أنتج مدونة مصطلحية الفقه؛ مما يعني الإقرار بأن هذه المدونة ظهرت بطريق قصدي عمدي لحمل التكاليف والأوامر العملية للمسلمين.

إن المصطلح الفقهي لفظ لغوي، له معناه في اللغة، ثم جاء الإسلام من خلال علم الفقه، فنقل دلالات هذه الألفاظ بوساطة قوانين لغوية؛ من تعميم وتخصيص وانتقال دلالي من غير طريقها؛ لتكون هذه الألفاظ خاصة بحقائق هذا العلم، وهذا النقل العمدي المقصود هو أول ما ميز لغة الاصطلاح الفقهي.

إن تصور مصطلحية الفقه يدور حول مجموعات الألفاظ المستعملة في التعبير عن حقائق علم الفقه؛ بما هو معرفة الأحكام العملية من أدلتها التفصيلية.

وهذا التصور حاسم في التمييز بين مجالات يمكن أن يقع بينها التداخل، وهي: أولاً: ألفاظ الفقه؛ بما هي دوال، أو كلمات حاملة لحقائق علم الفقه؛ بما هو علم بالأحكام العملية.

ثانياً: ألفاظ أصول الفقه؛ بما هي دوال، أو كلمات حاملة لحقائق علم أصول الفقه؛ بما هو علم بالأدلة الكلية.

ثالثاً: ألفاظ أصول الدين؛ بما هي دوال، أو كلمات حاملة لحقائق أصول الدين؛ بما هو علم بالأحكام غير العملية (أو القلبية).

٢ / ١ الحدود:

ومن ثم فإن حدود المصطلحات الفقهية بصورة دقيقة تظهر كما يلي:
أولاً: الألفاظ المعبرة عن الأحكام العملية المرادة من الشارع سبحانه، الموزعة على أبواب الفقه المختلفة؛ من طهارة وصلاة وصيام وحج؛ إلخ.

ثانياً: الألفاظ الدائرة في فلك علم الفقه، مما يرد في الأدلة التفصيلية من ألفاظ لا تعبر عن أحكام عملية، ولكن لا غنى عنها لبيان ألفاظ الأحكام العملية، كمعنى لفظ: قُرُوء في سياق مصطلحات الطهارة، وكمعنى لفظ: الغائط في سياق مصطلحات هذا الباب نفسه؛ إلخ.

ثالثاً: الأسماء الأعلام المستعملة في كتب الفقه، سواء كانت أسماء أعلام إنسانية أو أسماء أعلام الأماكن، أو أسماء أعلام في صورة عنوانات لكتب بعينها.

وهو ما يعني أن مصطلحات أصول الفقه وأصول الدين ليست واقعة في حدود مصطلحية الفقه بالمعنى الصارم الدقيق، وهو ما يفسر استقلال هذين الجهازين الاصطلاحيين بمعجمات مختصة بجزء مصطلحية كل منهما.

٣ / ١ التطور:

إن استقرار خارطة حدود مصطلحية الفقه الإسلامي في هذه الثلاثة الأبعاد لم يولد مرة واحدة، وإنما أخذ عمرًا طويلاً حتى وصل إلى هذه الحدود، وفيما يلي بيان موجز مكثف لرحلة تطور مصطلحية الفقه الإسلامي في نقاط مركزية:

أولاً: مرحلة الاختلاط: بدأ المصطلح الفقهي أول أمره جزءاً من حقل أوسع، هو حقل الكلمات الإسلامية العربية، وهو حقلٌ ضم ألفاظ الفقه والأصول والعقيدة وغريب الكتاب والسنة؛ أي كل ما أظهره مجيء الإسلام، وكان السبب المباشر في وجوده، وهي مرحلة استغرقت القرن الهجري الأول تقريباً.

ثانياً: مرحلة التمايز المبدئي:

في هذه المرحلة حدث تمايز نسبي، ظهر فيه نوع استقلال أحاط بألفاظ الفقه وأصول الفقه معاً.

وهذه المرحلة بدأت مع نشأة الصناعة الفقهية في عهد التابعين وتابعيهم مع توسع نشاط الإقراء والتعليم والاستنباط، وهو أمر منطقي؛ للتعلق والارتباط الواضح بين الفقه وأصوله.

ثالثاً: مرحلة التمايز الدقيق:

في هذه المرحلة حدث تمايز دقيق، ظهر فيه نوع استقلال المصطلحية الفقهية، بحدودها الثلاثة التي اتضحت في الفقرة (٢ / ١) هنا.

وهو الأمر الذي استقرت عليه معالجتها حتى الآن.

وقد اتخذت العناية بمصطلحية الفقه الإسلامي أشكالاً متنوعة، تجلت في الصور التالية:

أ. العناية بمصطلحات الفقه في مدونات الفقه نفسه.

ب. العناية بمصطلحات معاجم المصطلحيات، تلك التي جمعت مصطلحات العلوم المختلفة التي أنتجتها حضارة العلم في ديار العرب والمسلمين.

ج. العناية بمصطلحات الفقه في معاجم خاصة مستقلة بها.

د. العناية بمصطلحات الفقه في أعمال تقنين الشريعة المعاصرة، كما ظهرت في محاولة المجلة، كما نحللها في هذا العمل.

٢ / مجلة الأحكام العدلية: مقالة في التصنيف:

إن فحص التقرير الذي تقدم به الصدر الأعظم عدلي باشا في غرة المحرم سنة (١٢٨٦هـ) بشأن مجلة الأحكام العدلية، يكشف عن أن هدفها تسهيل الأخذ، والتعامل مع المعاملات الفقهية، أو القانون المدني للمسلمين المعاصرين، يقول التقرير (ص ١٦ / ١٨): "بناء على ذلك لم يزل الأمل معلقاً بتأليف كتاب في المعاملات الفقهية يكون مضبوطاً، سهل المأخذ، عارياً من الاختلافات، حاوياً للأقوال المختارة، سهل المطالعة على كل أحد؛ لأنه إذا وجد كتاب على هذا الشكل حصل منه فائدة عظيمة لكل من نواب الشرع، ومن أعضاء المحاكم النظامية، والمأمورين بالإدارة".

وهذا النص واضح في الدلالة على ما قررناه في عنوان هذا البحث، من أن صدور مجلة الأحكام العدلية، وما تضمنته من معالجات المصطلحية الفقهية - يعد شكلاً من أشكال تطوير الإدارة في المنهجية الإسلامية المعاصرة.

وفي شأن بناء المجلة يقرر التقرير (ص ٢٠) ما يلي: "بادرنا إلى ترتيب مجلة مؤلفة من المسائل والأمور الكثيرة الوقوع اللازمة جداً من قسم المعاملات الفقهية مجموعة من أقوال السادات الحنفية الموثوق بها، وقسمت إلى كتب متعددة، وسميت بالأحكام العدلية".

ويقرر التقرير ما أحدثه بشأن معالجة المصطلحات الفقهية في سياقها فيقول (ص ٢٠): "في هذه المجلة حرر في أول كل كتاب مقدمة تشتمل على الاصطلاحات المتعلقة بذلك الكتاب".

وقد جاء بيان أبواب المجلة كما يلي:

- المقدمة، وتحتوي على مقالتين:
- الأولى: في تعريف علم الفقه وتقسيمه.
- الثانية: في بيان القواعد الفقهية.
- وفما يلي بيان لمواقع الاصطلاحات الفقهية من كل كتاب فقهي في المجلة:
- الكتاب الأول: في البيوع:
- المقدمة: في بيان الاصطلاحات الفقهية المتعلقة بالبيوع (من المادة ١٠١ إلى المادة ١٦٦).

- الكتاب الثاني: في الإجازات:

- المقدمة: في الاصطلاحات الفقهية المتعلقة بالإجازات (من المادة ٤٠٤ إلى المادة ٤١٩).

- الكتاب الثالث: في الكفالة:

- المقدمة: في اصطلاحات فقهية تتعلق بالكفالة (من المادة ٦١٢ إلى المادة ٦٢٠).

- الكتاب الرابع: في الحوالة:

- المقدمة: في بيان الاصطلاحات الفقهية المتعلقة بالحوالة (من المادة ٦٧٣ إلى المادة ٦٧٩).

- الكتاب الخامس: في الرهن:
المقدمة: في بيان الاصطلاحات الفقهية المتعلقة بالرهن (من المادة ٧٠١ إلى المادة ٧٠٥).
- الكتاب السادس: في الأمانات:
المقدمة: في بيان الاصطلاحات الفقهية المتعلقة بالأمانات (من المادة ٧٦٢ إلى المادة ٧٦٧).
- الكتاب السابع: في الهبة:
- المقدمة: في بيان الاصطلاحات الفقهية المتعلقة بالهبة (من المادة ٨٣٣ إلى المادة ٨٣٦).
- الكتاب الثامن: في الغصب والإتلاف:
- المقدمة: في بيان الاصطلاحات بالغصب والإتلاف (من المادة ٨٨١ إلى المادة ٨٨٩).
- الكتاب التاسع: في الحجر والإكراه والشفعة:
- المقدمة: في الاصطلاحات الفقهية المتعلقة بالحجر والإكراه والشفعة (من المادة ٦٤١ إلى المادة ٩٥٦).
- الكتاب العاشر: في أنواع الشركات:
- المقدمة في بيان بعض اصطلاحات فقهية (مادة واحدة ١٠٤٥).
- الكتاب الحادي عشر: في الوكالة:
- المقدمة: في بعض الاصطلاحات الفقهية المتعلقة بالوكالة.
- (من المادة ١٤٤٩ إلى المادة ١٤٥٠).
- الكتاب الثاني عشر: في الصلح والإبراء:
- المقدمة: في بيان بعض الاصطلاحات الفقهية المتعلقة بالصلح والإبراء (من المادة ١٥٣١ إلى المادة ١٥٣٨).
- الكتاب الثالث عشر: في الإقرار:

- المقدمة: في بيان بعض الاصطلاحات الفقهية المتعلقة بالإقرار (من المادة ١٥٧٢ إلى المادة ١٥٧٨).

• الكتاب الرابع عشر: في الدعوى:

- المقدمة: في بيان بعض الاصطلاحات الفقهية المتعلقة بالدعوى (من المادة ١٦١٣ إلى المادة ١٦١٥).

• الكتاب الخامس عشر: في البيئات والتحليف:

- المقدمة: في بيان بعض الاصطلاحات الفقهية (من المادة ١٦٧٦ إلى المادة ١٦٨٣).

• الكتاب السادس عشر: في القضاء:

- المقدمة: في بيان بعض الاصطلاحات الفقهية (من المادة ١٧٨٤ إلى المادة ١٧٩١).

على امتداد ستة عشر كتابًا عاجلت المجلة أبواب فقه المعاملات؛ بما هو مكافئ للقانون المدني، باستثناء مسائل التجارة؛ لخصوصيتها، واتساعها.

وقد جاءت هذه الكتب مرتبة وفق ترتيب كتب السادة الفقهاء الحنفية، على ما يظهر من كتبهم، من مثل: بدائع الصنائع، للكاساني (٥٨٧هـ)، وحاشية رد المحتار، لابن عابدين، بعد إسقاط الكتب التي لا تدخل في المعاملات المكافئة للقانون المدني، وما استلزم ذلك من تعديلات طفيفة.

٣/ حدود معالجة المصطلحات الفقهية في مجلة الأحكام العدلية وكشافها:

٣/ ١ المعالجة:

عاجلت المجلة المصطلحات الفقهية معالجة مطردة في كل الكتب الفقهية، بنسبة مئة في المئة، بمعنى أنه لم يرد كتاب فقهي فيها لم يفتح بمعالجة المصطلح الفقهي المتعلق بموضوع الكتاب، مستعملة عنوان الكتاب نفسه، باستثناء ثلاث مرات فقط، لم يذكر فيها عنوان الكتاب مرة أخرى عند معالجة التعريفات (انظر: الكتب أرقام: ١٠ / ١٥ / ١٦).

وقد اتسمت المعالجة بمجموعة من الخصائص جاءت كما يلي:

أولاً: افتتاح كل كتاب فقهي بإداة تعريف المصطلحات الفقهية المتعلقة به.

ثانياً: استعمال عنوان الكتاب الفقهي نفسه في المقدمات التعريفية المتعلقة ببيان شروح المصطلحات؛ طلباً للوضوح والتماسك.

ثالثاً: إدراج تعريفات المصطلحات الفقهية ضمن الترقيم العام لمواد المجلة أو الدستور. وهو ما يعني النظر إلى المصطلحات من زاوية تأسيسها للعلم، وقيامه بها. وهي نظرة متقدمة جداً ترقى برتية المفاهيم، وعدها أصلاً لا يمكن الاستهانة به في إجراءات التقنين، وصياغة المواد، والتطوير المؤسسي والإداري.

وقد ظهر من معالجة المجلة لتعريفات المصطلحات الفقهية فيها حرصاً على:

أ. اطراد الترقيم.

ب. اطراد التنظيم، حيث شغلت التعريفات مفتتح كل كتاب فقهي.

ج. اطراد استعمال عنوان الكتاب في عنوان المقدمة المتعلقة ببيان شروح المصطلحات الفقهية، باستثناء ثلاث مرات فقط، هي في الكتب أرقام (١٠ / ١٥ / ١٦).

٢ / ٣ كثافة المصطلحات الفقهية في المجلة:

تضمنت المجلة (١٨٥١) مادة، موزعة على المقدمة التي جاءت في مقاليتين، وستة عشر كتاباً، كما سبق بيانه في بند التصنيف.

وبلغ عدد المواد التي استقلت بتعريفات المصطلحات الفقهية خمساً وسبعين ومئة مادة (١٧٥)، بنسبة تقترب من الواحد بالمئة، أو على وجه التعيين: (٩٤٪) تقريباً، وفقاً للمعامل الإحصائي البسيط.

وهي نسبة مقبولة جداً تعكس منزلة المصطلحية الفقهية في بناء هذا العلم الجليل الشريف. وهي نسبة تتفوق على النسبة الموجودة في أدبيات هذا العلم التراثية، التي تكتفي عادة بتعريف المصطلحات المركزية فقط في مفتتح الكتب والأبواب الفقهية، بحيث لا يمكن أن تصل النسبة المئوية لمعالجة المصطلحية الفقهية في كتب المسائل والفروع والفتاوى إلى هذه النسبة بأي حال.

وقد ازدادت النسبة المئوية لكثافة المصطلحية الفقهية في المجلة، لتصل إلى حدود الواحد بالمئة تقريباً؛ بسبب عدم الاكتفاء بتعريفات المصطلحات الكبرى التي تمثل عنوانات للكتب

والأبواب، وإنما تجاوزت العناية بها إلى المصطلحات المنضوية تحت هذه المصطلحات العلوية؛ بمعنى أنه عند معالجة المصطلحات الفقهية المتعلقة بالإجارة مثلاً - لم تكتفِ المجلة بتعريف المصطلح العلوي: (الإجارة)، وإنما تجاوزته إلى تعريف المصطلحات المنضوية التالية: (الأجرة) / والآجر / والمستأجر / والمأجور / والمستأجر فيه، بفتح الجيم / والآجير / والضمان / والمسترضع / والمهاياة؛ وما إلى ذلك.

وهو أمر التزمته المجلة؛ طلباً لتحقيق مجموعة من الوظائف المهمة، هي:

أولاً: الحرص على البيان والوضوح، وتحقيق التفهيم، ومنعاً من أي لبس متوقع.

ثانياً: الحرص على التيسير على مستعملي المجلة، وتوفيراً لجهودهم ووقتهم.

ثالثاً: الاستيفاء في جمع الألفاظ الدائرة في كل باب، وهو بعض مطالب التقنين الذي

يتأسس على الاستقراء التام، وحصر الصور المتنوعة المستعملة في كل كتاب أو باب فقهي.

٤/ المصطلح الفقهي في المجلة: مقالة في طرق الشرح:

كان حرص مجلة الأحكام العدلية على إدراج تعريفات المصطلحات الفقهية في جسم بنائها، وتصميمها يستهدف وظائف مهمة، منها تطوير الخطاب الفقهي، وتطوير البنية الإدارية في الدولة؛ لاعتبارات تحديثية وتيسيرية على عموم الخلق، وسعيًا لبنية تشريعية منتظمة وموحدة.

وهذه الوظائف وغيرها فرضت التعامل مع المصطلحات الفقهية؛ بما هي جزء أصيل من

بنية هذا العمل، من منظور يتوخى البيان والوضوح.

وهو ما انعكس على اختيارات المجلة لطرق شرح معاني المصطلحات الفقهية في مقدمات

الكتب الفقهية.

لقد تركزت طرق شرح المعنى التي استعملت في النهوض بعبء تفسير معاني هذه

المصطلحات الفقهية في ثلاث طرق أساسية، جاءت بالأوزان النسبية التي يعكسها الترتيب

التالي:

١ / ٤ طريقة الشرح بالتعريف المحكم.

٢ / ٤ طريقة الشرح بالتعريف المهجين (المحكم والأمثلة التوضيحية معًا).

٤ / ٣ طريقة الشرح بالتعريف المركب/ الممتد (المحكم والمذيل بتعريف بعض قيود التعريفات بعده مباشرة)، وهو ما يمكن أن يكون جماعاً بين التعريف الحقيقي القائم على بيان جوهر المعرف، وبين التعريف بالمثل. وفيما يلي بيان ذلك والتدليل عليه، في صورة موجزة:

١ / ٤

تنهض طريقة الشرح بالتعريف المحكم على أساس استجماع السمات الدلالية الفارقة التي تميز المصطلح مشغلة التعريف والبيان. وهو ما يعني استعمال مجموعة من القيود في التعريف؛ بهدف تمييز مدلول مصطلح من غيره، وانفراده من الالتباس بغيره، مساوياً في المدلول للمعرف، بفتح الرء المشددة، في الصدق، وهو ما يعرف في صناعة التعريفات عند المناطق بالتعريف الجامع المانع، أي: الشامل لأفراد المعرف جميعاً، ولا يدخل فيه ما ليس من أفراد المعرف أبداً.

وقد جاءت هذه الطريقة أساساً في معالجة تعريفات المصطلحات الفقهية في مقدمات الكتب الفقهية في هذه المجلة؛ ومن أمثلة ذلك:

أ. تعرف المجلة مصطلح (الاستصناع، ص ٣٥ / م ١٢٤)، فتقول: "الاستصناع: عقد مقالة مع أهل الصناعة على أن يعمل شيئاً. فالعامل صانع، والمشتري مستصنع، والشيء مصنوع".

ففي هذا التعريف بيان لما يلي:

أولاً: جوهر مفهوم الاستصناع، وحقيقته؛ بما هو عقد مقالة، بين طرفين؛ عامل: صانع، ومشتري: مستصنع؛ بكسر النون، ومجرى التعاقد على شيء مصنوع.

ثانياً: تضمنه قيوداً دالة على انضوائه في جملة عقود البيوع، بدلالة لفظ المشتري.

ثالثاً: تمتعه بالوضوح والتفسير؛ بسبب من اعتماده على ألفاظ متداولة غير عربية.

ب. تقول المجلة في تعريف مصطلح (المحكوم به، ص ٣٦٠ / م ١٧٨٧): "المحكوم به: هو الشيء الذي ألزمه الحاكم على المحكوم عليه، وهو إيفاء المحكوم عليه حق المدعى في قضاء الإلزام، وترك المدعي المنازعة في قضاء الترك".

ويتضح من هذا التعريف الحرص على ما يلي:

أولاً: بيان جوهر المعرف (بفتح الراء المشددة) وحقيقته، بما هو الشيء الذي يلزمه الحاكم على المحكوم عليه...".

ثانياً: بيان اندراجه تحت كتاب القضاء، بما ظهر في قيود التعريف من كلمات دالة من مثل: "قضاء الإلزام/ وقضاء الترك"، وهو ما يفهم منه اختصاص هذا التعريف بمستوى استعمال خاص بالفقه، والمعاملات والقضاء!

ثالثاً: بيان صورته المختلفة، وهي صورة الإيفاء والأداء في حق المدعي إن كان القضاء إلزاماً، وصورة ترك المنازعة من جانب المدعي إن كان القضاء قضاء ترك.

رابعاً: بيان تمتعه بالوضوح، الذي تحقق من مجموع ما يلي:

- التفریع، وبيان الصور المختلفة.

- سهولة الكلمات المستعملة قيوداً في التعريف، وإتقان كتابتها. فقد ظهر الحرص على استعمال الياء الشامية، المنقوطة في رسم (المدعي)، وهو نوع رسم يحرص على الوضوح ومنع اللبس!

٢ / ٤

تنهض طريقة الشرح بالتعريف المهجين، كما يبدو من التسمية هذه على أساس يجمع بين طريقتين مجتمعتين، هما:

أولاً: طريقة الشرح بالتعريف المحكم.

ثانياً: طريقة الشرح بذكر الأمثلة التوضيحية.

وقد جاءت تطبيقات هذه الطريقة في المرتبة الثانية بعد طريقة الشرح بالتعريف المحكم، من حيث كثافة التوظيف، ومن أمثلة ذلك:

أ. تقول المجلة في تعريف مصطلح (الإتلاف، ص ١٢٩ / ٨٨٨م): "الإتلاف تسبباً: هو التسبب لتلف شيء؛ يعني إحداث أمر شيء يفضي إلى تلف شيء آخر، على جري العادة. ويقال لفاعله: مستتب؛ كما أن من قطع حبل قنديل معلق؛ يكون سبباً مفضياً لسقوطه على الأرض، وانكساره، ويكون حينئذ قد أتلّف الحبل مباشرة، وكسر القنديل تسبباً؛ وكذلك إذا

شق أحد ظرفاً فيه سمن، وتلف ذلك السمن، يكون قد أتلّف الظرف مباشرة والسمن تسبباً".

ويتضح من هذا المثال ما يلي:

أولاً: الحرص على بيان جوهر المعرف - بفتح الراء المشددة - وبيان حقيقته، بما "هو أحداث شيء يفضي إلى فساد شيء آخر وتلفه...".

ثانياً: بيان انضواء هذا المصطلح تحت كتاب الإِتلاف، بما جرى في تعريفه من قيود عبرت عنها كلمات كاشفة عن هذا الانتفاء من مثل: (تلف) و (متسبب) وغيرهما، وهو ما يعني بيان مستوى الاستعمال الخاص بهذا المصطلح، حيث ظهر انتهاؤه للغة الفقه، في قسم المعاملات، ضمن كتاب الإِتلاف!

ثالثاً: الحرص الواضح على البيان والوضوح من خلال توظيف طريقتين من طرق الشرح، هما:

- طريقة الشرح بالتعريف، واستجماع السمات الدلالية الفارقة والمميزة.

- طريقة الشرح باستعمال الأمثلة التوضيحية التي استثمرها التعريف، من خلال مثالين موضحين؛ أحدهما: لمن قطع حبلاً فتسبب في كسر قنديل كان معلقاً به، ومن شق وعاء أو ظرفاً يحفظ سمناً؛ فتسبب بهذا الشق في تلف السمن!

رابعاً: الحرص على مبدأ بيان توزيع المسؤوليات، من خلال التفصيل في تسميات أطراف المتورطين في: "الإِتلاف تسبباً"، وهو ما ظهر من بيان تسمية المحدث التلف، وهو المتسبب! ب. تقول المجلة في تعرف (المال المنقول، ص ٣٥ / ١٢٨): " (المال) المنقول، هو الشيء الذي يمكن نقله من محل إلى آخر؛ فيشمل: النقود، والعروض، والحيوانات، والمكيلات والموزونات".

ويتضح من هذا المثال ما يلي:

أولاً: بيان جوهر المعرف - المشدد الراء المفتوحة - وبيان حقيقته؛ بما هو: "الشيء الذي يمكن نقله من محل لآخر".

ثانياً: بيان انتمائه لمستوى استعمال خاص بلغة الفقه، والمعاملات منها، وكتاب البيوع منها، باستعمال ألفاظ دالة على ذلك في التعريف، من مثل: المال المنقول. وبتقييمه ضمن مواد كتاب البيوع في المجلة.

ثالثاً: الحرص على الوضوح من جهتين:

- استعمال كلمات واضحة، قيوداً في التعريف، سهلة التحصيل.
 - ضرب أمثلة توضيحية كاشفة عن مفهوم المال المنقول، من مثل: النقود وغيرها.
 - استعمال التعريف الاشتمالي، أو ما يمكن أن يكون تعريفاً اشتمائياً، وهو ما يظهر من بيان ذكر أمثلة المال المنقول على أنها أنواع يشتمل عليها، ويتوزع على صورها.
- وهذه الطريقة من طرق الشرح والتعريف المستعملة في معالجة المصطلح الفقهي في المجلة، استهدفت تحقيق وظائف مهمة جداً، طالت ما يلي:

أولاً: التفهيم والحرص الشديد على الوضوح لمطالب علمية وعملية.

ثانياً: التيسير العملي على مستعملي هذا الدستور.

ثالثاً: ضبط التعاملات الإدارية والتنفيذية المستصحبة لتطبيقات المجلة في الإدارة والمحاكم.

٣ / ٤

تنهض طريقة الشرح بالتعريف المركب أو الممتد - وهي تسمية من اصطلاحنا - على أساس استجماع استشار أمرين في التعريف، هما:

أولاً: طريقة الشرح بالتعريف المحكم الذي يتأسس على بيان السمات الدلالية الفارقة، وجمعها عند تعريف المصطلح موضع التعريف.

ثانياً: التمدد بتعريف بعض الألفاظ الواردة في التعريف المحكم، مما يرى فيه صاحب التعريف نوع استغلاق وغموض وغرابة، وشرحها، وتفسيرها، بحجم طباعي مائل للصغر، بالقياس بالحجم الطباعي لنص التعريف المحكم.

ومن أمثلة ذلك في تعريفات المجلة:

أ. تقول المجلة في تعريف مصطلح (السلم ص ٣٥ / م ١٢٣): "السلم: بيع مؤجل بمعجل؛ أي أن يكون المبيع مؤجلاً والثلثن معجلاً".

ب. يتضح من هذا المثال ما يلي:

أولاً: استعمال طريقة الشرح بالتعريف المحكم، متبوعاً بشرح أوسع، وتفصيل أتم. وهو ما سميته بطريقة الشرح بالتعريف المركب الممتد؛ أي المبدوء بالشرح المحكم، والمتبوع بتوضيحه وتفصيله، وقد كان ذلك توصلاً لبيان جوهر المعرف، وحقيقته.

ثانياً: بيان انضوائه تحت حقل مصطلحات الفقه، والمعاملات والبيوع بقرائن كلمة "بيع" ووروده تحت كتاب البيوع.

ثالثاً: الحرص الواضح على البيان والوضوح، وهو السر الحقيقي في هذا الامتداد التفصيلي الذي يشبه أن يكون حاشية على التعريف المفتوح به، وهو الامتداد التفصيلي المبدوء بالمؤشر اللغوي؛ أي بما هي كلمة موضوعة للتفسير!

ج. تقول المجلة في تعريف مصطلح (الانعقاد، ص ٣٤ / ١٠٤): "الانعقاد: تعلق كل من الإيجاب والقبول بالآخر على وجه مشروع يظهر أثره في متعلقهما. والمراد بمتعلقهما: المبيع والثلثن والأثر، وهو تملك المشتري المبيع، وتملك البائع الثلثن".

ويتضح من هذا المثال ما يلي:

أولاً: بيان جوهر المعرف - بفتح الراء المشددة - وبيان حقيقته، بما هو "تعلق كل من الإيجاب والقبول بالآخر على وجه مشروع...".

ثانياً: بيان مستوى الاستعمال، بوروده منضوياً تحت كتاب البيوع، متضمناً في التعريف قيوداً من ألفاظ واضحة الدلالة على العقد، من مثل كلمتي: (الإيجاب/ والقبول).

ثالثاً: إرادة الوضوح والبيان، وهو ما حمل المجلة على توظيف هذه الطريقة الشارحة التي استثمرت طريقتي التعريف بالمحكم، متبوعة بشرحها وتوضيحها وتفصيلها.

وهو التفصيل والشرح والتحشية المبدوءة بالمؤشر اللغوي "المراد ب". وهو من التعابير المستعملة في بيان الشروح.

لقد جاءت طرق شرح المعنى المستعملة في معالجة تعريفات المصطلحات في مجلة الأحكام العدلية - حريصة حرصاً بالغاً على التوضيح والبيان، لأغراض علمية وعملية تنفيذية، تستهدف خدمة دوائر الحكم والتنفيذ في الدولة المسلمة من منظور عصري.

ومعالجة تعريفات المصطلحات الفقهية في المجلة أظهرت وعياً حقيقياً من قام عليها وخدمها، بطبيعة ما يلزم توافره عند معالجة التعريفات، وصناعتها لألفاظ الفقه؛ بما هي مصطلحات يلزم تحديدها، وتعيين المراد من دلالاتها تعييناً دقيقاً لا يسمح بأي صورة من الصور بالغموض، واللبس أو الاختلاط والعموم، أو الاضطراب والتداخل.

٥/ المصطلح الفقهي في مجلة الأحكام العدلية: مصادره، ووظائفه:

إن فحص التقرير الذي افتتح به بين يدي نص مواد المجلة يكشف عن مجموعة من المصادر التي اعتمدها في تأسيس نصوص هذه المواد، كما يكشف عن عدد من الوظائف التي تغيت تحقيقها لمستعملها.

وفيما يلي محاولة لمعالجة هذين المطالبين:

٥/ ١ مصادر المصطلح الفقهي في مجلة الأحكام العدلية:

من الظاهر أن المجلة اعتمدت على نوعين من المصادر التأسيسية التي أسهمت في صياغة تعريفات المصطلحات الفقهية التي اطردها ظهورها في مقدمات كل الكتب الفقهية في هذا العمل التأسيسي التقني.

وهذه المصادر يمكن أن تتوزع على نوعين جامعين، هما:

أولاً: المدونات الفقهية الكبرى التي أنجزها السادة الفقهاء الأحناف، ولاسيما المتأخرين منهم.

وجاء في مقدمة هذه المصادر الفقهية الحنفية ما يلي:

أ. كتاب الفتاوى التاتارخانية.

ب. كتاب الفتاوى الهندية (العالمكيرية)؛ نسبة إلى السلطان عالم كير الذي أشار بها سنة

١١١٨هـ.

ج. فتاوى ابن نجيم (ت ٩٧٠هـ).

وليس بمستبعد اعتماد المصادر التالية كذلك:

د. الهداية شرح بداية المبتدى، للمرغيناني (ت ٥٩٣هـ).

هـ. الدر المختار، للحصكفي (ت ١٠٨٨هـ).

و. حاشية الدر المحتار عليها، لابن عابدين.

وغير ذلك (انظر في مصادر الفقه الحنفي: البحث الفقهي: طبيعته - خصائصه - أصوله

- مصادره، ص ١١٩ - ١٢٩) مكتبة الزهراء، القاهرة (ط ١) سنة ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م).

ثانياً: معجمات المصطلحات الفقهية الحنفية:

كما لا يستبعد أن تكون المجلة قد اعتمدت عددًا من معجمات المصطلحات الفقهية التي

صنفها الفقهاء الحنفية، من مثل:

أ. ما صنفه القونوي (ت ٩٧٨هـ) في معجمه: أنيس الفقهاء، في تعريفات الألفاظ

المتداولة بين الفقهاء.

ب. وما صنفه مصنفك (ت ٨٧٥هـ) في معجمه: الحدود والأحكام الفقهية.

ج. وما صنفه المطرزي (ت ٦١٠هـ) في المغرب في ترتيب المغرب.

د. وما صنفه ابن نجيم المصري (ت ٩٧٠هـ) في معجمه: رسالة في حدود الفقه.

هـ. وما صنفه النسفي (ت ٥٣٧هـ) في معجمه: طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية على

ألفاظ كتب الحنفية.

(انظر في مناهجها وخصائصها: تراث المعاجم الفقهية في العربية، للدكتور خالد فهمي،

دار المقاصد، القاهرة، (ط ٢) ١٤٣٦هـ = ٢٠١٤م).

ولا شك أن الوضوح والبيان الذي تمتعت به معالجة المجلة لتعريفات المصطلحات

الفقهية في مفتاح الكتب الفقهية فيها لتكشف عن احتمال جمع المجلة هذه المصادر جميعاً،

واعتمادها في صياغة هذه التعريفات، وتحريرها.

٥ / ٢ وظائف المصطلحات الفقهية في مجلة الأحكام العدلية:

يكشف فحص معالجة المجلة للمصطلحات الفقهية باطراد وانتظام معاً عن استهداف مجموعة من الوظائف، يمكن إجمال أظهرها فيما يلي:

أولاً: الوظيفة العلمية، بمعنى وعي المجلة بموقع المصطلحات العلمية الفقهية من بنية العلم الفقهي، ونهوضه بدور تأسيسي في تشييد بنيته.

ثانياً: الوظيفة العملية، بمعنى وعي المجلة بأهمية تحرير المصطلحات الفقهية في صورة جزء أساسي من بنية المواد المقننة في المجلة؛ منعاً لأية مشكلات عند الممارسة العملية.

واستهداف هذه الوظيفة العملية واضح في التجليات التالية:

أ. استهداف التطوير الإداري في مؤسسات الحكم والقضاء والتنفيذ.

ب. استهداف تحقيق قدر من العصرية في مواجهة المعالجات الغربية القانونية.

ج. استهداف التيسير على المتعاملين مع الجهاز الإداري والقضائي في الدولة الإسلامية المعاصرة، من المواطنين والموظفين على السواء.

ثالثاً: الوظيفة الاصطلاحية، بمعنى عكس قدرة النظام الإسلامي على الاستجابة لدواعي التطوير والإصلاح الذاتي الداخلي.

رابعاً: الوظيفة الحضارية، الظاهرة في تطويع الكتابة الفقهية للظروف العصرية.

خامساً: الوظيفة الدفاعية، بمعنى توجه العلماء المسلمين المعاصرين للدفاع عن منظومة الفقه الإسلامي؛ بتطويرها، وإعادة صياغتها في مواجهة الوافد الغربي في مجال التشريع والتقنين.

خاتمة:

كشفت هذا البحث عن عدد من النتائج المهمة في مجال الكتابة العلمية في مجال المصطلح الفقهي، من مثل:

أولاً: الاستجابة لدواعي التطوير، والتقنين المعاصرة.

ثانياً: وعي المجتمع العلمي المعاصر بأهمية المصطلحات الفقهية في تأسيس عمليات التقنين، للمعاملات الفقهية.

ثالثًا: كشفت تجربة المجلة عن الموقع الثابت والمنتظم للمصطلح الفقهي في عمليات التقنين، وهو الموقع الافتتاحي التأسيسي الذي يلزم البدء به، وهو ما ظهر في مقدمات الكتب الفقهية جميعًا في المجلة.

رابعًا: حرصت المجلة على تحقيق أعلى درجات الوضوح والبيان في معالجاتها لتحرير التعريفات.

خامسًا: استثمرت المجلة طرقًا بعينها في شرح معاني المصطلحات الفقهية، هي:

أ. طريقة الشرح بالتعريف المحكم.

ب. طريقة الشرح بالتعريف الهجين.

ج. طريقة الشرح بالتعريف المركب الممتد.

وهي جميعًا مختارة بعناية لتحقيق أعلى درجات الوضوح.

سادسًا: اعتمدت المجلة - فيما يبدو - على مجموعتين من مجموعات المصادر الفقهية الحنفية، هي:

أ. مجموعة مصادر المدونة الفقهية، ولاسيما للمتأخرين من الفقهاء الأحناف.

ب. مجموعة مصادر المعجمات الفقهية التي صنعها السادة الفقهاء الأحناف.

سابعًا: ظهر استهداف المجلة تحقيق مجموعة من الوظائف، ركزت في الوظائف العلمية، والعملية، والاصلاحية، والحضارية.

المصادر والمراجع:

١. البحث الفقهي: طبيعته، خصائصه، أصوله، مصادره، للدكتور إسماعيل سالم عبد العال، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.

٢. تخريج الدلالات السمعية، للخزاعي، تحقيق: محمد علي أبو سلامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

٣. الترايب الإدارية (نظام الحكومة النبوية)، للكتاني، بيروت، ١٣٤٧هـ.

٤. تراث المعاجم الفقهية في العربية، للدكتور خالد فهمي، دار المقاصد، القاهرة، ط١٤٣٦، ٢٠١٤م.

٥. مجلة الأحكام العدلية، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٣٠٢هـ.

٧ / ١

قاموس الإحالات الضمنية مراجعة علمية نقدية



١. مدخل: لا حدود للتجديد:

تعد الأعمال المرجعية بأنواعها المختلفة - ولاسيما المعجمات المختصة - مهمة جداً، للباحثين والمثقفين المعاصرين على السواء؛ ذلك أنها تمهد الطريق، وتعين على تذليل كثير من العقبات العلمية، وتختصر كثيراً من الوقت، وتوفر كثيراً من الجهد.

وهي لأجل ذلك وغيره تشغل مكاناً مرموقاً في قوائم المراجع في عمليات إنجاز البحوث المعرفية في مراحلها المختلفة؛ جمعاً للمادة، أو مناقشة وتحليلاً، أو تدليلاً وترجيحاً.

ومراجعة تاريخ المعجمية في الثقافات الإنسانية على امتداد التاريخ تكشف عن تطور، وتنوع مذهلين أصابا منجزها من جهات كثيرة.

وهو الأمر الذي يجعل من الصعوبة صنع خريطة ذهنية لأنواع المعجمات من جهة الحقول المعرفية التي تمددت؛ لتغطيها وتخدمها، بحيث يصبح القول الذي يقرر أنه لا حدود للإحاطة بمدى التجديد في التصنيف الموضوعي في تاريخ المعجمية في الثقافات المختلفة - صحيحاً بامتياز.

والمعجم الذي نروم مراجعته مراجعة علمية نقدية واحد من الأدلة على هذا الحكم الذي قررناه.

قاموس الإحالات الضمنية عمل مرجعي جبار، وجيد في نوعه ومادته معاً، صدر في لغته الأصلية/ الإنجليزية عن مطبعة جامعة أكسفورد، في طبعتين؛ أولاهما: ٢٠٠١م، وأخراهما: ٢٠٠٥م.

وقد حرر هذه الطبعة مجموعة من المختصين، هم:

أ. أندرو ديلاهوتي.

ب. شيلا ديجن.

ج. بيتي ستوك.

وترجمه إلى العربية مجموعة من المختصين، هم:

أ. أيمن حلمي محمود.

ب. عاطف سيد عثمان.

ج. أحمد الروبي.

وهم جميعًا حائزون لدرجات علمية في اللغة الإنجليزية وآدابها، و متمرسون في أعمال الترجمة عنها، ولهم سهمة مذكورة في هذا الميدان.

وقد صدرت هذه الترجمة العربية عن المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٤م (٢٣١ص).

ونعالج هذه المراجعة النقدية تبعًا للمطالب التالية:

١. قاموس أكسفورد للإحالات الضمنية: خطاب البنية.

١.١. البنية الكبرى (واجهه المعجم / ومتن المعجم / وملاحق المعجم).

٢.١. البنية الصغرى (معلومات التعليق على المداخل).

٢. قاموس أكسفورد للإحالات الضمنية: خطاب الانتماء المعرفي.

٣. قاموس أكسفورد للإحالات الضمنية: خطاب الوظائف والاستثمار.

وفيما يلي تحليل لعناصر هذه المراجعة، موزعة على ما ذكرت من مطالب، مستصحبًا روحًا نقدية من منظور البحث المعجمي.

(١) قاموس أكسفورد للإحالات الضمنية: خطاب البنية المعجمية:

يعرف قاموس أكسفورد للإحالات الضمنية في مقدمته هذا المصطلح، فيقول (ص ١٣): "ما الإحالة الضمنية؟ عندما نوظف إحالة ضمنية فإننا نذكر اسم شخص حقيقي، أو نستدعي بعض المعاني الإضافية التي تمثل بعض الصفات، أو الخصائص التي صارت الكلمة رمزًا لها".

وطبيعة هذا المعجم: "قاموس أكسفورد للإحالات الضمنية" (أنه) يهدف إلى التعرف على مثل هذه الإحالات الضمنية المستخدمة في الإنجليزية، وتوضيحها، وشرح معناها باقتباسات من مجموعة متنوعة من النصوص".

وقد صمم هذا المعجم وفق منهجية مستقرة في صناعة المعجم، شكلت بنيته العامة بفرعيها: الكبرى والصغرى.

(١.١) البنية الكبرى لقاموس أكسفورد للإحالات الضمنية:

جاء هذا المعجم في ثلاثة أقسام أساسية، شكلت عمود الصورة لبنيته الكبرى، هي في الطبعة العربية كما يلي:

أ. واجهة المعجم.

ب. متن المعجم / أو صلبه.

ج. ملاحق المعجم أو كشافاته.

أ / واجهة المعجم:

أول شيء يواجه مستعمل أي عمل مرجعي هو واجهته front matter، وقد ضمت واجهة هذا المعجم المكونات التالية:

أولاً: صفحة العنوان: وقد احتوت على المعلومات التالية:

(أ) عنوان المعجم، وهو: قاموس الإحالات الضمنية، وهو ترجمة دقيقة للعنوان الإنجليزي: dictionary of allusions

(ب) محرري المعجم، وهم: أندرو ديلاهونتي / وشيلا ديجنن / وبيتي ستوك، وهم في الحقيقة صانعون بالمعنى المباشر، وهو المعنى المفهوم من التحرير في الصناعة المعجمية؛ أي هم الذين جمعوا مادته، ورتبوها، وراجعوها.

(ج) مترجمي المعجم إلى العربية، وهم: أيمن حلمي / وعاطف عثمان / وأحمد الروبي، وهم جميعاً حائزون على درجات جامعية في اللغة الإنجليزية، وآدابها، ومترجمون متمرسون محترفون، لهم إسهام في الترجمة الأدبية عن الإنجليزية.

وهو الأمر الذي يبعث بالطمأنينة بصورة نظرية في هذه الترجمة العربية لهذا المعجم الفريد.

وقد كان من المهم للغاية التعريف بمحرري هذا المعجم؛ لمنحه قدراً من الموثوقية لدى شرائح مستعمليه.

ثانياً: مقدمة المترجمين:

أحسن مترجمو هذا المعجم عندما صنعوا مقدمة بين يدي ترجمتهم، نهضت بتعريف مجموعة أمور مهمة، واستكملوا ما فرط من مقدمة المعجم الأصلية. وقد احتوت هذه المقدمة على ما يلي من المعلومات:

أ. محتويات المعجم بصورة إجمالية، أو حدود الإحالات الضمنية الواردة في المعجم، يقول (ص / ٩): "ما الذي يجده القارئ في قاموس: أكسفورد للإحالات الضمنية؟" .. ثم يجب فيقول: "الشخصيات والأحداث، والحكايات، والعبارات، وحتى بعض الكلمات التي تميزت بما يكفي وترسخت في الوعي الجمعي بما يكفي؛ لتستخدم إحالة ضمنية في الثقافة الإنجليزية".

ب. مصادر المعجم بصورة إجمالية، يقول (ص / ٩): "إن مصادر هذا العمل الفريد لا تقتصر فقط على الأعمال الأدبية من مسرحيات، وروايات، وقصص، وقصائد؛ إلخ، ولكنها تشمل أيضاً: الكتاب المقدس، والمثولوجيا - الكلاسيكية، والعديد من الأعمال الفنية، والإذاعية، والمرئية، والعديد من الشخصيات الحقيقية، والخيالية".

ج. بعض أهداف هذه الترجمة إلى العربية (ص / ٩) يقول: "يمكن القول إن ترجمة هذا القاموس إلى اللغة العربية تقدم طريقاً مختصرة، ومشوقة في الوقت نفسه إلى الثقافة الغربية". ويضيف كذلك أن هذه الترجمة يمكن أن تمهد الطريق لصناعة معجم للإحالات الضمنية المستعملة في الثقافة العربية.

د. منهج ترتيب المداخل في هذا المعجم، وهو مرتب وفقاً للنظام الألفبائي، يقول: "ترجمة مداخل هذا القاموس مرتبة أبجدياً (يقصد ألفبائياً) وفقاً للنسخة الإنجليزية"، وهو ما يعني أن هذا المعجم ضم خمسة وعشرين فصلاً على عدة الحروف الهجائية في الألفبائية الإنجليزية.

هـ. بعض إرشادات الاستعمال للمستعلمين العرب، من مثل الإشارة إلى المسرد العربي الإنجليزي الذي ييسر الوصول إلى المداخل المرادة من جانب المستعمل العربي.
و. بيان ما تضمنته هذه الترجمة من كشافات ومسارد لخدمة المستعمل العربي (ص / ١٠).
ز. بيان بعض المصادر المساعدة في عملية الترجمة (ص / ١٠).

ح. بيان بعض الصعوبات التي واجهت المترجمين، ولاسيما ما يتعلق منها بترجمة الاقتباسات، وامتدادها الزمني على مدى ما يقرب من أربعة قرون، واستيعاباً لمئات الأعمال الأدبية.

وهذه المقدمة - بما احتوته من معلومات - جاءت مثلاً جيداً لما ينبغي أن تكون عليه مقدمات المعجمات كما تقرر أصول المعجمية المعاصرة. وإن فاتها عدد من الأمور من مثل:
أ- بيان الغرض الذي حكم صانعيها عند صناعتها، والأهداف التي توخوا الوفاء بها.
ب- بيان الطريقة التي جمع بها المحررون مادتهم، ومنهج هذا الجمع، وتفسير حدوده الزمنية، والمكانية، واللغوية.

ج- بيان أنواع مستعملي هذا المعجم المتوقعين.

د- بيان الاختصارات، والرموز، وتفسيرها.

ثالثاً: مقدمة المعجم في نشرته الأصلية:

احتوت مقدمة المعجم مجموعة من المعلومات، هي:

أ. تعريف مصطلح الإحالة الضمنية (ص / ١٣).

ب. بيان طرق استعمال المؤلفين للإحالات الضمنية، يقول (ص / ١٣): "يستخدم الكُتَّابُ الإحالات الضمنية بطرق متنوعة؛ فيمكن أن تستخدم بوصفها نوعاً من الاختزال يستدعي لحظياً خبرة إنسانية معقدة، لا تتجزأ من قصة أو حدث درامي".

ج. بيان بعض وظائف الإحالات الضمنية، يقول (ص / ١٣): "الإحالات الضمنية يمكن أن تنقل صوراً بصرية قوية ... (و) غالباً ما يمكن حشد الكثير من المعاني في إحالة ضمنية مختارة بعناية أكثر منه في كلمة وصفية مكافئة تقريباً من اللغة العامة؛ إما لأن الإحالة

الضمنية يمكن أن تحمل بعض الدلالات من القصة الكاملة التي أخذت منها؛ وإما لأن اسم الفرد يمكن أن يرتبط بأكثر من صفة مميزة واحدة".

د. بيان مصادر الإحالات الضمنية في الإنجليزية، يقول (ص / ١٤): "تأتي غالبية الإحالات الضمنية في الإنجليزية من: الميثولوجيا الكلاسيكية، والكتاب المقدس، وبخاصة العهد القديم. هذه القصص القديمة ... تظل حية في وعينا الجمعي".

"من المصادر الخصبه الأخرى: الفلكور، والأسطورة ... (وبعض) الأعمال الفردية ... والإحالات الضمنية الحديثة غالبًا ما تأتي من الوسيطين البصريين: السينما والتلفزيون ... ومن عالمي القصص الهزلية المصورة، والأفلام المتحركة ... (و) وألعاب الكومبيوتر".

هـ. بيان منهج ترتيب مداخل المعجم. وقد كشفت المقدمة أن هذا المعجم رتب مداخله وفق منهجين تبعًا لطبيعته.

فقد رتب المداخل في الطبعة الأولى وفق المنهج المفهومي أو وفق منهجية الموضوعات والحقول الدلالية أو المجالات الدلالية.

ثم عاد فرتب مداخله وفق النظام الهجائي الألفبائي مراعيًا الأبجدية الإنجليزية؛ تيسيرًا على المستعملين، مع صناعة كشاف موضوعي في آخر الطبعة، وهذا هو المنهج الذي صدرت عنه الطبعة الثانية التي ترجمت إلى العربية. يقول (ص / ١٥): "هذه الطبعة الثانية من قاموس أكسفورد للإحالات الضمنية"، مثل الأولى تعتمد في الأساس على شواهد الاقتباسات المجمعة؛ بوصفها مصدرًا لمادته. تأتي هذه الطبعة مرتبة بالكامل ترتيبًا أبجديًا (يقصد ألفبائيًا)، فالنسخة الأصلية كان لها بنية موضوعية توجد بها المداخل مجمعة تحت موضوعات ... في الطبعة الجديدة (هذه) تم الاحتفاظ بهذه البنية في شكل مسرد للموضوعات؛ ليتمكن القراء من اكتشاف الإحالات الضمنية المختلفة التي يمكن استخدامها في سياقات مشابهة، ويمكن أن يستخدم مسرد الموضوعات بنفس الطريقة؛ بوصفه قاموسًا للمرادفات؛ لإيجاد المداخل المختلفة التي يمكن توظيفها في سياقات مشابهة".

و. بيان الإضافات التي شملتها هذه الطبعة، يقول (ص / ١٦): "لقد أضفنا قرابة (٣٠٠) مدخل جديد لهذه الطبعة الجديدة". ليزيد عدد مداخلها على ألف وثلاثمئة مدخل تقريبًا.

ز. بيان سهمة نفر من المساعدين الذين أسهموا في العمل على إنجاز هذا المعجم.
وقد أخلت هذه المقدمة ببعض ما يلزم ظهوره فيها، وهو ما ذكرناه في سياق تحليل مقدمة الترجمة.

(ب) متن المعجم / صلبه:

متن المعجم أو صلبه أو middle matter هو عصب هيكله، أو هو المعجم إن شئنا التخليص.

جاء هذا المعجم في خمسة وعشرين فصلاً، كل فصل للمداخل المبدوءة بأحد الحروف الهجائية الإنجليزية، وهو ما يعني أن المعجم رتب مداخله خارجياً ترتيباً هجائياً ألفبائياً. ورتب المداخل في كل فصل / أو حرف هجائي - وهو الترتيب الداخلي - ترتيباً ألفبائياً كذلك، راعى فيه ترتيب الألفبائية الإنجليزية.

وقد ترجم متن المعجم أو صلبه إلى العربية، مرتباً ترتيب الأصل الإنجليزي، ثم روعي المستعمل العربي من طريق صناعة مسرد عربي/ إنجليزي؛ ليسهل الوصول إلى المدخل المطلوب في يسر وسهولة.

ويلاحظ من فحص هذا الترتيب بعض الملاحظ، كان يلزم التنبيه عليها؛ بما هي من إرشادات الاستعمال في أي من مقدمتي المعجم، منها: اعتبار اسم العائلة في المداخل التي من نوع أسماء الأعلام، وهو ما يفسر ورود المدخل (تشارلز آدمز) في فصل الألف (A)، وكان حقه أن يكتب (ص / ٢٩) هكذا Addams, Charles = آدمز، تشارلز، وكذلك المدخل: (ص / ٤٣) هوارشيو ألجر = Horatio Alger كان حقه أن يرد هكذا: ألجر، هوارشيو = Alger Horatio، وغير ذلك.

[انظر المداخل التالية: محمد علي، ص ٤٧ / عيدي أمين، ص ٥٢ / هانز كريستيان أندرسون، ص ٥٧ / جوني أبلسيد، ص ٦٨ / إنوك أردين، ص ٧٣ / بيندكت أرنولد، ص ٨١ / الملك أرثر، ص ٨٣ / فريد أستير، ص ٨٦ / تشارلز أطلس، ص ٩١ / القديس أوغستين، ص ٩٥ / فرانسيس بيكون، ص ١٠٥] وهكذا في جميع فصول المعجم.

ج. ملاحق المعجم:

جاء ثالث أقسام المعجم (بنية المعجم الكبرى) خاصًا بملاحقه وكشافاته ومسارده، وقد ضم هذا القسم من بنية هذا المعجم الكبرى العناصر التالية:

أولاً: كشاف الموضوعات، وهو مرتب كما يلي:

مدخل للموضوع، وتحت المدخل المنضوية تحته، وأمام كل مدخل المؤشر المكافئ لموضعه من المعجم (وفق الطبعة العربية).

وقد جاء غير مرتب ألفبائياً للأسف الشديد!

ثانياً: مسرد الأعمال الأدبية والفنية.

وهو مسرد يضم (ص ١٠٤٥): "أسفار الكتاب المقدس، والأعمال الأدبية، والفنية، واللوحات، والتماثيل، والأفلام السينمائية، والأوبرات، والمؤلفات الموسيقية، وأسماء الصحف، والبرامج الإذاعية، والتليفزيونية التي ورد ذكرها في هذا القاموس"، وهو مسرد مرتب وفق المدخل العربية، وبيزائها المكافئات الإنجليزية، وكان يحتاج إلى ذكر المؤشر المكاني لكل مدخل؛ إنعاماً في التيسير على المستعمل العربي.

وهذان المسردان أو الكشافان مهمان جداً، جاء استجابة وتطبيقاً لمبدأ مستقر في الصناعة المعجمية الحديثة، هو مبدأ رعاية منظور المستعمل، الذي يرمى مجموعة محددات استعمالية هي:

أولاً: التيسير على المستعمل بشكل عام.

ثانياً: توفير وقت المستعمل.

ثالثاً: توفير جهد المستعمل.

رابعاً: استثمار الملكات الاستعمالية المركوزة في المستعمل، من مثل الترتيب الألفبائي.

ولوحظ أن المؤشرات المكانية أو أرقام الصفحات المذكورة أمام المدخل في المسارد والكشافات غير منضبطة، ويبدو أنها مرحلة بواقع صفحتين زيدتا على كل رقم!

(٢.١) البنية الصغرى لقاموس أكسفورد للإحالات الضمنية:

البنية الصغرى هي جماع المعلومات التي ترد أمام المداخل؛ بقصد التعليق عليها، وإضاءتها، وتفسيرها.

وهذه المعلومات قسمان هما:

أولاً: معلومات التعليق على شكل المدخل أو صيغته.

ثانياً: معلومات التعليق على معنى المدخل ودلالاته، وتعريفه.

وفحص البنية الصغرى لمعجم أكسفورد للإحالات الضمنية يكشف عن العناية بمعلومات التعليق على المعنى، والدلالة والمعلومات التي تشرح التصورات والمفاهيم الخاصة بالإحالات الضمنية.

وقد أمكن استخراج ملامح منهج إيراد معلومات التعليق على المداخل في هذا المعجم، التي تلخصت فيما يلي:

أولاً: التعريف بالمدخل، وبيان ما به قيام التصور عنه، وتفسير المراد منه والمقصود به.

ثانياً: بيان انتهاء المدخل للحقبة التاريخية الوارد منها.

ثالثاً: بيان انتهاء المدخل لمصدره الذي انحدر منه إلى الإحالات الضمنية.

رابعاً: ذكر الاقتباس الدال على توظيف المدخل؛ بما هو إحالة ضمنية في العمل الأدبي.

خامساً: توثيق الاقتباس:

وفيما يلي أمثلة ونماذج لهذه المنهجية شبه المطردة للتعليق على مداخل هذا العمل المرجعي:

" علق المعجم على المدخل (هاجر / Hager، ص / ٤٢٥) بقوله: "هاجر: في الكتاب المقدس ... هي الخادمة المصرية لسارة، زوجة إبراهيم (سيدنا إبراهيم) أنجبت لإبراهيم ولداً اسمه إسماعيل (التكوين ١٦ / ٢١)، أبعدت هي وولدها بعد أن أنجبت سارة ابنها إسحاق.

/ بجوار الشجيرة اللبنيّة جلست المرأة الكفيرية ساكنة - دار بخلده أنها مثل هاجر دفعتها سيدتها نحو صحراء مقفرة لتموت.

/ أوليف شراينر: "قصة مزرعة أفريقية ١٨٨٣ م".

ويتضح من تحليل هذا التعليق رعاية للمعلومات التالية:

أولاً: بيان المصدر الذي دخل منه المدخل إلى الإحالات الضمنية (في الكتاب المقدس).

ثانياً: تعريف المدخل بطريقة الشرح بالتعريف المحكم الذي يجمع للمدخل ما يميزه عن

سمات دلالية فارقة، وبطريقة الشرح بالعلاقات.

ثالثاً: بيان الانتماء التاريخي للمدخل (من خلال معلومات زواجها بإبراهيم وإنجابها

لإسماعيل).

رابعاً: إيراد الاقتباس الدال على استثمار المدخل / الإحالة الضمنية.

خامساً: توثيق الاقتباس، بذكر العمل الأدبي الذي اقتبس منه.

ومن الأمثلة أيضاً ما جاء في التعليق على المدخل (جنة عدن/ عدن، ص ٣٢١ / Garden

:of Eden/ Eden

يقول المعجم: "عدن (تعني: بهجة)، أو جنة عدن: كانت مستقر آدم وحواء في قصة

الكتاب المقدس عن الخلق، طردهما الله منها؛ لعصيانها بأكل الثمرة المحرمة من شجرة

المعرفة. يعتقد أنها مكان وافر الجمال، تنمو فيه كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل (التكوين

٢ / ٩). يمكن أن يستخدم الاسم للإشارة إلى مكان أو حالة فائقة من السعادة والبراءة

والانسجام.

انظر أيضاً: آدم وحواء.

/ استقرت عيناه بسعادة على الخضرة المنبسطة لأشجار الخبز.

يا إلهي إنها مثل جنة عدن/.

- و. سومرست: "ماكتوس" في "كل أنحاء العالم" ١٩٥١ م.

/ ولكن كان هذا بالطريقة التي نقلتها - غابة خلاص وعدن/

- توماس كينيلي "صانع اللعب" ١٩٨٧ م.

/ لأول سبعة آلاف قدم هي جنة عدن، وفرة من زهور الأوركيد، طيور طنانة، وجداول صغيرة جداً من ماء سائغ، يسيل بمعجزة على جانب كل طريق /

- لوي دي بير ينير "حرب أجزاء دون إيمانويل السفلى" ١٩٩٠ م.

/ أزهار وشجيرات وشتلات أحضرت إلى هنا بجذورها وطينها، ووضعت في سلال وعلب مؤقتة، ولكن الكثير من الأوعية مد جذوره في الأرض، خرج الطين ليخلق من وعاء إلى آخر طبقة من الذبال الرطب، حيث براعم بعض النباتات كانت بالفعل تتجذر، كان مثل أن تكون في عدن قد نبتت الألواح الخشبية لدافني /

- أومبرتوايكو "جزيرة أول أمس" ١٩٩٤ م.

وتحليل هذا التعليق كاشف عن اشتغاله على المعلومات التالية:

أولاً: ذكر المعنى اللغوي للمدخل؛ تمهيداً لبيان المناسبة الجامعة لاستعماله إحالة ضمنية بدلالات خاصة (عدن تعني البهجة).

ثانياً: التعريف بالمدخل بذكر مجموعة من المعلومات التي تمنحها شخصية واضحة، وهو تعريف استعمل أكثر من طريقة، أظهرها:

أ. طريقة الشرح بالتعريف المحكم (مكان/ مستقر آدم وحواء؛ إلخ)؛ أي بذكر السمات الفارقة التي تميزها من غيرها.

ب. طريقة الشرح بالتعريف الاشتغالي بذكر محتوياتها وما تشتمل عليه (بها الثمرة المحرمة/ تنمو فيها كل شجرة شهية).

ثالثاً: بيان ما يرمز إليه المدخل في الإحالات الضمنية (يستخدم الاسم للإشارة إلى مكان أو حالة فائقة من السعادة والبراءة والانسجام).

رابعاً: ذكر الاقتباسات الدالة على توظيف هذا المدخل؛ بما هو إحالة ضمنية في عدد من الأعمال الأدبية، من أربعة أعمال رتبت الاقتباسات المأخوذة منها ترتيباً تاريخياً تصاعدياً من القديم إلى الحديث، هكذا:

أ. اقتباس من سومرت ١٩٥١ م.

ب. اقتباس من توماس كينيلي ١٩٨٧ م.

ج. اقتباس من لوي دبير ينير ١٩٩٠م.

د. اقتباس من أمبرتو إيكو ١٩٩٤م.

خامسًا: بيان المصدر الذي انحدر منه هذا المدخل؛ بما هو إجابة ضمنية (من الكتاب المقدس).

وقد لوحظ من تحليل البنية الصغرى ما يلي:

أولًا: غياب معلومات التعليق على شكل المداخل، بحيث لا نجد أية معلومات عن طرق نطق المداخل، ولا نوع صيغها الصرفية، ولا طبيعة أنماطها المصطلحية، مع تنوعها، وتوزعها على: مصادر، وأسماء أعلام، وتراكيب وشعارات رمزية؛ إلخ، بالإضافة إلى غياب بعض معلومات التحديد الجرماتيقي، أو المعلومات النحوية المهمة.

ثانيًا: اطراد ترتيب معلومات التعليق على المعنى بصورة واضحة، كما ظهر من تحليل المثالين السابقين، وهو ملمح تنظيمي مهم وجيد.

ثالثًا: غياب معلومات التأصيل اللغوي في أحيان كثيرة؛ مما أخبر بالمحصل من معلومات التعليق على معنى عدد من المداخل.

رابعًا: غياب النص على مستوى الاستعمال، صحيح أن كثيرًا من مستويات الاستعمال أمكن تعيينها من خلال مجموعة من المحددات في التعليقات، من مثل:

أ. محدد المصدر المعرفي الذي دخل منه المدخل إلى عالم الإحالات الضمنية، فبيان أن الكتاب المقدس هو مصدر مدخل ما كاشف عن مستوى استعماله الديني / والروحي.

ب. بعض قيود التعريفات التي تكشف عن المستوى الاستعمالي في أحيان كثيرة.

ج. بعض عناوين الأعمال الأدبية المقتبس منها تكون معلومة الانتماء والأجناس، بما هي رواية تاريخية، أو غير ذلك.

خامسًا: غياب الموضحات البصرية من الرسوم، والصور واللوحات ولاسيما أن كثيرًا من المداخل - بما هي إحالات ضمنية - مأخوذة من أعمال سينمائية وفنية وغيرها.

سادسًا: لوحظ في الترجمة تعريب بعض معلومات المداخل بما ليس شائعًا في الثقافة العربية المعاصرة، من مثل تعريب اسم سيدنا إبراهيم بإبرام! في المثال الذي حللناه هنا.

سابعًا: أحسنت الترجمة عندما ميزت المداخل بحجم طباعي مائز كبير وقاتم، يسهل معه التقاطه من جانب المستعمل.

(٢) قاموس أكسفورد للإحالات الضمنية: خطاب الانتماء المعرفي:

هذا عمل مرجعي من نوع المعجمات الموسوعية النوعية المختصة، وهذا هو الانتفاء التصنيفي للعمل، بقرينة العنوان الذي هو: قاموس الإحالات الضمنية، وبقرينة تحليل خطاب مقدمتي النص الأصلي، وترجمته معًا.

تقول مقدمة النص (ص / ١٥): "هذه الطبعة الثانية من: "قاموس أكسفورد للإحالات الضمنية"، مثل الأولى، تعتمد في الأساس على شواهد الاقتباسات المجمعة بوصفها مصدرًا لمادته".

وهو عمل خصب جدًا، وتنعكس خصوصيته في كثافة الانتفاءات المعرفية التي يمكن أن ينتمي إليها، وفحص هذا المعجم يكشف عن تنوع في انتفاءاته المعرفية التي يمكن رصدها فيما يلي:

١.١. النقد الأدبي:

إن هذا العمل ينتمي - في أول النظر - إلى مجال النقد الأدبي، بما أن هذا القاموس خاص برصد الإحالات الضمنية التي استثمرتها الأعمال الأدبية الإنجليزية المتنوعة؛ من روايات، ومسرحيات، وقصص، وشعر، والأعمال الفنية والإذاعية والمرئية، وغير ذلك من الفنون المعاصرة.

وهو معجم يمثل عمادًا أساسًا لفهم توظيف هذه الأعمال الأدبية والفنية لهذه الإحالات الضمنية، والدلالات التي توظف من أجل خدمة القضايا الفكرية والوجدانية التي تستهدف القراء المعاصرين.

ومن ثم فإن هذا المعجم يمثل مدخلًا أساسًا للعمل مع النصوص الأدبية والفنية المتنوعة.

٢.٢ تاريخ الأدب الإنجليزي:

إن قاموس أكسفورد للإحالات الضمنية - بما يضمه من آلاف الاقتباسات من الروايات والمسرحيات والأشعار، والقصص الإنجليزية - يمكن أن يعد في حقيقة الأمر مرجعاً في تاريخ الأدب الإنجليزي في القرون الأربعة الأخيرة، وعلى وجه التعيين من أواخر القرن السادس عشر حتى أوائل القرن الحادي والعشرين. يقول المعجم (ص/ ١١): "جدير بالذكر أن ... الاقتباسات ... تغطي فترة زمنية طويلة؛ حيث تأتي من أعمال أدبية من أواخر القرن السادس عشر ... وحتى أوائل القرن الحادي والعشرين؛ أي سنوات قليلة خلت!".

٣.٢ الأطالس الأدبية:

يظهر من كثافة الاقتباسات من الأعمال الأدبية التي وردت في التعليق على كل مداخل هذا المعجم الموسوعي المختص، أنه صالح للانتماء للأطالس الأدبية. إن هذه الاقتباسات تمثل مختارات نوعية، تدرج هذه المعجم في هذا النوع من الأعمال المهمة.

٤.٢ اللسانيات والسيمياثيات:

ينتمي هذا المعجم إلى مجال اللسانيات والسيمياثيات بما يضمه من تصورات ومفاهيم كثير من الإحالات الضمنية التي تقترب من حدود الرموز. ولا يمكن لدراس في ميدان السيمياثية أن يستغني عنه، كما لا يمكن لدراس في ميدان اللسانيات التاريخية أن يتجاوزته؛ لما يقدمه من أمثلة كثيرة جداً لعدد هائل من المفردات التي أصابها قدر من التحولات أو التطورات الدلالية. كما أن تكامل النصوص، والتناص فيما بينها، وتوظيفها، واستلهاها واستدعاء التراث يمثل جزءاً من برامج اللسانيات النصية أو علم لغة النص.

٥.٢ نظرية الأدب:

إن تنوع الأعمال الأدبية والفنية التي اعتمدها المعجم في الاستشهاد باقتباسات مأخوذة منها تقترب بهذا العمل المرجعي من حدود الانتماء المعرفي إلى نظرية الأدب؛ بما هو ميدان يعنى ببيان الحدود الفارقة بين الأجناس الأدبية.

ولعل فحص هذه الاقتباسات يكشف عن فروق في توظيف الإحالة الضمنية الواحدة تبعاً لنوع النص الذي يوظفها ويقتبسها ويستثمرها ويستلهمها، وربما كشف تحليل الاقتباسات مع رعاية الجنس الأدبي للنص عن فروق في الدلالة الخاصة بالإحالة الضمنية الواحدة من الرواية إلى الشعر إلى المسرحية، وهكذا.

٦.٢ مصادر الثقافة الأوربية:

يكشف تحليل مادة هذا المعجم عن المصادر الثقافية التأسيسية التي أسهمت في تشكيل العقل الأوربي المعاصر.

وقد نتج من هذا التحليل اعتماد المصادر التالية:

أولاً: الكتاب المقدس (ولاسيما العهد القديم).

ثانياً: الميثولوجيا الكلاسيكية أو الأساطير الإغريقية والرومانية.

ثالثاً: الفلكلور الأوربي (أو التراث الشعبي).

رابعاً: عدد من الأعمال الفردية الفنية التي أسهمت في تشكيل العقل الأوربي.

٧.٢ تاريخ الأفكار الأوربية:

يتتمي هذا المعجم إلى مجال تاريخ الأفكار؛ بما يضمه من مئات الأفكار، وتطورها، وتاريخها، وانسراها في النصوص الثقافية لمنجزه؛ مما يجعل منه مصدرًا من مصادر تأريخ الأفكار في الثقافة الأوربية بصورة عامة والثقافة الإنجليزية بصورة خاصة.

(٣) قاموس أكسفورد للإحالات الضمنية: خطاب الوظائف والاستثمار:

إن ترجمة هذا العمل إلى العربية من شأنه أن يفتح الطريق أمام عدد من الوظائف والاستثمارات المتوقعة في مستقبل الثقافة العربية.

وفيا يلي تصور مستقبلي لهذه الوظائف والاستثمارات المتوقعة:

أولاً: الوظيفة الثقافية والمعرفية؛ إذ من الممكن استثمار هذا المعجم في دعم دراسات الفكر الأوربي، والآداب الأوربية، والنقد الأدبي الأوربي، والآداب المقارنة بالآداب الأوربية.

ثانياً: الوظيفة اللسانية؛ إذ من الممكن استثمار هذا المعجم في تطوير المعجمية العربية التطبيقية المعاصرة، وتحريك الطموح نحو صناعة معجم للإحالات الضمنية في الثقافة العربية التي اقتبست في الأعمال الأدبية والفنية العربية المعاصرة.

يقول مترجمو المعجم (ص / ٩): "هل يمكن أن يجد القارئ العربي يوماً ما مثل هذا القاموس، ولكن عن الإحالات الضمنية المستخدمة في الثقافة العربية؟ ربما يمكن الزعم أنه إذا كان تقديم (هذا القاموس) للمكتبة العربية الآن لن يثير سوى هذا السؤال، لكانت ترجمته ملححة!".

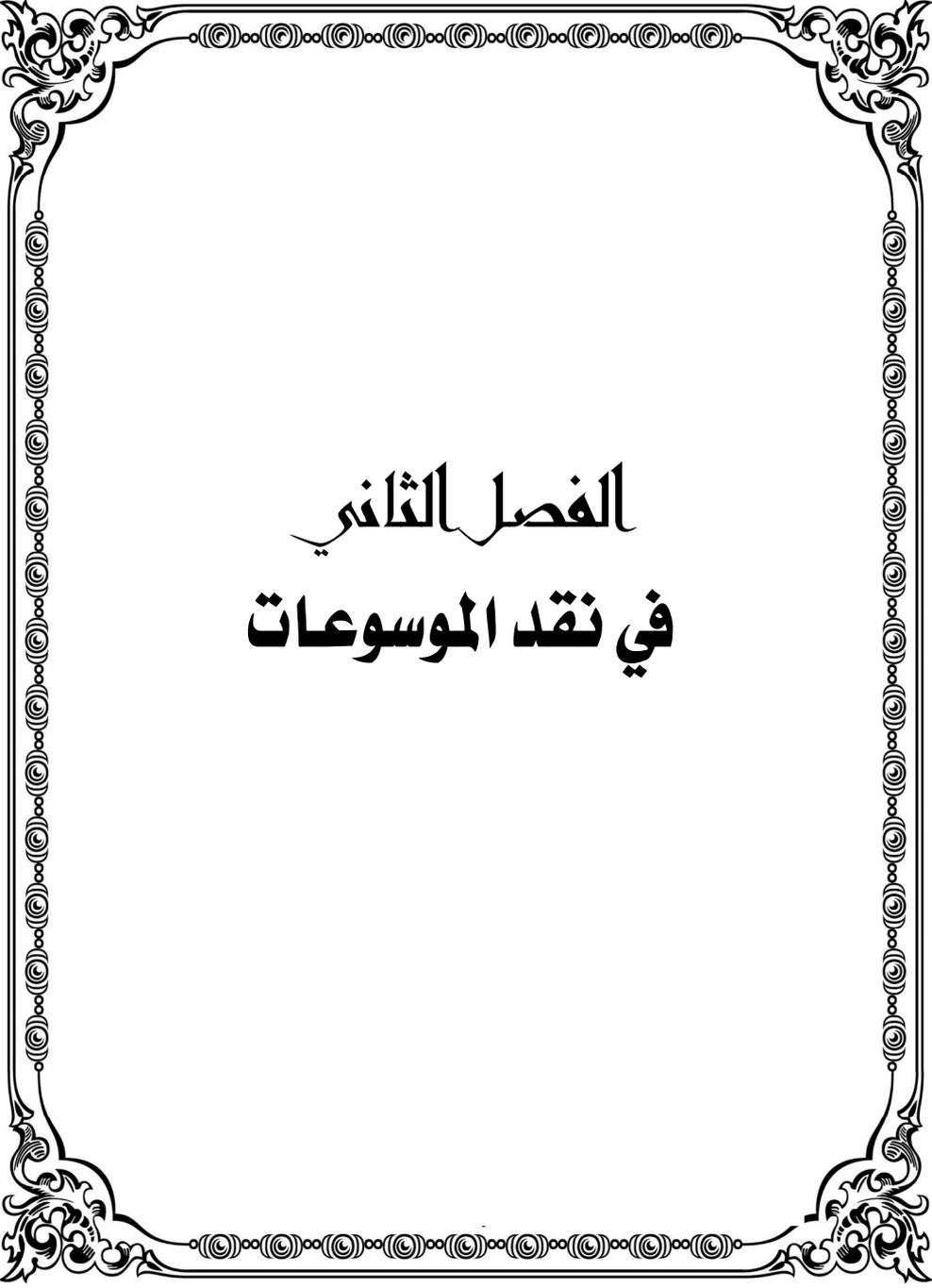
ثالثاً: الوظيفة الحضارية؛ ذلك أن ترجمة هذا العمل من شأنه أن يدعم سياسات التقارب والتواصل بين الثقافات العربية والأجنبية، وهو من شأنه أن يدعم السلم العالمي. إن هذا العمل المرجعي خطوة مهمة جداً للثقافة المصرية والعربية المعاصرة بشكل ظاهر.

وهذه المراجعة العلمية النقدية طريق للكشف عن جزء من التطورات التي تحوزها المعجمية في الثقافات المختلفة.

وهي تستهدف الإسهام في تحقيق آفاق جديدة أمام المعجمية العربية المعاصرة، التي تستند إلى تاريخ عريق للمعجمية التراثية يرجى له أن يتوصل، ويضاف إليه.

المراجع:

- قاموس الإحالات الضمنية، لأندرو ديلاهونتي، وشيلا ديجنز، وبيتي ستوك، ترجمة: أيمن حلمي، وعاطف عثمان، وأحمد الروبي، المركز القومي للترجمة (رقم ٢١٢٨) القاهرة، ٢٠١٤م.



الفصل الثاني
في نقد الموسوعات

١/٢

موسوعة التاريخ الإسلامي مراجعة علمية نقدية



مدخل: قلق البدايات الطويل!

على الرغم من مرور أكثر من قرن على معرفة المعجم العربي الحديث لكلمة الموسوعة مكافئاً ترجمياً للكلمة الأعجمية Encyclopedia التي تندرج ضمن الأعمال المرجعية التي تلتقي مع المعجم في عدد من الخصائص البنائية، وتفارقه متميزة عنه في عدد آخر - فإن الجدل حول طبيعتها من جانب، وحول المكافئ الترجمي العربي، وإن بدرجة أقل من جانب آخر = ما زال مستمراً.

ومن أقدم من توقف أمام مشكل تعريب هذا اللفظ أحمد زكي باشا رَحْمَةُ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ: موسوعات العلوم العربية [المركز العربي للبحث والنشر، بالقاهرة سنة ١٩٨٣م، مصورة عن طبعة المطبعة الأميرية، بالقاهرة، ١٣٠٨هـ؛ (ص ٧)]؛ حيث أفرد فصلاً في تعريب لفظ إنسيكلوبيديا): encyclopedia، يقول فيه: "ما زال المترجمون حائرين ... في نقل هذا اللفظ من العجمة وإلباسه ثوباً من العروبة يليق به، ويدل على معناه". ومن المكافئات التي ذكرها:

أ- الحاوي.

ب- دائرة المعارف.

ج- الموسوعة.

د- جامع العلوم.

ولكن المجتمع العلمي مع مرور الوقت جنح إلى استعمال المكافئ: موسوعة؛ لاعتبارات ظاهرة، من مثل:

أ- الإيجاز.

ب- البيان والوضوح.

ج- مناسبة الصيغة الصرفية (اسم مفعول دال على الاتساع) للمعنى المراد من التسمية.
 د- الاقتراب من الدلالة على مفهوم الموسوعة؛ بما هو عمل مرجعي جامع، يتجاوز حدود العناية بالتعريفات إلى بناء التصورات وتأسيس المفاهيم.
 وتعاني العربية - بصورة عامة - من نوع فقر من جهة النظرة الكمية العملية؛ إذ تعد الموسوعات الموجودة قليلة على كل حال، ومن أي منظور مقارنة.
 ومن ثم فإن صدور موسوعة التاريخ الإسلامي، التي أصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بالقاهرة ١٤٣٦هـ = ١٤١٥م - ضمن سلسلة الموسوعات الإسلامية المتخصصة - يعد عملاً مهماً يستوجب المتابعة والحفاية.

والحفاية بالأعمال العلمية البر بها، وخدمتها بالدراسة والفحص من الجوانب المختلفة.

١- موسوعة التاريخ الإسلامي: المادة والانتماء المعرفي:

١ / ١ مادة الموسوعة: ضمت الموسوعة ما يربو عن (١٨٠) ثمانين ومئة مدخل، كتبها ستة وخمسون أستاذاً اختصاصياً في مجالها.

وعنوان هذه الموسوعة هو: موسوعة التاريخ الإسلامي، والقيّد المستعمل في العنوان (الإسلامي) ينبغي أن يفهم في إطاره الموضوعي، لا الزمني، بمعنى أن هذه الموسوعة معنية في المقام الأول بما يتعلق بالتاريخ (الإنسان/ الأرض) الموصوف بالإسلامي، منذ ظهور الإسلام إلى يوم الناس هذا، وليس مقصوداً به حمله على نوع من التاريخ وفق التقسيم بحسب العصور التاريخية، التي تعبر عن تاريخ مجموعة من العصور المبدوءة بنبوة النبي ﷺ وتنتهي على أعتاب العصر الحديث، الذي يؤرخ له بالغزوة الفرنسية على مصر والشام، ١٧٩٨م.

وهو قيد كان من الضروري جداً بيان المراد منه، أو تعديل العنوان ليكون موسوعة التاريخ في العالم الإسلامي!

والمداخل التي ضمتها هذه الموسوعة هي:

(ج/ ١): آل رزيق في اليمن/ آل سعود / آل يعفر الحوالمين في صنعاء/ الأتابكية/ الأتراك/ أجنادين/ أحد/ الأحزاب/ الإخشيدون/ الأدارسة/ أذربيجان/ الأراتقة/ الأزهر/ الأسطول/ الإسماعيلية/ الإسماعيلية في اليمن/ الأغالبة/ الأفسارية/ أفغانستان/

الأكراد/ ألبانيا/ الأمويون/ أمير الأمراء/ أمير المؤمنين/ الأندلس/ إندونيسيا/ الأنصار/
 أهل الذمة/ أهل الصفة/ إيران/ باب الأبواب/ باكستان/ بدر/ البرامكة/ البربر/ البردة/
 بغداد/ البقيع/ بلاد ما وراء النهر/ بلاط الشهداء/ البنجاب/ بنو حفص/ بنو حماد/ بنو
 زنكي/ بنو زهر/ بنو زيري/ بنو مدور/ بنو مرين/ بنو نجاح/ بنو نصر/ البوسنة والهرسك/
 البويهيون/ بيت الحكمة/ بيت المال/ تبوك/ التحكيم/ تركستان/ تركمانستان/ ترمذ/
 التكرور/ الثغور والعواصم/ ثقيف/ الجابية/ جامع أحمد بن طولون/ جامع الزيتونة/ جامع
 عمرو بن العاص/ جامع القرويين/ جامعة الدول العربية/ الجبل الأسود/ جبل طارق/
 الجراخمة/ الجراكسة/ الجمل/ حادثة الإفك/ الحبشة/ الحجابة/ حجة الوداع/ الحديدية/
 الحرة/ حركة الردة/ الحروب الصليبية/ حصن بابلون/ حطين/ الحمدانيون/ الحميمة/
 خزاعة/ الخزرج/ الخلافة/ الخلعجون/ الخوارزمية/ خير.

(ج/ ٢): دار الأرقم/ دار الإسلام/ دار الحرب/ دار المسكة/ دار العلوم/ دار العهد/
 دار الندوة/ دنشواي/ دهلي/ دور الصناعة/ دومة الجندل/ ديار ربيعة/ ديار مضر/ دير
 ياسين/ الديلم/ الديوان/ ذات الصواري/ رأس الرجاء الصالح/ الرستيمون/ الرسوليون/
 الرفادة/ الروم/ الزاب/ زبطرة/ زمزم/ الزنج/ الزهراء/ الزياديون/ الزياريون/
 السادات/ السامانيون/ السرايا/ سرنديب/ السقاية/ سقيفة بني ساعدة/ السنغال/
 السودان/ سيثيل/ الشام/ الشرطة/ الشعبية/ صحيفة المدينة/ الصفاريون/ الصفويون/
 صفين/ الصقالبه/ الصليحيون/ صنفي/ الصوائف والشواتي/ طاجكستان/ الطاهريون/
 طبرستان/ طرايزون/ الطواشي/ الطولونيون/ عام الحزن/ عام الوفود/ العباسيون/
 العثمانيون/ غار حراء/ الغزنويون/ الغنائم/ الغوريون/ الفاطميون/ فتح مكة/ الفتوة/
 القادسية/ قبة الصخرة/ القرامطة/ القسطنطينية/ قلعة الجبل/ القيرون/ الكعبة/ المؤاخاة/
 المرابطون/ المغول/ مكة المكرمة/ ملوك الطوائف/ المماليك/ الموالي/ الموريسكيون/
 نهاوند/ الهجرة/ الوطاسيون في المغرب/ ولاية العهد.

إن تحليل مادة المداخل في موسوعات التاريخ الإسلامي، يلمح وفاء لمفهوم التاريخ
 الذي ينتصر للحداثات في ارتباطها بعنصري الزمان والمكان، أو الزمان والأرض، من دون
 رعاية مركزية للعنصر الإنساني، صحيح أن الإنسان يبقى دائماً في أي تصور لمفهوم التاريخ

حاضرًا بامتياز، لكنه في بناء هذه الموسوعة حاضر في الخلف، ولعل خلو الموسوعة من مداخل خاصة لأعلام كان لهم سهمتهم في حركة التاريخ الإسلامي يدعم هذا الملمح من جانب، ويحيل على موسوعة الأعلام التي أنجزها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة قبلاً.

إن تغييب العلم الإنساني من المداخل في هذه الموسوعة انتصار من طرف خفي للقوى الجماعية غير الفردية، وانتصار للتحركات الاجتماعية الجماعية، وهو ميل يستصحب في روحه فلسفة الأمة.

صحيح أن ثمة أعلامًا/ أبطالاً بمفهوم بعض التصورات التي كانت شائعة لمفهوم صناعة التاريخ - اعتمادًا على البطل التاريخي - تظهر أحيانًا في معلومات التعليق على بعض المداخل، ولاسيما في مداخل الدولة الإسلامية التي أنشأها قادة، ونسبت إليهم، لكن الموسوعة انتصرت لفكرة النظام لا الأفراد!

(١ / ٢) الانتفاء المعرفي للموسوعة:

تتميز الموسوعة؛ بما هي نوع من أنواع المراجع التي تمثل - على حد تعبير الدكتور عبد الستار الحلوجي: (في كتابه: مدخل لدراسة المراجع، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م؛ ص ظهر الغلاف): - "مفاتيح كنوز المعرفة!"

وموسوعة التاريخ الإسلامي تنتمي إلى نوع المراجع المعروف باسم الموسوعات المتخصصة، بتحكيم المعايير والقرائن التالية:

أولاً: المعيار الموضوعي، فقد استقلت الموسوعة بمعالجة عدد من المداخل المنضوية تحت حقل معرفي خاص، هو التاريخ الإسلامي، تقول مقدمة المشرف على الموسوعة (١ / ٧): "ولم يقتصر اهتمامنا في هذه الموسوعة على الجوانب السياسية، والحربية من تاريخ هذه الأمة؛ بل اتسع ليشمل الجوانب الاقتصادية والثقافية، والاجتماعية، والمعمارية، والحضارية بصفة عامة".

وتقول (١ / ٧): "ولا يمكننا الادعاء بأننا استوعبنا كل موضوعات التاريخ الإسلامي في هذه الموسوعة!".

من هذين النقلين يتضح لنا أن خطاب تحليل الموضوع يقضي بالحكم على انتماء هذه الموسوعة إلى نوع الموسوعات المتخصصة في حقل معرفي بعينه، هو التاريخ الإسلامي، أو قل: تاريخ العالم الإسلامي على امتداد عصوره من نشأته إلى اليوم.

ثانيًا: عنوان الموسوعة.

ثالثًا: وعي مقدمتي الموسوعة؛ (التقديم/ ومقدمة المشرف).

رابعًا: تحليل اختصاص هيئة التحرير، التي ضمت أربعة أسماء لعلماء من كبار علماء التاريخ في مصر، هم:

أ- أ.د. عبد الشافي محمد عبد اللطيف.

ب- أ.د. عبد الله محمد جمال الدين.

ج- أ.د. حسن علي حسن.

د- أ.د. عبد الرحمن سالم.

خامسًا: تحليل اختصاص المراجعين العلميين للموسوعة، التي ضمت الأستاذين الدكتور عبد الله محمد جمال الدين، والدكتور عبد الرحمن سالم، وهما من كبار أساتذة التاريخ الإسلامي.

نحن إذن أمام موسوعة مختصة بالتاريخ الإسلامي، وهي موسوعة لا تعنى بفرع ضيق في هذا الحقل الواسع، ولكنها تغطي جغرافية التاريخ الإسلامي في حقوله الفرعية المختلفة، من مثل:

أولًا: التاريخ الإسلامي العام الذي يعنى بالأحداث الإسلامية الكبرى في عصور الأمة المسلمة المختلفة.

ثانيًا: التاريخ السياسي للأمة الإسلامية، فثمة مداخل للدول، والأنظمة والاتفاقيات الشهيرة؛ إلخ.

ثالثًا: التاريخ الحربي والعسكري، فثمة مداخل للمعارك، والمواقع والغزوات، والسرايا، والعهود، والهدنة، والحصون؛ إلخ.

رابعًا: التاريخ الاجتماعي، فثمة مداخل للجماعات، والحركات الاجتماعية، والثورات؛ إلخ.

خامسًا: التاريخ الاقتصادي؛ فثمة مداخل لدور الصناعة، والمفاهيم الاقتصادية والمالية؛ إلخ.

سادسًا: التاريخ الإداري؛ فثمة مداخل لتنظيم الحكم ومؤسساته، ومستجداته، ونظمه؛ إلخ.

سابعًا: التاريخ الثقافي، فثمة مداخل للمفاهيم الثقافية، والأفكار، والمؤسسات التعليمية والثقافية؛ إلخ.

ثامنًا: التاريخ الحضاري؛ فثمة مداخل للمؤسسات الحضارية، والمكتبات والمساجد، ودور العلم، والترجمة؛ إلخ.

ويرتبط بهذا الحقل تاريخ العمارة، فثمة مداخل عن أنواع خاصة بمبان معمارية ماثرة.

والموسوعة هذه لم تقتصر على الوفاء لمفهوم التاريخ التقليدي، وإنما بدا منها نوع تقدير لمفهوم الكتابة التاريخية الجديدة، التي تحيط بمجمل النشاط الإنساني في اتجاهات الحياة المختلفة. يقول بيتر بوركي في كتابه: نظرات جديدة على الكتابة التاريخية [ترجمة الدكتور قاسم عبده قاسم، المركز القومي للترجمة، بالقاهرة، سنة ٢٠١٠م، سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين (٢) رقم الكتاب ١٥٩١؛ (ص ٢٤)]: "صار التاريخ الجديد يحفل بكل أنماط النشاط البشري فعلاً؛ إذ إن لكل شيء تاريخ!"

إن هذه الموسوعة - باتئانها المعرفي - تمثل نقطة ضوء حقيقية في وسط ظلام يحيط بأدبيات هذا الفرع المعرفي، وأعماله المرجعية في العصر الحديث على مستوى نوعي: المعاجم التاريخية والموسوعات التاريخية معاً؛ ولأجل ذلك ظهرت قيمتها المبدئية.

٢ - موسوعة التاريخ الإسلامي: خطاب التصنيف والنقد:

يعد خطاب فحص التصنيف والنقد من أكد ما يندرج تحت دراسات البحث في الأعمال المرجعية من معاجم وموسوعات، وهما عنصران أساسيان في أية عملية لتقييم المراجع بشكل عام.

وهما عنصران مستعاران من البحث المعجمي، الذي يتأسس مع عنصر التأريخ المعجمي، هذا المجال المعرفي المهم، وفق ما قرره هارتمان في كتابه: المعاجم عبر الثقافات.

منهج موسوعة التاريخ الإسلامي: البنية الكبرى / والبنية الصغرى:

يعالج ركن التصنيف البنية الكبرى / والبنية الصغرى للموسوعة ما يلي:

أولاً: منهج بناء الموسوعة (الهيكل العام): تضم موسوعة التاريخ الإسلامي ثلاثة أقسام

هي:

١- المقدمات (واجهه الموسوعة).

٢- متن الموسوعة.

٣- كشافات الموسوعة، أو فهارسها.

وفيما يلي بيان لملامح كل عنصر من عناصر هذه البناء:

١- واجهه الموسوعة:

ضمت واجهه الموسوعة أو مقدمتها مجموعة من المكونات، هي:

أولاً: مقدمة المشرف العام على الموسوعة بعنوان هذه الموسوعة (١ / ٧-٨)، وتضمنت

المعلومات التالية:

أ- موقع الموسوعة في قائمة موسوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، فهي الموسوعة الثانية عشرة "في سلسلة الموسوعات المتخصصة التي يتولى المجلس إصدارها في مجال علوم الإسلام، وفكره، وحضاراته".

ثانياً: الانتفاء المعرفي للموسوعة؛ فهي: موسوعة مختصة في التاريخ الإسلامي، وفروعه

الشاملة الكثيرة.

ثالثاً: طبيعة التصور الذي صدرت عنه الموسوعة، وهو اتساع دائرة الاهتمام بفروع

التاريخ الإسلامي جميعاً، وعدم الاقتصار على التاريخ السياسي والحربي فقط.

وينضم لمعلومات واجهه الموسوعة أيضاً:

أولاً: قائمة بأسماء السادة العلماء، الذين يشكلون هيئة تحرير الموسوعة.

ثانياً: قائمة بأسماء السادة العلماء المراجعين العلميين للموسوعة.

ثالثاً: قائمة بأسماء السادة محرري مداخل الموسوعة.

وقد أخلت واجهة الموسوعة بعدد من المعلومات الأساسية المنصوص عليها في صناعة واجهات الموسوعات، من مثل:

أولاً: غياب بيان إرشادات الاستعمال.

ثانياً: غياب بيان طبيعة مستعملي الموسوعة.

ثالثاً: غياب بيان أهداف الموسوعة.

رابعاً: عدم تعيين طريقة تحديث معلومات الموسوعة، ولا سيما أنها متخصصة في مجال سريع التغيير وهو التاريخ.

خامساً: غياب بيان منهج الموسوعة، ونظام ترتيب مداخلها خارجياً وداخلياً، وهذه الأمور مهمة جداً.

ومن جهة أخرى، فإن ما اعتنت به مقدمة الموسوعة جاءنا ناقصاً، فقد أحسنت الموسوعة عندما صنعت قوائم بأسماء هيئة التحرير، والمراجعين العلميين والمحررين، وهو قاعدة تنص عليها قواعد صناعة مقدمات الموسوعات، ولكن فاتها أن تذكر أمام كل اسم في كل قائمة: الدرجة العلمية، والطبيعة الوظيفية. وهو أمر مهم ومحدد بالغ القيمة على طريق بناء الثقة في معلومات الموسوعة.

كما أن القائمة التي تضمنت أسماء المحررين تنص منها رصد عنوانات المداخل مرتبة ترتيباً هجائياً لكل محرر.

٢- متن الموسوعة: البنية الكبرى:

مثل جسم الموسوعة القسم الثاني من بنائها أو هيكلها العام، وقد رتبت المداخل فيه ترتيباً هجائياً وفق استعمال المدخل في صورته المتداولة بحسب الحرف الأول من كل مدخل، بلا تجريد.

وهو ما يعني تكسر الموسوعة على أبواب بعدد حروف الهجاء أو المعجم، وقد بلغت كثافة أبوابها: ثلاثة وعشرين باباً؛ إذ غابت المداخل عن أبواب حروف: الضاد/ والظاء/

واللام/ والياء! وهذا فيما يخص الترتيب الخارجي. ثم رتب المداخل داخل كل باب أو تحت كل حرف هجائي ترتيباً ألفبائياً، يراعي بعد الحرف الأول الحروف الثواني والثالث؛ إلخ. وبذلك تكون الموسوعة اتبعت في ترتيب مداخلها خارجياً وداخلياً تطبيقات النظام الهجائي الألفبائي؛ تيسيراً على المستعملين، ومتابعة للمنهجية الشائعة في صناعة الموسوعات في العصر الحديث بشكل عام.

٣- متن الموسوعة: البنية الصغرى:

تمثل البنية الصغرى للموسوعة أهم المكونات جميعاً؛ ذلك أنها هي مجموعة المعلومات التي تندرج تحت المداخل.

وتتضمن معلومات البنية الصغرى في الموسوعات وفق التصور المثالي أربعة أنواع من معلومات التعليق، هي:

أ- معلومات التعليق على شكل المدخل أو صيغته (ضبطاً وهجاء ونوع صيغته الشكلية).

ب- معلومات التعليق على معنى المدخل (من المعلومات التي تعرف بالمدخل/ ومستوى استعماله في مجال الموسوعة الموضوعي أو المعرفي).

ج- محدد منح الثقة في معلومات ما تحت المدخل (توقيع كاتب المدخل أو محرره).

د- محدد توسيع أفق المعرفة بمعلومات المداخل (المراجع المرصودة للاستزادة).

وفيما يلي فحص لهذه المحددات الأربعة المشكلة لعمود الصورة الخاص بالبنية الصغرى للموسوعة:

أ- تفاوتت عناية موسوعة التاريخ الإسلامي بمعلومات التعليق على الشكل من أكثر من زاوية، يمكن بيانها كما يلي:

١- تفاوتت العناية بأنواع معلومات التعليق على الشكل، فلم يطرد ظهور نوع بعينه منها، وإن كان الضبط بنوعه التقييدي كان أبرزها بإطلاق؛ نظراً لحاجة عدد من المداخل إلى بيان طريقة نطقها؛ لغرابتها على القارئ العربي المعاصر [انظر: غار حراء بالكسر والتخفيف والمد

(٢ / ١٣٤٠)، هذا فضلاً عن عناية بضبط كثير من المداخل بطريقة ضبط القلم (أو ما يعرف باسم: التشكيل)!

[انظر: آل يعفر (١ / ٢٩) / وأحد (١ / ٦١) / وأهل الصفة (١ / ٢٦٤) / والديلم (٢ / ١٩٥١) / والرستميون (٢ / ٩٨٠) / وصفين (٢ / ١١٧٩) وغيرها].

لقد أدخلت الموسوعة بضبط عدد كبير من المداخل، مع حاجة كثير منها إلى ذلك؛ لغرابتها على القارئ المعاصر.

٢- غياب بقية معلومات التعليق على شكل المداخل؛ اكتفاء بمراجعة المداخل، ولاسيما معلومات الهجاء. وإن ورد في مرات قليلة جداً بعض صور العناية بالمعلومات الصرفية، كما في [الثغور والعواصم (١ / ٥٧٨)؛ جمع ثغر!].

ب- أما معلومات التعليق على معنى المداخل، أو معلومات النطاق المعرفي المبين عن هوية المداخل، فقد تمتعت بقدر كبير من الرعاية، وبدت وافية في كثير من الأحيان، وقد احتوت معلومات التعليق على معنى المداخل ما يلي:

١- رعاية جانب المعلومات الاشتقاقية في عدد من المداخل، عند استشعار الارتباط بين لفظ المدخل، وأصوله الاشتقاقية، بنوع مناسبة بين هذه الأصول وصورة المصطلح المستعمل في الموسوعة.

[انظر: تعريف الثغر في اللغة: كل فرجة في جبل، أو بطن واد، أو طريق مسلك الثغور والعواصم (١ / ٥٧٨) / والحجابه (١ / ٦٩٨) من الفعل: "حجبه الرجل؛ أي: منعه من الدخول، وفلان يحجب للأمر؛ حاجبه" / والحرة (١ / ٧٢) وأصل الحرة لغة: "الحرة: أرض ذات حجارة سود نخرة؛ كأنها أحرقت بالنار"، وغير ذلك من المواضع].

ومثل هذه المعلومات مهمة في أمثال هذه المداخل؛ لارتباط غالبها بمفاهيم وتصورات معرفية، يحسن افتتاح ما تحتها من تعليق بمعلومات الاشتقاق الكاشفة؛ بما هي تمهيد وتهئية لتحصيل المعنى الاصطلاحي في التاريخ الإسلامي.

٢- التعريف، وهو مجموع المعلومات - في هذه الحالة - التي تمنح القارئ تصوراً علمياً عن المداخل من جهة:

* طبيعته،

* ونشأته،

* وتطوره التاريخي،

* وعوامل ظهوره،

* وسياقه الحضاري الذي أظهره،

* وما يترتب على ظهوره في حياة الأمة المسلمة، وتأثيره في حركة تاريخها،

* ومدة استمراره وبقائه، وأسباب ذلك،

* ومن كان وراءه.

وفي هذا السياق ظهر تفاوت معلومات التعليق من مدخل لآخر، تبعًا لمحددات كثيرة،

هي:

* موقع المدخل التاريخي في المجال الفرعي (عام/ أو سياسي/ أو حربي/ أو اجتماعي؛

إلخ).

* والمرحلة التي ظهر فيها.

* وتأثيره في حركة التاريخ، والدور الذي لعبه على مسرح الحياة.

* وطبيعة القائمين الذين كانوا وراء الحدث التاريخي؛ إلخ.

أي ما يمكن التعبير عنه بالوزن النسبي للمدخل في التاريخ الإسلامي.

٣- مستوى الاستعمال:

إن مما يحسب لهذه الموسوعة عنايتها الظاهرة - وإن لم تكن مطردة في كل مداخلها - بيان

مستوى استعمال هذا المدخل أو ذاك، بطريقة موجزة ودالة؛ فقد حرصت على إضافة المجال

الدلالي/ المعرفي الذي يميز بعض المداخل، على طريق التنوير للقارئ أو مستعمل الموسوعة،

بمعنى أن ثمة حرصًا ظاهرًا بدا من الموسوعة بتهيئة الطريق بين يدي مستعملها، عن طريق

وضع نوع المدخل، وتعيين انتمائه المعرفي الضيق للمفهوم التاريخي الحاكم.

ومن أمثلة ذلك:

١ / ١ = أجنادين (معركة) ١ / ٤ / ١ = الأخشيدون (دولة).

١ - / ٣٠٩ = بدر (غزوة) ١ / ١ / ٧٦٠ = حطين (موقعة).

٢ - / ١٤٤٩ = القسطنطينية (فتح) ١ / ٢ / ١٠٣٩ = الرنج (ثورة).

وهذا وعي جيد بأهمية بيان مستوى الاستعمال في الموسوعات المختصة، متعدية المجالات الفرعية، كعلم التاريخ.

ومع امتداح هذا الوعي، فإن ثمة انتقادات على بعض ما شابه من ملاحظ سلبية، هي: **أولاً:** عدم اطرادها في كل المداخل، مع الاعتراف بسهولة اكتشاف مستوى الاستعمال، من شهرة بعضها.

ثانياً: تفاوت ظهور عناصر من معلومات مستوى الاستعمال، من مثل وضع بعض التواريخ تحت بعض المداخل الخاصة بالأحداث، أو المواقع، أو المعارك، أو الغزوات؛ إلخ، من دون بعض.

ثالثاً: غياب بيان الفرع التاريخي الذي ينتمي إليه هذا المدخل أو ذلك؛ فقد ظهر من مقدمة المشرف على الموسوعة اتساع نطاق المجالات الفرعية لموضوعها، وهو التاريخ الإسلامي؛ مما كان يقضي تعيين عبارة كاشفة بصورة منتظمة أمام كل مدخل / أو في بدايته: سياسي / أو حربي / أو حضاري / أو ثقافي / أو اقتصادي / أو عام (شائع)؛ إلخ.

رابعاً: ظهر عدم انتظام في التعامل مع بعض معلومات التعليق على المعنى، ظهوراً نادراً، من مثل:

١ - إيراد مكافئات أو ترجمة لبعض المداخل، من مثل ما كان مع المدخل: (رأس الرجاء الصالح = Cape of Good hope / ٢ / ٩٧٥) بغير بيان للمسوغ العلمي وراء ذلك، ولا سيما أن الموسوعة مصنوعة لنوع مستعمل عربي، غرضه الاستيعاب والتحصيل، وليس من غرض الترجمة!

٢ - إيراد بعض معلومات التأصيل اللغوي في أحيان وغيابها في أحيان أخرى (كما في تتبع التطور الدلالي لمصطلح التكرور / ١ / ٥٧١) مثلاً.

ج- توقيع المداخل:

من الأمور التي ترقى بمنزلة هذه الموسوعة حرصها على واحد من أهم محددات صناعة الثقة في معلوماتها، وهو المحدد المعروف في صناعة الموسوعات بمحدد توقيع محرر المداخل، فقد ظهر اطراد توقيع المداخل، باسم كاتبها أو محررها.

وهو ملمح مهم جداً على طريق تقدير القيمة العلمية لهذه الموسوعة.

ولعل أظهر الملاحظ على الموقعين على مداخل الموسوعة كامن في غياب بعض العلماء من ذوي السمعة العلمية الممتازة في مجالها، من مثل:

- أ.د. عبادة كحيل رَحْمَةُ اللَّهِ الَّذِي كَانَ حَيًّا أَيَّامَ إِعْدَادِ الْمَوْسُوعَةِ.

- أ.د. قاسم عبده قاسم.

- د. محمد كمال الدين عز الدين.

د- مراجع الاستزادة من المعلومات:

من الأمور الجيدة في بناء هذه الموسوعة حرصها على تذييل كل مدخل بمجموعة من المراجع، وهو محدد مهم، محقق لآفاق التوسع العلمي لمن يحتاج إلى معلومات أخرى من جانب، وللحفاظ على مستوى التوازن بين حجوم التعليقات على المداخل مع ضمان خدمة المستعمل من جانب آخر.

وهو محدد مهم يرقى بمنزلة الموسوعة من جانبي: تعزيز الثقة فيها، وتعزيز منظور المستعمل، غير أن ملحظاً مهماً برز في تعامل الموسوعة مع عدد من المداخل، وهو غياب المصادر الأصيلة في موقع النص على مراجع الاستزادة، وحتى لا يكون الملحظ تحكيمياً، فإنني سأشترط في ذكر الأمثلة المتقدمة هنا ضرورة ظهور اسم المدخل في المراجع الغائبة عن البند الخاص في آخر كل مدخل بمراجع الاستزادة:

أولاً: في مراجع الاستزادة المرصودة على المدخل: (صفيين ٢ / ١١٨٧) غاب المصدر المهم: وقعة صفيين، لابن مزاحم المنقري، المتوفى سنة (٢١٢هـ)، وقد نشره محققاً الأستاذ/ عبد السلام هارون ١٣٨٢هـ = ١٩٦٢م، بالقاهرة.

ثانيًا: في مراجع الاستزادة المرصودة على المدخل: (الصقالبة ٢ / ١١٩٥) غاب المصدر المهم: الدرّة الخطيرة في شعراء الجزيرة: "جزيرة صقلية"، لابن القطاع الصقلي، المتوفى سنة (٥١٥هـ)، وقد نشره محققاً بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥م.

من جانب آخر، فقد غاب عن معلومات التعليق على المداخل كل الموضحات البصرية، مع أهميتها الخطيرة جداً، فمثلاً غابت الخرائط، وصور بعض المداخل المنتمية للتاريخ الحضاري، مع إمكان ذلك؛ من مثل: صورة للأزهر، أو جامع ابن طولون، أو دار الكتب المصرية؛ إلخ.

كما غابت صور بعض المداخل المنتمية للتاريخ الثقافي من بعض صور الوثائق، أو المعاهدات؛ إلخ.

وقد فوت هذا الغياب مجموعة من القيم العلمية المعترف بها، التي من شأنها الارتقاء بتقدير الموسوعة، والارتقاء بمستوى الوثوقية العلمية فيها.

كما تورطت الموسوعة في ما يمكن تسميته بالانحياز للإقليم مصدر صناعة الموسوعة، وهي الدولة المصرية، فقد بدا من فحص المداخل الملامح التالية:

أولاً: ارتفاع نسبة المداخل المنتمية لتاريخ مصر السياسي والحربي والثقافي والحضاري والاجتماعي والاقتصادي، مقارنة بغيرها من البلدان الإسلامية في العالم الإسلامي، فعلى حين ظهر مدخل للجامع الأزهر، مع تقدير منزلته في التاريخ الإسلامي - غابت مداخل للمسجد النبوي، وللمسجد الأقصى!

ثانيًا: غابت مداخل مهمة جداً تمثل - في الحقيقة - علامات فارقة في التاريخ الإسلامي، وتمثل علامات تحول مفصلي، من مثل: غياب مداخل لسقوط الأندلس، أو سقوط غرناطة، والجامعة الإسلامية، والعروة الوثقى، وغير ذلك.

٣- كشافات الموسوعة ١٦ / ١٤ب:

اكتفت هذه الموسوعة بكشاف واحد فقط للمداخل، وقد رتب ترتيباً ألفبائياً هجائياً وفق منطوق لفظ المدخل في الاستعمال النهائي؛ قصدًا إلى المبالغة في التيسير على المستعملين،

مقروناً بالمؤشر المكاني؛ أي الجزء والصفحة، موضع وروده والتعليق عليه، وهو الرابط كذلك.

وقد ابتدع هذا الكشف أمرًا جديدًا هو: وضع مداخل غير معلق عليها في الموسوعة أصلاً؛ بغرض استكمال تنوير مداخل أخرى فيها، فقد أورد الكشاف - مثلاً - مدخلاً للأوس، وهو غير معالج فيها، وأحال في الكشاف على مدخل: الأنصار المعلق عليه، وكذلك التتار، والحجر الأسود، وقد تحقق من وراء هذا أمور، هي:

أولاً: التيسير على المستعملين.

ثانياً: الترابط المفهومي، أو التماسك الدلالي بين عدد من المداخل.

ثالثاً: الكشف عن بعض العلاقات الدلالية بين عدد من ألفاظ المداخل، ولاسيما علاقتي الترادف.

وثمة ملاحظ تتعلق بقسم الكشافات، وهي:

أولاً: غياب مجموعة من الكشافات المهمة للغاية، من مثل: كشاف الأعلام التاريخية والأحداث التاريخية، وغيرها.

ثانياً: عدم اطراد كلمات التنوير أمام جميع المداخل في الكشاف، فقد أورد الكشاف أمام عدد من المداخل بعض كلمات دالة عن مستوى الاستعمال، لكن منهجه لم يطرده.

د- موسوعة التاريخ الإسلامي: نموذج تحليلي لنص تطبيقي:

ومن أجل دعم ما سبق من مراجعة علمية نقدية، فستوقف هذه المراجعة أمام نموذج تحليلي لنص تطبيقي، تسعى إلى تشريحه؛ لبيان خصائص منهج هذه الموسوعة، وملاحظه التطبيقية.. والنص موضع التحليل هو: صحيفة المدينة (٢/ ١١٥٨ - ١١٦٢).

يمثل تعيين هذا المدخل في هذه الموسوعة نموذجاً لما سبق وتقرر في هذه المراجعة، من تبني هذه الموسوعة لمفهوم الكتابة التاريخية الجديدة؛ حيث إن أفرادها مدخلاً لهذه الصحيفة يتجاوز حدود الكتابة التاريخية التقليدية، وهو تعبير عن الاحتفال بمجمل النشاط الإنساني، وهو نموذج جيد لتداخل المجالات التاريخية، فهذا المدخل صالح لأن ينتمي إلى التاريخ السياسي، والاجتماعي، والديني، والاقتصادي، والحربي معاً.

فهو تنظيم للعلاقات بين الطوائف المختلفة (سياسة)، وهو رعاية للاختلافات الدينية (دين)، ورعاية للمواطنة والتعايش الواحد (اجتماع)، وتنظيم للثروات، وتوزيع لها (اقتصاد)، وبناء لمنظومة من الدفاع المشترك (حرب)؛ إلخ.

وقد كتبت المقالة/ المدخل بتداخل منهجين في التأليف التاريخي، هما:

أولاً: الكتابة السردية.

ثانياً: الكتابة البنائية.

وقد تضمنت ما يلي:

- ١- موقع الصحيفة على خريطة الأحداث التاريخية في تأسيس الدولة الإسلامية.
 - ٢- اختيار عنوان المدخل من داخل نص الصحيفة (تعليل التسمية).
 - ٣- مكونات الصحيفة، تتكون من سبعة وأربعين بنداً.
 - ٤- تحليل أهم بنود الصحيفة؛ وهي:
 - أ- أطراف من تعنيهم الصحيفة.
 - ب- تغيير معيار انتباء الأمة من العرق إلى الدين.
 - ج- البنود التسعة الأولى لم تأت لتهدم الهويات.
 - د- تحديد طريقة التعامل مع اليهود.
 - هـ- تكرار التأكيد على حقوق اليهود وواجباتهم في تحمل أعباء القتال مع المسلمين (تأكيد مبدأ المواطنة الكاملة).
 - و- حسم مهمة تعيين رئاسة النظام في المدينة، وهو للنبي، وله وحده سلطة حسم النزاع.
 - ٤- توقيع كاتب المدخل، وهو الدكتور عبد الرحمن سالم، وهو واحد من أعلام المختصين في التاريخ الإسلامي المعاصرين، في واحدة من أعرق الكليات، وهي كلية دار العلوم، بجامعة القاهرة.
- وهو محدد مهم للغاية؛ لمنح الثقة في مادة المعلومات المعرفة لهذا المدخل أو المصطلح.

٥ - تذييل المدخل بعدد من المصادر للاستزادة، وهي ثلاثة:

أ- فقه الشورى والاستشارة، للدكتور توفيق الشاوي رَحْمَةُ اللَّهِ.

ب- في النظام السياسي، للدكتور محمد سليم العوا.

ج- محمد في المدينة، لوات (النص الإنجليزي).

وعلى الرغم من أصالة هذه المصادر الثلاثة، فقد غاب عن هذا البند التأسيسي في

المدخل / الموسوعي بعض المصادر بالغة الأهمية، من مثل:

أ- مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي (الخلافة الراشدة، للدكتور محمد حميد الله

(وهو من المراجع البنائية في المدخل).

ب- وثيقة المدينة: دراسات في التأصيل الدستوري في الإسلام، تحرير عبد الأمير زاهد

(مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت سنة ٢٠١٤م).

أما من جهة ما يمكن أن يقدم للتعليق على هذا المدخل من انتقادات، فيمكن أن نشير إلى

ما يلي:

أولاً: السكوت عن أشياء تمثل مثاراً لتساؤلات مهمة، من مثل: تاريخ كتابة الصحيفة،

وهل كتبت دفعة واحدة أم على فترات متعاقبة؟

ثانياً: توثيق نص الصحيفة، والحكم عليه حديثاً، وقد قرر دارسو الحديث أن الصحيفة -

بمجموع طرقها - ترقى إلى مرتبة الأحاديث الصحيحة، كما جاء في: وثيقة المدينة: دراسة

حديثية [ضمن وثيقة المدينة: دراسات في التأصيل الدستوري في الإسلام، ٢٠١٤م؛ ص ٤٩

لعبد الجبار زين العابدين خلف].

ثالثاً: مستويات ما تنظمه الصحيفة من شؤون الحياة.

٥ - خاتمة

توقفت هذه المراجعة العلمية النقدية لموسوعة التاريخ الإسلامي أمام واحد من الأعمال

المرجعية المنتمية إلى فرع الموسوعات المختصة؛ مستهدفة تقييمها ونقدها في ضوء أصول

صناعة الموسوعات الحديثة.

وكشفت عن مجموعة من الخصائص الإيجابية فيها تتعلق بما يلي:

أولاً: تصميم الموسوعة.

ثانياً: عناصر البنية الكبرى.

ثالثاً: البنية الصغرى.

رابعاً: محدد الثقة في معلوماتها (توقيع المداخل).

خامساً: محدد توسيع المعلومات (مراجع الاستزادة).

كما رصدت عددًا من السلبيات من وجهة نظر نقاد الموسوعات.

إن هذه الموسوعة خطوة على طريق تراكم العناية بالموسوعات؛ بما هي أعمال مرجعية نوعية ومهمة جدًا.

ومثال دال على ما تتعرض له الأعمال المرجعية المختصة في اللسان العربي من تطور ومرونة معًا.

المراجع

- ١ - مدخل لدراسة المراجع، الدكتور عبد الستار الحلوجي والدكتورة منى شاكر، مكتبة البخاري، بالقاهرة ٢٠١٠م.
- ٢ - موسوعات العلوم العربية، لأحمد تيمور باشا، المركز العربي للبحث، القاهرة، ١٩٨٣م.
- ٣ - موسوعة التاريخ الإسلامي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ٢٠١٥م.
- ٤ - نظرات في الكتابة التاريخية الجديدة، لبيتر بوركي، ترجمة: قاسم عبده قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة ٢٠١٠م.
- ٥ - وثيقة المدينة: دراسات في التأصيل الدستوري في الإسلام، تحرير: عبد الأمير زاهد، مركز الحضارة، بيروت، ٢٠١٤م.
- ٦ - وقعة صفين، لنصر بن مزاحم، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة ط (٣) ١٩٨١م.

٢ / ٢

الموسوعة المصورة للرموز التقليدية

مراجعة علمية نقدية



مدخل: نحو توطين لثقافة صناعة الموسوعات في العربية!

يمثل ظهور الموسوعة - بما هي عمل مرجعي - أمرًا حديثًا بصورة نسبية في الثقافة العربية في العصر الحديث.

ولعل هذا الحكم يدعمه أمران ظاهران جدًا، هما:

أولاً: استمرار الجدل حول المكافئ الترجمي للمصطلح الغربي "encyclopedia"، وهو الجدل الدائر حول اختيار أحد المكافئات التالية:

أ. الموسوعة.

ب. دائرة المعارف.

ج. الجمهرة.

د. المعلمة.

صحيح أن الانتصار يوشك أن يعلن لاختيار المكافئ: الموسوعة، لكن استمرار الجدل، وإن خفتت حدته يدعم ما نقره بهذا الصدد.

ثانيًا: قلة المنجز من الموسوعات في اللسان العربي في العصر الحديث، وقلة المنقول منها بطريق الترجمة من اللغات الأخرى.

وانتشار نقل الموسوعات من اللغات الأجنبية أمر مهم جدًا؛ لتوطين ثقافة صناعة الموسوعات في الثقافة العربية المعاصرة، ودعم استقرار أصول هذه الصناعة، ومبادئها.

ومتابعة ما يصدر من الموسوعات في أي من هذين الاتجاهين؛ اتجاه الإنجاز الأصيل باللسان العربي، واتجاه النقل بالترجمة - بالنقد والمراجعة العلمية - مهم جدًا في دعم هذه

الصناعة العلمية، ودعم استقرار أصول هذه الصناعة، ومبادئها عن طريق توطين نماذجها العملية أو التطبيقية في اللسان العربي.

(١) الموسوعة المصورة للرموز التقليدية:

المادة والبناء، والانتفاء المعرفي:

هذا عمل صدر سنة ١٩٧٨م في لغته الأصل، وهي الإنجليزية، ثم صدرت ترجمته العربية عن المركز القومي للترجمة، بالقاهرة سنة ٢٠١٤م! نقله إلى العربية الأستاذ/ مصطفى محمود [انظر في التعريف؛ ص ٧٠٨ - ٧٠٩ من الترجمة العربية].

ويتكون هذا العمل معمارياً أو هيكلياً من ثلاثة أقسام متميزة، هي:

(١) المادة والبناء.

١ / المقدمة.

١ / ٢ متن الموسوعة.

١ / ٣ البليوجرافيا (مصادر الموسوعة).

(٢) الانتفاء المعرفي.

١ / ١ مقدمة الموسوعة:

في برامج فحص البنية الكبرى للأعمال المرجعية - من نوع المعجمات والموسوعات - تشغل الواجهة أو مقدمة العمل front matter مكانة مهمة؛ بما هي المدخل للتعامل مع الموسوعة، وتيسير استعمالها من جانب مستعمليها.

وقد ضمت واجهة الموسوعة هذه ما يلي:

أ. صفحة العنوان:

وقد ظهر فيه المؤشر اللغوي المعين على تعيين الانتفاء المعرفي لهذا العمل المرجعي، حيث جاء العنوان: الموسوعة المصورة للرموز التقليدية، وهو ترجمة دقيقة للعنوان الأصلي الذي هو: (An illustrated encyclopaedia of traditional symbols)، وقد ظهر من التعريف بصناعة الموسوعة - جي. سي. كوبر - أنها مختصة بدراسة الفلسفة والأديان المقارنة والرموز،

وهو الأمر الذي يمنح مستعملي هذه الموسوعة درجة من الموثوقية المبدئية، تحملهم على الاطمئنان الأولي للعمل، ومحتوياته.

وقد كان الأولي وضع هذا التعريف العلمي بمصنفة الموسوعة تحت اسمها مباشرة على غلاف الموسوعة (صفحة العنوان).

ب. مقدمة الموسوعة:

ضمت مقدمة الموسوعة مجموعة من المعلومات المهمة والمفيدة لمستعمليها، وقد توزعت هذه المعلومات على ما يلي:

أولاً: أهمية دراسة الرموز؛ بما هي الأداة الأقدم للمعرفة، والأهم في طرق التعبير (ص/٥).

ثانياً: بيان الفروق بين الرمز والشعار والاستعارة؛ فالرمز "يعبر أو يبلور جانباً من خبرة مباشرة من الحياة والحقيقة" (ص / ٦)، أما الشعار أو الخاصة "فعادة ما تصور شيئاً مادياً ملموساً، بيد أنه بدوره يحوي شيئاً من الخاصة الرمزية".

ثالثاً: بيان طبيعة الرموز التقليدية التي تقوم و"تفترض ... أن الكائن السماوي هو الأصل البدئي، وأن الكائن الأرضي ما هو إلا انعكاس له أو صورة منه؛ أي أن الأعلى يتضمن معنى الأدنى" (ص / ٧).

رابعاً: بيان قدر من المنهجية في بناء المداخل والتعليقات التي عليها، وقد تمثل ذلك في بيان ما يلي:

أ. "إبراز التفسير العام أو العالمي المقبول للرمز".

ب. توضيح دلالاته المتعددة في مختلف الثقافات والحضارات والمواقع الجغرافية" (ص/٨).

خامساً: بيان بعض إرشادات الاستعمال، من مثل:

- "وحيثما لا نخص بالذكر ثقافة معينة، فإنها يدل هذا على القبول العام لمعنى الرمز في أي مكان يوجد به".

وقد أخلت هذه المقدمة بعدد من المعلومات المهمة التي ينص عليها دارسو البنية الكبرى للأعمال المرجعية، بما يلي:

أولاً: بيان منهج ترتيب مداخل الموسوعة، وهو النظام الألفبائي في الأصل الإنجليزي، (وفي الترجمة العربية).

ثانياً: بيان إرشادات الاستعمال.

ثالثاً: طريقة ترتيب المعلومات تحت كل مدخل، وبأية ثقافة تبدأ الموسوعة.

رابعاً: بيان الاختصارات.

خامساً: بيان طريقة جمع مادة الموسوعة.

سادساً: بيان مصادر الموسوعة، وأنواعها، وطريقة التعامل معها.

سابعاً: بيان أهداف الموسوعة، والغرض من تصنيفها.

ثامناً: بيان أنواع المستعملين.

(٢.١) متن الموسوعة:

يمثل المتن أو الصلب middle matter العصب من أي عمل مرجعي، ولاسيما المعجمات والموسوعات.

ومتن الموسوعة هو مادة معلوماتها التي اتخذت الشكل التالي:

المدخل:
- معلومات التعليق على المدخل

وقد رتبت كوبر مداخل هذه الموسوعة وفقاً للنظام الهجائي الألفبائي الإنجليزي، فجاءت في خمسة وعشرين باباً كما يلي:

١. باب ال A (ص / 11).

٢. باب ال B (ص / 41).

٣. باب ال C (ص / 81).

- ٤ . باب ال D (ص / 159).
- ٥ . باب ال E (ص / 190).
- ٦ . باب ال F (ص / 207).
- ٧ . باب ال G (ص / 241).
- ٨ . باب ال H (ص / ٢٥٨).
- ٩ . باب ال I (ص / 292).
- ١٠ . باب ال J (ص / 299).
- ١١ . باب ال K (ص / 308).
- ١٢ . باب ال L (ص / 314).
- ١٣ . باب ال M (ص / 348).
- ١٤ . باب ال N (ص / 378).
- ١٥ . باب ال O (ص / 414).
- ١٦ . باب ال P (ص / 428).
- ١٧ . باب ال Q (ص / 465).
- ١٨ . باب ال R (ص / 470).
- ١٩ . باب ال S (ص / 497).
- ٢٠ . باب ال T (ص / 585).
- ٢١ . باب ال U (ص / 639).
- ٢٢ . باب ال V (ص / 643).
- ٢٣ . باب ال W (ص / 654).
- ٢٤ . باب ال Y (ص / 685).
- ٢٥ . باب ال Z (ص / 692).

وهذا هو الترتيب الخارجي للمداخل، وقد رتبت كوبر المداخل في كل باب/ أو فصل ترتيباً هجائياً ألفبائياً كذلك وفق النظام الإنجليزي، مراعية الثواني والثالث؛ إلخ.

ومن المهم ملاحظة أن المدخل الواحد الذي ينضوي تحته مداخل فرعية لم تخضع للمنهج الهجائي الألفبائي في ترتيبها؛ فمثلاً في المدخل (الأعداد) Numbers (ص/ ٣٨٥) أوردت كوبر تحته واحداً وعشرين مدخلاً فرعياً هي (الصفحة/ واحد/ ثلاثة عشر/ عشرون/ أربعون - سبعون/ ٦٦٦ / ٨٨٨ بهذا الترتيب العددي وليس الألفبائي).

وقد حافظ المترجم على هذا النظام، ولم يعدله بعد ترجمة الموسوعة، ولم يلحق بالموسوعة ملحقات، أو كشافاً مرتباً وفق الألفبائية العربية مقرونة بالمداخل الإنجليزية؛ تيسيراً على المستعمل العربي.

وهذا الإخلال أوقع المستعمل العربي في حرج، وضيق، وصعب من استعماله؛ لأنه يفترض في القارئ العربي معرفة المصطلح أو الرموز في اللغة الإنجليزية؛ لكي يستطيع الوصول إلى المعلومات الواردة تحته.

أما التعليق على المداخل فقد ضم معلومات كثيرة تدرج - في الغالب - تحت ما يعرف في برامج البنية الصغرى للأعمال المرجعية باسم التعليق على المعنى.

لقد تركزت المعلومات الواردة تحت المداخل على ما يلي:

أولاً: مفهوم الرمز، والدلالة التي يرمز إليها بشكل عام.

ثانياً: نسبة الدلالات إلى الثقافات المختلفة، إن لم يكن الرمز عالمياً، أو عامّاً في الثقافات المختلفة.

ثالثاً: ترتيب الثقافات والحضارات ألفبائياً في الغالب.

ومن الأمثلة الدالة على هذه المنهجية ما جاء من معلومات التعليق على مدخل: (الهلال)

crescent (ص/ ١٤١): حيث أوردت كوبر المعلومات كما يلي:

أولاً: الدلالة العامة للرمز (ص/ ١٤١): يعد "القمر الهلالي الرمز الأول بلا منازع للأمم

العظيمة وملكة السماء القمرية، وهو الصفة المميزة لكل إلهات القمر، فهو مبدأ الأنوثة

الكامن، وكل من الأم العذراء وعذراء السماء، ويصور القمر المتبدل: التغير في العالم المدرك".

ثانياً: بيان نسبة الدلالات الخاصة بهذا الرمز في الثقافات المختلفة، فهو في:

- أ. ثقافة الكلتيين: يرمز للخلود.
- ب. وفي المسيحية: يرمز لمريم العذراء، وملكة السماء.
- ج. وعند المصريين: يرمز لإيزيس ملكة السماء، وصخور.
- د. وعند الهندوس: يرمز للوليد، والنهاء السريع، والكأس الذي يجوي إكسير الخلود.
- هـ. وفي الإسلام: يرمز للسيادة.
- ز. وعند السومريين: يرمز لإله القمر.

ومن هذا يتضح لنا عناية التعليقات على المداخل ببعض معلومات المعنى، وهي:
أولاً: التعريفات، أو الدلالات والتصورات.

ثانياً: مستوى الاستعمال، وهو الذي يتعين بذكر الثقافة أو الحضارة أو الموقع الجغرافي قبل بيان المعنى أو الدلالة أو التصور.

وقد غاب عن معالجات التعليق على المداخل المعلومات التالية:

أولاً: معلومات التعليق على الشكل من هجاء المداخل، وطريقة نطقها، وضبطها، وما يتعلق بمعلومات الصيغة الصرفية، وبعض معلومات التمديد الجرماطيقي (المعلومات النحوية).

ثانياً: بعض معلومات التعليق على المعنى، من مثل: التأثيل أو الاشتقاق etymology

ومن الجدير بالذكر أن الموسوعة استعملت نوعين من أنواع طرق شرح المعنى، هو:

أولاً: طرق شرح المعنى الأساسية، وهي الطرق التي استعملت الأقوال الشارحة أو

اللغة. وقد غلب على هذه الطرق استعمال طريقتين على وجه التعيين، هما:

أ. طريقة الشرح بالمرادف في مداخل التعليق، عند إرادة بيان المعاني والدلالات العامة للرموز، يقول مثلاً في التعليق على المدخل الشرق / East / ص ١٩٤): "الشرق: الفجر، والربيع، والأمل، والطفولة".

وهو أكثر الطرق شيوعاً في التعليقات على المداخل.

ثانياً: طريقة الشرح بالتعريف المحكم، وهو التعريف الذي يحرص على جمع السمات الدلالية الفارقة المميزة للرمز؛ أي شرحه بطريقة ذكر القيود الجامعة لسماته وصفاته، المانعة من اختلاطه بغيره.

ثالثاً: طرق شرح المعنى المساعدة، وهي الطرق التي اعتمدت على الصور والرسوم، أو الموضحات البصرية، وهو ما يميز هذه الموسوعة، ويرقى بدرجة بيانها للدلالات والتصورات، وقد ظهر من تحليل عنوانها أن الاعتماد على الموضحات كان أمراً مقصوداً متعمداً من قبل كوبر.

وقد تنوعت الصور والرسوم في هذه الموسوعة، وتوزعت على الأنواع التالية:

- أ. التماثيل (انظر: ص ٦٤٢).
- ب. صور الملابس (انظر: ص ٤٨٤).
- ج. صور حلي ذهبية (انظر: ص ٤٤٦).
- د. صور أطباق خزفية مزخرفة (ص ٢٤٠).
- هـ. لوحات فنية (ص ٢١٣).
- و. صور لصناديق خشبية منقوشة (ص ١١٨).
- ز. صور لوجوه إنسانية (ص ٦٧).
- ح. صور لطيور وحيوانات (ص ٥٨).
- ط. صور لنباتات وأشجار (ص ٤٣١).
- ك. صور ورسوم لكائنات خرافية (ص ٤٤١).
- ل. صور لأدوات منزلية وأثاث (ص ٤٧٦).

م. صور لأسلحة متنوعة (ص ٦٣٢).

ن. صور لجدران ومبان (ص ٦٧٨).

وعلى الرغم من قصد كوبر إلى صناعة موسوعة مصورة، فإن الصور والرسوم، وجملة الموضحات البصرية لم تغط مداخل الموسوعة كاملة، ولا بلغت نصف المداخل! وقد جاءت المصورات في الطبعة العربية مستعملة اللونين الأبيض والأسود؛ مما فوت كثيرًا من المعلومات المهمة جدًّا، التي تضر بتحليل الألوان، ودلالاتها المختلفة. وقد ظهر من كوبر نوع وعي بأثر تطبيقات النظام الألفبائي على تشتت كثير من المداخل المترابطة المتداخلة والمتعاقبة، فلجأت إلى تقنية الإحالات بين المداخل التي بينها نوع من العلاقات الدلالية؛ كالتضمن والاشتغال وغيرهما. وهي التقنية التي أسهمت في تحقيق قدر كبير من التماسك المفهومي بين المداخل التي تنتمي لحقول دلالية أو مجالات دلالية متقاربة أو متحدة.

ومما يلاحظ على بناء متن الموسوعة ما يلي:

أولاً: غياب التوثيق أو الاستشهادات المرجعية في كل مدخل.

ثانيًا: غياب مراجع الاستزادة في نهاية التعليق على كل مدخل، وهو نوع إخلال ناتج من إهمال وظيفة الموسوعة التي تروم التعليم والثقيف، وليس الإعانة أو المساعدة البحثية، كالمعجمات.

ثالثًا: ذكر بعض الدلالات لعدد من الرموز من دون وجود مصادر معرفية داعمة لما ذكر من هذه الدلالات.

ففي التعليق على المدخل (الهلال: ذكر أنه دال على السيادة في التصور الثقافي الإسلامي، من دون أن يكون هناك مصدر معرفي يدعم هذه الدلالة، وهو ما حمل المسئول عن تحرير الموسوعة أن يعلق في الهامش (ص / ١٤٢) قائلاً على هذه الدلالة أو المعنى: "لا أصل له. وربما كان المقصود علم دولة تركيا وريثة الخلافة العثمانية؛ حيث كان لفظ تركي مرادفًا للفظ "مسلم" في الثقافة الأوروبية بصفة عامة"! وانظر التعليق كذلك في هامش (ص / ٣٦٧).

رابعاً: تعميم بعض الدلالات الخاصة ببعض الرموز، وسحبها على عموم ثقافة ما، مع كون هذه الدلالات لهذه الرموز مغلقة وغير عامة؛ أي خاصة بتيار أو فريق بعينه، ومن ذلك دلالة الأصابع الأربعة في التعليق على مدخل (اليد/ ص ٢٦١) بأنه رمز دال على رفاق النبي ﷺ الأربعة: فاطمة/ وعلي/ والحسن / والحسين.

وهو كما تقرر هيئة تحرير الموسوعة: "هذا القول أقرب إلى الرؤية الشيعية"!

(٣.١) بليوجرافيا الموسوعة (مصادر الموسوعة):

لم يرد في آخر أقسام الموسوعة إلا قائمة بمراجعها ومصادر المستعملة فيها. وقد ضمت مجموعات من المصادر موزعة على الحقول المعرفية المختلفة، الخادمة لموضوع الموسوعة، وهذه المجموعات هي:

أولاً: مجموعة دراسات الرموز، من مثل: "بايلي" "baily" بعنوان "the lost language of symbolism"، وكتاب "بلونت" Blount عن علم الرموز: "the science of symbols" وكتاب "بورا" Bowra: تراث الرمزية: "the heritage of symbolism" وغيرها.

ثانياً: مجموعة مصادر تاريخ الأديان، والأديان المقارنة: ككتاب إنجه Inge معجم الأديان والملل "dictionary of religion and religions".

ثالثاً: مجموعة مصادر الأساطير.

رابعاً: مجموعة مصادر دراسة "الإثنوجرافي" أو علم الثقافات.

خامساً: مجموعة مصادر دراسات الأعراق والأجناس البشرية.

سادساً: مجموعة مصادر التاريخ القديم لحضارات العالم، وثقافته القديمة.

سابعاً: مجموعة مصادر الثقافة والحضارة.

ثامناً: مجموعة مصادر الآثار والمعابد.

تاسعاً: مجموعة الأدلة الخاصة بالأماكن والمدن، والمباني وغيرها.

عاشراً: مجموعة كتالوجات اللوحات الفنية، والنُصَبات (المسكوكات) وصور التماثيل من معجمات الرموز، والشعارات، والصور والرسوم، وموسوعات، ومعجمات الأديان، واتجاهات العبادة في الحضارات المختلفة.

وقد نهض هذا الجزء بمجموعة من الوظائف المهمة للغاية، فقد قامت هذه الببليوجرافيا (المصادر) بالوظائف التالية:

أولاً: الوظيفة التأسيسية التكوينية؛ وهو ما يعني أنها مثلت المصادر التي شكلت جسم الموسوعة أو متنها، فهي التي نقلت منها كوبر معلومات موسوعاتها، والصور المصاحبة الموضحة لمعلومات ما تحت المداخل.

وهي الوظيفة التي تجلت في:

أ. بناء المداخل.

ب. معلومات التعليق على المداخل على الثقافات والحضارات المتنوعة.

ج. الصور والموضحات البصرية المتنوعة.

ثانياً: الوظيفة التدعيمية، ويقصد بها ما نهضت بتقديمه من معلومات المصادر الداعمة لدلالات الرموز، والتصورات والمفاهيم الواردة تحت كل رمز/ مدخل، وهذه الوظيفة تتجلى في:

أ. الأقوال الشارحة. ب. البراهين والأدلة المؤكدة للدلالات المذكورة.

ثالثاً: الوظيفة الاستدراكية:

ويقصد بها ما قامت به هذه المصادر من تكملة عدد من المعلومات الخاصة ببعض تعليقات المداخل التي جاءت ناقصة قبل ظهور هذه الموسوعة، وهي الوظيفة التي انعكست في:

أ. الروح التأريخية لدلالات الرموز في الثقافات والحضارات والمواقع الجغرافية المتنوعة.

ب. سد الفجوات التأريخية التي كانت سابقاً من خلال تتبع دلالات الرموز المصورة في ثقافات الإنسانية بشكل شامل واستيعابي.

رابعاً: الوظيفة التصحيحية:

وهي قريبة الشبه بالوظيفة الاستدراكية، غير أنها تختص بتصحيح ما ورد من دلالات خاطئة في بعض المصادر لبعض الرموز التقليدية المصورة، وحرصت التعليقات على مداخل هذه الموسوعة على تصحيحها، وبيان أخطائها، وذكر الصواب مع الأدلة والبراهين.

ولكن هذه المصادر - مع ما تمنحه لمستعملي هذه الموسوعة من موثوقية واطمئنان لما ورد فيها من معلومات ثرية ومتنوعة - جاءت مجموعة عامة في فهرست المراجع.

ولو أن كوبر - بجانب ذلك - وثقت كل مدخل والتعليق الذي عليه من مصادره التي استقيت منها المعلومات، ثم ألحقت كل مدخل والتعليق الذي عليه بمراجع للاستزادة - لكانت درجة الموثوقية في الموسوعة أعلى بمراحل كبيرة جداً.

ملاحظات نقدية على بنية الموسوعة:

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الموسوعة، على الرغم من مكانتها في اللغة العربية وفرادتها، فإن ثمة ملاحظ نقدية عليها، يرجى أخذها في الحسبان - إن تهيأت الظروف لطبعة تالية - وهي كما يلي:

أولاً: ضرورة تعديل ترتيب المداخل؛ ليكون وفق الألفبائية العربية؛ أي يكون الترتيب على وفاق المكافئات العربية، أو على الأقل صناعة ملحق في صورة كشاف (عربي/ إنجليزي)، مدعوم بمؤشرات مكانية لأرقام صفحات ورود كل مدخل؛ ليتيسر للمستعمل العربي سهولة استعمال هذه الموسوعة، وهذا مبدأ مستقر في البحث في المعجم والموسوعة، يعرف برعاية منظور المستعمل.

ثانياً: ضرورة توثيق كل مدخل، والتعليق الذي عليه من المصادر التي نقل منها.

ثالثاً: ضرورة توثيق الصور والموضحات البصرية ببيان المصادر التي نقلت منها.

رابعاً: ضرورة إضافة عنصر في نهاية كل مدخل، والتعليق عليه بمجموعة مراجع إضافية للاستزادة؛ خضوعاً لفهم وظيفة الموسوعة المتمثلة في: التعليم والتثقيف.

خامساً: لوحظ كذلك قدر من "العنصرية" أو التعصب "الإثني" أو القومي، وكانت تجلياته ظاهرة في طغيان رعاية دلالات الرموز في الثقافات الغربية تعييناً.

سادساً: غياب دلالات الرموز في الثقافات الإفريقية والبدائية بشكل ظاهر.

(٢) الانتماء المعرفي للموسوعة:

إن فحص مادة هذه الموسوعة ومعلومات ما تحت المداخل، يكشف عن تنوع معرفي مذهل، وعن انتهاات معرفية كثيرة بدرجة ظاهرة.

إن القول بصعوبة تعيين الانتماءات المعرفية لهذه الموسوعة يعد قولاً صحيحاً بامتياز، ولكن ثمة انتماءات معرفية بادية الاستعلان، يمكن رصدها فيما يلي:

١.٢ الدراسات الثقافية:

إن فحص مادة الموسوعة في قطاعات كبيرة منها، وتحليل كثير من مصادرها يكشفان عن انتماءها لمجال الدراسات الثقافية/ الإثنولوجية.

٢.٢ اللسانيات:

كما يكشف تحليل معلومات الموسوعة عن انتماء هذه الموسوعة لمجال اللسانيات؛ بما أن الرموز تشكل لغة، وتحمل دلالات وتصورات ومفاهيم.

ولعل فرع السيميائيات بما يدرسه من أيقونات وصور وشعارات، هو أكثر المجالات ابتهاجاً بصدور هذه الموسوعة.

٣.٢ تاريخ الأديان:

والموسوعة نص موسع جداً في تاريخ الأديان، وتطور الرموز فيها، وعلاقتها ببعض، والانحرافات التي لحقت التصورات السماوية على الأرض من وجهة نظر الديانات السماوية.

٤.٢ تاريخ الأفكار:

والموسوعة مصدر خصب لإعادة بناء تاريخ الأفكار في الثقافات الإنسانية المتنوعة، وتفاعلها واقتراض بعضها من بعض، وتأثير بعضها في بعضها الآخر، وتمدد الرموز حقل خصب لقياس تطور الأفكار، ولاسيما الأفكار الدينية، والطقوسية منها على وجه التحديد.

٥.٢ علم اجتماع الدين:

والموسوعة - مع كل ذلك - مصدر مهم جداً لدراسة سوسيولوجيا الدين، وتطور ممارسة الشعائر والطقوس، وما دخل عليها على امتداد الزمان.

٦.٢ علم اجتماع الحضارة:

والموسوعة ترصد ما أنجزه الإنسان على الأرض من منجزات مادية حضارية متعاطية مع الأفكار الدينية، أسهمت على امتداد التاريخ في أداء الشعائر والطقوس، وتجسيد المعاني السماوية والدينية، والمقدسات.

٧.٢ تاريخ الفنون:

والموسوعة مصدر لتجلي المقدس، وتجلي الجميل بما ضمته من مصورات غطت مساحات شاسعة من حقول المعرفة الدينية، شملت المعاني الإيمانية، وطقوس العبادات، وحشدت الأفكار المختلفة في صور تماثيل، ولوحات فنية متنوعة.

٨.٢ علم الآثار:

والموسوعة - بما ضمته من مداخل لرموز ومصورات أثرية في صورة تماثيل، ولوحات، ونميات (مسكوكات)، أو ملابس - تعد مصدرًا مهمًا من مصادر علم الآثار القديمة يمكن اعتمادها مصدرًا ثانويًا في هذا الميدان المعرفي.

٩.٢ علم النقد:

إن هذه الرموز التي تسربت في الآداب العالمية تمثل كنزًا في أيدي علماء النقد الأدبي، وقد سبق في مفتح هذه المقالة الفرعية من هذه المراجعة العلمية النقدية تقرير صعوبة إحصاء الانتهات المعرفية لهذه الموسوعة، وهو الحكم الذي ما زال صحيحًا من وجهة نظرنا؛ نظرًا للخصوبة المعرفية، والكثافة العلمية التي تندرج تحتها معلومات التعليق على المداخل المختلفة فيها.

٣. وظائف الموسوعة المصورة للرموز التقليدية: قراءة في خطاب الاستثمار:

إن تحليل معلومات الموسوعة المصورة للرموز التقليدية - من وجهة نظر الأدوار التي يمكنها القيام بها في الثقافة العربية المعاصرة، أو ما يعرف باسم الوظائف المتوقعة - كثيرة، يمكن أن نرصد منها ما يلي:

١.٣ الوظيفة المعرفية:

إن المجالات المعرفية أو الانتهات المعرفية التي سبق رصدها في المقالة السابقة هنا تكشف عن المدى المعرفي الممكن النهوض به. وهو ما يعني أن ميادين توظيف هذه الموسوعة، وميادين استثمارها في الثقافة العربية المعاصرة كثيرة، تغطي ميادين دراسات الأديان المقارنة والدراسات الثقافية، وتطور الإنسان، والآداب المقارنة، والسيميائيات، وتطور العقل البشري، وتاريخ الأفكار، واللسانيات، والبلاغة المقارنة، وتحليل النصوص

الأدبية، والدينية، وفهم التقاليد المتوارثة، وعلاقات الحضارات، وانتقال الأفكار، والإيتمولوجي، أو التأثيل اللغوي للرموز الرحالة المهاجرة من ثقافة إلى أخرى، وغير ذلك من المجالات المعرفية التي يمكن خدمتها بهذه الموسوعة.

٣.٢ الوظيفة التاريخية:

إن كثيراً من معلومات هذه الموسوعة ذات منزع تاريخي، وهو ما يصلح معه إعادة تصور الحلقات المفقودة في تاريخ بعض الثقافات، ولو بشكل غائم ومبدئي.

٣.٣ الوظيفة الحضارية:

إن واقع التشابه بين دلالات الرموز المصورة التقليدية في الثقافات والحضارات والمواقع الجغرافية المتنوعة - ربما يدعم نشاطات السلم العالمي، والدعوة إلى تأخي العالم، والتقريب بين حدوده، وتقليل الصراعات بين بلدانه، باستثمار هذه الرموز في خلق خطاب مشترك يفهمه الإنسان في كل ثقافة.

وهو ما يعني أن هذه الرموز يمكنها أن تخلق لغة دولية أو عالمية، تراهن على تعظيم المشترك الثقافي والحضاري بين الثقافات البلدان المختلفة وحضاراتها؛ مما يسهم في التقدير والاحترام المتبادلين.

٤.٣ الوظيفة الدينية:

إن تحليل كثير من المعلومات التي وردت في التعليق على كثير من الرموز المصورة التقليدية، يدعم الحقيقة الإسلامية التي تقرر أن التوحيد هو الفكرة الأصيلة والجوهرية التي افتتح بها الإنسان حياته على الأرض، بموجب منطوق الكتاب العزيز، الذي يقرر أن الوحي كان أمراً أولياً صاحب النزول الأرضي لآدم وذريته، ثم حدث نوع من الانحراف والنسيان، ظهرت معه الديانات الإشراكية والوثنية التي كانت تستوجب بين الحين والآخر إرسال الرسل والأنبياء والكتب والرسالات.

خاتمة:

إن هذه المراجعة العلمية النقدية تنطلق من إيمانها بأن المراجعات العلمية بحوث كاملة.

وقد كشفت هذه المراجعة النقدية عن مجموعة من النتائج، من مثل:

أولاً: سدت هذه الموسوعة فراغاً رهيباً في المكتبة العربية، فلم يكن قبلها ثمة عمل مرجعي في مستواها ولا حجمها ولا كثافة مداخلها ولا تنظيمها، انشغل بالتعليق على الرموز التقليدية المصورة.

ثانياً: تمتعت الموسوعة بقدر طيب من شرائط صناعة الموسوعات، فجاءت بنيتها الكبرى شاملة المكونات التالية:

أ. واجهة الموسوعة.

ب. متن الموسوعة أو صلبها.

ج. بيلوجرافيا الموسوعة.

ثالثاً: أخلت الموسوعة بعدد من الأصول التي يجب ظهورها في المقدمة، تتعلق بمعلومات منهج الترتيب للمداخل، وإرشادات الاستعمال.

رابعاً: أخلت الموسوعة بعدد من معلومات التعليق على المداخل؛ فقد غابت معلومات التعليق على شكل المداخل تماماً.

خامساً: تراجعت كثافة استعمال الصور والرسوم، والموضحات البصرية، فلم تغط كل المداخل، مع القصد إليها وتعمدها.

سادساً: أخلت الترجمة العربية بكشاف جامع للمداخل العربية؛ مما صعب معه استعمال الموسوعة على المستعملين العرب بشكل ظاهر.

ومع كل ذلك فإن هذه الموسوعة تعالج موضوعاً مهماً للغاية، متعدد الاستشارات، قادراً على أن يحدث قدرًا من تطوير الدرس في كثير من الميادين المعرفية في الثقافة العربية المعاصرة مع مرور الوقت.

المراجع:

الموسوعة المصورة للرموز التقليدية، لحي.سي.كوبر، ترجمة: مصطفى محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، (رقم ١٧٢٧) سنة ٢٠١٤م.

٣ / ٢

موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر

للدكتور يوسف حسن نوفل

مراجعة علمية نقدية



مدخل:

تعد المراجعات العلمية - "بما تنطوي عليه من جهد تحليلي تركيبى - أعملاً علمية في حد ذاتها"، كما يقرر الدكتور حشمت قاسم في مقاله عن المراجعات العلمية.

وهذا البحث يستهدف صنع مراجعة علمية للعمل المرجعي: موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر للدكتور يوسف حسن نوفل، معتمداً الطبعة الأولى التي صدرت عن: مؤسسة المختار، بالقاهرة، سنة ١٤٢٦ هـ = سنة ٢٠٠٥ م (١٠٨٥ ص).

ويعالج البحث مسألته من خلال المطالب التالية:

١. موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر: مادتها، وانتمائها المعرفي، وأهميتها.
 ٢. موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر: بنائها ومنهجها ومصادرها.
 ٣. موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر: مقالة في خطاب الوظائف والاستثمار.
- وفيما يلي بيان ذلك.

إن هذا المراجعة العلمية تستهدف - بالأصالة - تقدير سهمة الدكتور يوسف حسن نوفل في ميدان دراسة الشعر العربي الحديث والمعاصر، وبيان ما أسهم به من مصادر مساعدة، تعين على فحص كثير جداً من قضايا منجز هذا الجنس الأدبي العريق في العصر الحديث والمعاصر.

١/ موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر: مادتها وانتماؤها المعرفي، وأهميتها:

(١.١) مادة الموسوعة:

احتوت موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر على قسمين أساسيين، هما:

أ. الدراسة الديوانية، وتضمنت: (النصوص المصاحبة للديوان/ العتبات، والديوان).

ب. البيئات: معجم الشعراء، ودواوينهم والمختارات، والمجموعات، والمطولات.

موزعين على الدول العربية التالية:

الإمارات/ البحرين/ تونس/ الجزائر/ السعودية/ السودان/ سوريا/ العراق/ عمان/
فلسطين والأردن/ قطر/ الكويت/ لبنان/ مصر/ المغرب/ المهاجر/ موريتانيا/ اليمن/
شعراء آخرون.

(٢.١) الانتماء المعرفي للموسوعة:

ربما يبدو فحص أمر الانتماء المعرفي لهذا العمل مثيراً للدهشة في ظل تعيين نوع انتماء معرفي لها في عنوانها (موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر).

والحق أن أمر هذا الانتماء المعرفي لهذا العمل في حاجة إلى الفحص، وبيان شبكة الانتماءات المعرفية التي تتنازعه وتدعي احتواؤه.

(١)

إن هذا العمل عمل مرجعي بامتياز، وهو صالح لأن ينتمي إلى الأنواع التالية من الأعمال المرجعية:

أولاً: نوع الموسوعة:

لقد ظهر الانتماء المعرفي في العنوان، ويبدو أنه أطلق على هذا العمل من ملاحظة سعته واستيعابه؛ حيث قرر الدكتور يوسف نوفل في إضاءة عنوانه ما نصّه (ص / ٣): "حصر شامل لشعراء العالم العربي كله (٧٠٠٠ شاعر)، ودواوينهم، والمختارات، والمجموعات، والمطولات الشعرية، ودراسة حديثة لدواوينهم، ومسيرة تطورها: العنوان، والمقدمات والجمع والتحقيق، والنشر والطباعة، والتجنيس الأدبي".

كما يمكن أن يكون هذا التعيين التصنيفي بالموسوعة بسبب ملاحظة العناية بعدد من المعلومات الموسوعية في تعريف المداخل / أو الشعراء العرب، وهي المعلومات التي طالت:

أ. بلد الشاعر.

ب. سنة الميلاد/ والوفاة.

ج. أعماله الشعرية من الدواوين، وغيرها.

ثانياً: نوع المعجم:

وثمة ما يوحي بانتماء هذا المعجم إلى قطاع الأعمال المعجمية والمرجعية، بدليل تحليل خطاب المقدمة، حيث جاء فيها التصريح بأن هذا العمل هو من قبيل (ص / ٧): "الإسهام ... المعجمي".

ويدعم هذا الانتماء مجموعة المحددات التصنيفية التالية:

أ. الترتيب، حيث رتبت المداخل خارجياً على البلدان ترتيباً ألفبائياً، وداخلياً (أي في داخل كل بلد) على الترتيب الألفبائي الشرقي كذلك.

ب. البنية الكبرى للعمل؛ حيث صُمِّم في صورة المعجم، بمعنى أنه جعل اسم الشاعر مدخلاً، وأمامه مجموعة المعلومات تعليقاً على المدخل.

ثالثاً: عمل بليوجرافي:

من جانب ثالث يظهر إمكان إلحاق هذا العمل بالأعمال البليوجرافية (الوراقية)، وهو ما يدعمه تحليل خطاب المقدمة، التي جاء فيها غير مرة التصريح بذلك، يقول الدكتور يوسف نوفل (ص / ٧) إن عمله هذا من قبيل "الإسهام البليوجرافي".

وهو انتماء معرفي تدعمه المحددات التالية:

أ. ذكر عناوين الدواوين التي أبدعها كل شاعر ممن ضمهم هذا العمل البليوجرافي.

ب. ذكر أماكن طبعات هذه الدواوين (المدينة/ أو المؤسسة الثقافية/ أو دار النشر)، أو هي مجتمعة معاً.

ج. ذكر عدد صفحات كل ديوان.

رابعاً: نوع الدليل.

من جانب آخر، فإن هذا العمل يمكن أن ينتمي إلى نوع "الأدلة"؛ بما هي نوع من الأعمال المرجعية.

وهذا الانتفاء المعرفي يظهر من الوظيفة التي يعلنها صانعه الدكتور يوسف نوفل، المتمثلة في:

أ. حصر شعراء العرب المحدثين والمعاصرين.

ب. حصر أعمالهم الشعرية من الدواوين والمختارات؛ إلخ.

كما يكشف عن هذا الانتفاء المعرفي جزء من منهج بناء هذا المرجع؛ حيث رتبت المداخل ترتيباً خارجياً على الأماكن أو البلدان.

إن هذه الانتفاءات المعرفية الأربعة تجيب عن السؤال الدائر عن نوع العمل من الناحية التصنيفية.

(ب)

أما الإجابة عن انتفاء هذا العمل المرجعي متعدد الانتفاءات التصنيفية من جهة المجالات والحقول المعرفية، فإنه صالح لأن ينتمي إلى الحقول المعرفية التالية:

أولاً: تاريخ الشعر الحديث والمعاصر:

ذلك أنه يجمع الشعراء المعاصرين، ويرصد أعمالهم الشعرية، ويكشف عن معلوماتها البليوجرافية (الوراقية)؛ مما يمثل - والحالة هذه - مرجعاً أساسياً لجمع مادة بحوث تاريخ الشعر العربي الحديث والمعاصر، ولاسيما أنه يعنى ببيان سنوات الميلاد والوفاء للشعراء المذكورين في هذا العمل المرجعي.

ثانياً: النقد الأدبي:

لقد احتوت هذه الموسوعة على قدر ظاهر من بحوث النقد الأدبي، ولاسيما ما جاء في مقدماتها من مباحث تتعلق بفحص عتبات النصوص وأنواعها؛ مما يجعل هذا العمل المرجعي عملاً في النقد الأدبي.

ثالثاً: نظرية الأدب:

اجتهد هذا العمل المرجعي في بعض مقدماته ببيان الفروق بين الدواوين، والأعمال الشعرية الكاملة، وما إلى ذلك من الأعمال الشعرية، وهو بهذا يمكن أن يسهم في تطوير بعض بحوث نظرية الأدب، فيما يتعلق بفحص جنس الشعر تعييناً؛ مما يجعل هذا العمل المرجعي واحداً من أعمال نظرية الأدب.

رابعاً: البليوجرافيا:

هذا الكتاب - بما هو عمل مرجعي - يهدف إلى: الجمع والرصد، وبيان المعلومات الوراقية، وأماكن طباعة الأعمال الشعرية، وهو بهذا ينتمي بامتياز إلى حقل البليوجرافيا.

خامساً: تحقيق النصوص:

يضم هذا العمل المرجعي إشارات كثيرة جداً إلى أعمال شعرية مات أصحابها ورحلوا عن دنيانا، وأماكن نشرها، وطبعاتها الأولى؛ مما يعد دليلاً مهماً لمن يروم نشر بعض هذه الدواوين نشرات نقدية موثقة محققة، يلزم معها جمع الطبعات الأولى؛ باعتبارها نوعاً من النسخ الثانوية.

(٣.١) أهمية موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر:

يمثل هذه العمل أهمية كبيرة في مجاله المعرفي المتعدد الانتعاشات، وتظهر محددات هذه الأهمية من خلال ما يلي:

أولاً: يعد هذا العمل امتداداً لتراث عريق اهتم بالترجمة للشعراء، وتوزيعهم على طبقات زمانية، وجغرافية، وفنية.

ومن ثم فهو عمل يصل ما انقطع من آثار هذا التراث العريق.

ثانياً: يستمد العمل أهميته كذلك من هذه السمة الاستيعابية التي حرص عليها؛ حيث غطى العمل جغرافية الوطن العربي كاملاً، مع التنبه لشعراء العربية في المهاجر، وهو ما يجعله عملاً مرجعياً شديد الأهمية من هذا الجانب الاستيعابي.

ثالثاً: تظهر أهميته من حالة الفراغ التي تحيط بهذا الحقل المهم؛ فقد جاء على حين فقر يضرب المكتبة العربية في هذا الباب.

رابعا: القيمة العلمية لصانع هذا العمل المرجعي أساس في تقدير الأهمية التي يتمتع بها؛ فقد أخلص صانعه لجنس الشعر العربي، ولاسيما الحديث والمعاصر؛ دراسة، وتحليلاً، وفحصاً، ونقداً.

(٢) موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر: بناؤها ومنهجها ومصادرها:

تتناول هذه المقالة من هذا البحث ثلاثة مطالب هي:

١.٢ بناء الموسوعة (البنية الكبرى للموسوعة).

٢.٢ منهج الموسوعة في إيراد معلوماتها (البنية الصغرى).

٣.٢ مصادر الموسوعة ووظائفها.

وفيما يلي فحص لهذه المطالب؛ يستهدف الكشف عما تمتعت به على مستوى البناء والمنهج:

(١.٢) البنية الكبرى للموسوعة:

ضمت هذه الموسوعة في بنيتها الكبرى macro-structure ثلاثة أقسام، هي:

أ. واجهة الموسوعة.

ب. متن الموسوعة.

ج. ملاحق الموسوعة.

(أ) واجهة الموسوعة:

تنهض الواجهة front matter في الأعمال المعجمية والموسوعية بوظيفة جليلة، تمثل المفتاح إلى استعمالها، والإفادة منها.

وقد ضمت واجهة هذا العمل المرجعي المعلومات التالية:

١. الدراسة الديوانية:

أ. النصوص المصاحبة للديوان (العتبات): عتبة الديوان من العنوان، والمقدمات، والتذييلات، والإهداء.

ب. فضاء الكتابة: البياض والسواد، والشكل، والتأريخ، والفهرسة، والتبويب.

٢. الديوان:

أ. فائت الديوان، وجمع الدواوين الحديثة، وتحقيقتها، وتعدد النشر والطبعات، ودواوين المختارات والمجموعات.

ب. المطابع ونشر الدواوين.

ج. الديوان وتعدد المهاجر الأدبية وتجدها.

د. ديوان الشعر العربي الحديث: مسيرة وتطور.

هـ. تجنيس ديوان الشعر وبيان درجة الصفاء النوعي والمرونة والمزج والعبور من صرامة النوع إلى مرونة الأنواع.

وقد اهتمت المقدمة بما يلزم ظهوره من معلومات المنهج وإرشادات الاستعمال، فبينت ما يلي:

أولاً: منهج بناء الموسوعة (ص / ١٠)، وهو المنهج الألفبائي الترتيب.

ثانياً: بيان انحصاره في جمع الشعر فقط من دون المسرحيات الشعرية.

ثالثاً: بيان المصادر التي جمعت منها مادة الموسوعة إجمالاً.

ومع تقدير المعلومات التي وردت في هذه الواجهة، فإن ثمة ملاحظ تحيط بها ورد فيها نجملها فيما يلي:

أولاً: عدم ذكر منهج ترتيب الموسوعة الخارجي، وأنه جغرافي؛ أي قسم الموسوعة أولاً إلى أقسام بحسب البلدان العربية، مع أفراد قسم خاص لشعراء المهجر، وكان الترتيب الألفبائي خاصاً بالترتيب الداخلي فقط؛ أي لترتيب أسماء الشعراء في كل فصل خاص بهذا البلد أو ذلك، وهو نوع خضوع لفكرة الإقليمية من جانب، والتقسيمات السياسية والجغرافية من جانب آخر.

ثانياً: حاجة الموسوعة إلى قائمة بالرموز والاختصارات المستعملة في التعامل مع معلومات المداخل (أسماء الشعراء)، من مثل:

و= اختصاراً لتاريخ الولادة.

ثالثاً: لم يظهر تفسير لوضع معلومة تتعلق بوطن الشاعر أمام كل اسم من أسماء الشعراء، مع أن الشعراء موزعون على الأقاليم والبلدان!

ب (١.٢) متن الموسوعة:

جاء هذا العمل المرجعي في عشرين فصلاً، مرتبة ترتيباً جغرافياً ألفبائياً على أسماء البلدان، وفقاً للترتيب التالي:

١. شعراء الإمارات العربية المتحدة.
٢. شعراء البحرين.
٣. شعراء تونس.
٤. شعراء الجزائر.
٥. شعراء السعودية.
٦. شعراء السودان.
٧. شعراء سوريا.
٨. شعراء العراق.
٩. شعراء عمان.
١٠. شعراء فلسطين والأردن.
١١. شعراء قطر.
١٢. شعراء الكويت.
١٣. شعراء لبنان.
١٤. شعراء ليبيا.
١٥. شعراء مصر.
١٦. شعراء المغرب.
١٧. شعراء المهاجر الشمالية والجنوبية.
١٨. شعراء موريتانيا.

١٩. شعراء اليمن.

٢٠. شعراء آخرون.

ويتضح من هذا البناء الخارجي ترتيب المعجم/ الدليل ترتيباً ألفبائياً جغرافياً على أسماء بلدان الشعراء، مع تخصيص الفصل الأخير للشعراء مجهولي البلد، الذين لم يستطع المعجم تعيين أوطانهم.

وهذا المنهج الترتيبي متأثر بتطبيقات إقليمية الأدب من جانب، يستحضر مفهوماً سياسياً لطبقات الشعراء.

أما الترتيب الداخلي في كل فصل/ بلد، فقد جاء ألفبائياً جذعياً خالصاً، بمعنى أنه رتب المداخل في داخل كل فصل/ أو بلد بحسب نطقها، ترتيباً ألفبائياً جذعياً، لا يستصحب التجريد أو الرد إلى الجذور.

وهو في الترتيبين الخارجي والداخلي معاً لا يعتد بما يلي:

أ. "ال" التي للتعريف، فعنوان فصل العراق وقع بعد سوريا، ولا يكون ذلك إلا بعد عدم الاعتبار "بال" التي للتعريف.

وكذلك وقع: الحسن بن أحمد بعد حسن إبراهيم (ص / ١٩٢)، وهكذا دواليك.

ومما يلاحظ على هذا القسم من الموسوعة تضخم الفصل الخاص بشعراء مصر (ص ٦١٣ - ٩٩٠) بما يمثل ٣٩٪ تقريباً من كثافة المعجم/ الدليل. وهو ملمح قل أن تنجو منه موسوعة، بمعنى أن تأثير جنسية صانع الموسوعة يميل بها نحو هذه السمة التصنيفية من العناية بالمداخل المنتمية إلى بلده، لدرجة ارتفاعها إلى ما يزيد عن الثلث.

وقد فات هذا العمل المرجعي مجموعة من الشعراء لم يذكرهم في فصولهم المظنونة، وهو أمر يبدو طبيعياً في سياق النظر إلى الأعمال المرجعية الكبيرة، ومما أحل بذكره هذا العمل من شعراء مصر:

أ. الدكتور بسيم عبد العظيم (و ١٩٥٧م) مصر.

ب. الدكتور حمدي والي (مصر).

ج. عبد الرحمن القرضاوي (و ١٩٧٠) مصر. قطر.

كما ورد شعراء في غير أوطانهم من مثل:

محمود مفلح (ص ٩٣٨) مصر، وهو من غير شعرائها.

ج (١.٢) ملاحق الموسوعة:

ضمت الموسوعة ملحقاتاً واحداً جاء فهرساً لمصادر البليوجرافيا، ومصادر دراسة الشعر العربي الحديث، بلغ عددها (٢٤٠) مصدرًا، مرتبة ترتيباً هجائياً ألفبائياً على عناوين المصادر. وهو فهرس مهم جداً في تحليل موثوقية الموسوعة، ومدى استيعابها.

(٢.٢) منهج الموسوعة في إيراد معلومات كل شاعر (البنية الصغرى) **microstructure**:

تفاوتت أشكال العناية بمعلومات التعليق في هذا العمل المرجعي من مدخل لآخر، بحسب ما أتيت لصانعه من مصادر جمع المادة.

وتركز أنواع المعلومات، ومنهج إيرادها في هذا المعجم/ الدليل فيما يلي:

أولاً: المدخل، ويتكون من المعلومات التالية:

أ. اسم الشاعر.

ب. بلده ووطنه (مفرداً/ أو متعدداً).

ج. سنة ميلاده/ ووفاته (إن وجدت).

ثانياً: معلومات ما تحت المداخل (وهي خالصة لدواوين الشاعر وأعماله الشعرية)، مرتبة

ترتيباً زمنياً، بحسب أسبقية تاريخ صدور الأعمال الشعرية، وهذه المعلومات كما يلي:

أ. عنوان الديوان/ العمل الشعري.

ب. المعلومات البليوجرافية (الوراقية) الخاصة بالنشر، وعدد الصفحات.

ج. وكاتب المقدمة النقدية والتعريفية إن وجد.

ومن النماذج الدالة على ما نقره:

- ص ٦٢٨. أحمد بخيت (ولد ١٩٦٦م) مصر:

لا تسأليني، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٦ م وطن بحجم عيوننا، ١٩٨٩ م، وداعاً أيتها الصحراء ١٩٩٨ م. وليلى ... شهد العزلة ١٩٩٨ م. وصبر الكلیم ٢٠٠٠ م، والأعمال الشعرية الكاملة، دار الأحمدی للنشر.

ففي هذا المثال يتضح ما يلي:

أولاً: بيان المدخل، بذكر اسم الشاعر/ وتاريخ مولده/ ووطنه.

ثانياً: بيان معلومات ما تحت المدخل المخصصة لمنجز الشاعر الشعرية، وقد تضمنت المعلومات ذكر عنوان الديوان، ومكان نشره وسنة نشره، مرتبة ترتيباً زمنياً من القديم إلى الحديث.

ويلاحظ على التعليقات ما يلي:

أولاً: اطراد ترتيب مكونات التعليقات على المداخل، بحيث اطراد ظهور مفردات المعلومات في كل المداخل، وهو ملمح جيد في تصميم البنية الصغرى في الأعمال المعجمية.

ثانياً: تفاوت الوفاء بمكونات التعليق من المعلومات جميعاً، بمعنى أنه على حين اكتمل ظهور المعلومات كاملة تحت بعض المداخل/ من أسماء الشعراء، فإن ثمة نقصاً لحق التعليق على عدد كبير من المداخل.

(٣ / ٢) مصادر الموسوعة:

تكلمت الموسوعة عن مصادر جمع مادتها مرتين، هما:

أولاً: في المقدمة (ص / ١٠): يقول الدكتور يوسف حسن نوفل: "لقد كان المسار والمسعى شاقاً ... استقصاء وتنقيحاً ... ومقابلة واتصالاً ومراسلة ... وسفراً إلى بعض البلدان العربية، ومتابعة لمواقع الشبكة الدولية (الإنترنت)، والمواقع الشخصية، والموسوعات الإلكترونية، ورصدًا واقتناء للبيبلوجرافيات العربية المتنوعة".

ثانياً: فهرس المصادر في ختام العمل المرجعي ونهايته.

وقد كشف فحص هذا المصادر وتحليلها عن استعمال المجموعات التالية:

أولاً: معاجم الشعراء، وموسوعاتهم، ومعاجم أعلام الأدباء، ومعاجم أعلام المدن وغيرها، من مثل:

أ. أدباء سعوديون، لمصطفى حسين (رقم ٤)، وأعلام الأدب العربي المعاصر لروبرت كامل (رقم ٢١)، ورواد الشعر الحديث في مصر، لمختار الوكيل (رقم ٨٠)، ومعجم شعراء الطفولة في الوطن العربي خلال القرن العشرين، أحمد فضل شبلول (رقم ٢٠٤)، وغير ذلك. ب. الدراسات الأدبية والنقدية الخاصة بالشعر العربي الحديث، من مثل: الشعر الحديث في السودان، لعبده بدوي (رقم ١٢٧) والشعر العربي المعاصر: تطوره وأعلامه، لأنور الجندي (رقم ١٣٠)، وغيرهما.

ج. البليوجرافيات الخاصة بالإنتاج الشعري، من مثل: كشف الأدب الإماراتي الحديث، لأحمد محمد عبيد (رقم ١٥٦)، ومصادر دراسة محمود سامي البارودي، لمحمد مصطفى هدارة (رقم ١٧٠).

وقد نهضت مجموعات هذه المصادر بعدد من الوظائف، يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: الوظيفة البنائية التكوينية التأسيسية؛ أي أنها أسهمت في بناء مادة هذا العمل المرجعي، وتكوينه.

ثانياً: الوظيفة البليوجرافية؛ حيث أمدت مستعملي هذا العمل المرجعي بكثير من المعلومات الوراقية المتعلقة ببيانات الدواوين، ومظان نشرها، وسنوات النشر.

(٣) موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر: مقالة في خطاب الوظائف:

إن تحليل هذه الموسوعة، وفحص أقسامها، يكشف عن مجموعة من الوظائف التي يمكن استئثارها في الدرس الأدبي والنقدي والثقافي المعاصر، ومن الممكن تأمل مجموعة منها فيما يلي:

أولاً: الوظيفة المعرفية:

يقصد بهذه الوظيفة ما يمكن أن تسهم به هذه الموسوعة في تعميق مسارات البحث في نطاق الحقل المعرفي الذي تخدمه، وهو حقل تاريخ الأدب العربي الحديث، ودراسته، ونقده.

لقد ضمت هذه الموسوعة عددًا كبيرًا من شعراء العرب المعاصرين؛ بشهادة كثافة

المداخل التي تجاوزت حدود سبعين ألف شاعر!

وهو ما يعني إمكان استثمارها في الحقول البحثية التالية:

- أ. إعادة ترسيم خرائط الاتجاهات الشعرية في عموم الوطن العربي.
 - ب. إعادة فحص الأنواع الفرعية المنضوية تحت جنس الشعر؛ بما هو جنس علوي.
 - ج. تطوير دراسات العنوان؛ بما هو عتبة نصية مهمة ملهمة معاً.
 - د. إعادة رسم خرائط المدارس الشعرية في الأوطان العربية.
 - هـ. حسم مسائل النزاع حول الريادة الشعرية في عدد من البلدان العربية؛ تبعاً لتحليل تواريخ نشر المنجز الشعري للمتنازع حول ريادتهم.
- ويرتبط بهذه الوظيفة - الوظيفة الثقافية التي تجيب عن منزلة الشعر في التكوين الثقافي.

ثانياً: الوظيفة التاريخية:

لا شك أن العناية التي أولتها هذه الموسوعة للتواريخ على مستويات تواريخ مواليد الشعراء، وتواريخ صدور دواوينهم وأعمالهم الشعرية، تسهم في ضبط دراسات تاريخ الشعر الحديث والمعاصر في هذه البلدان العربية.

ثالثاً: الوظيفة الحضارية:

لقد تمدد الشعر العربي في مناطق فنية كثيرة، فاشتبك مع تاريخ الغناء، وأسهم في تطويره، واشتبك مع تاريخ الدراما التلفزيونية والسينمائية، وأسهم في تطويرها كذلك. وهو الأمر الذي يحتاج إلى فحص ودراسة وتحليل يكشف عن السهمة الحضارية للشعر العربي المعاصر في تطوير عدد من الفنون.

رابعاً: الوظيفة السياسية والقومية:

للشعر إسهام قديم في دعم الروح القومية، ولا شك أن الأحداث التي مرت على الأمة العربية شهدت تعاطياً شعرياً أسهم في التأريخ لها من جانب، وأسهم في التعاطف الوجداني والعقلي مع قضاياها من جانب آخر، جعل هذه الأحداث والقضايا حاضرة في الوجدان العربي المعاصر.

وهو ما كان له سهمته في تعاطي النفس العربية مع قضايا أمته، ومشكلاتها المختلفة.

خاتمة:

إن العناية بأعمال المراجعات العلمية النقدية تمثل وجهًا بحثيًا مهمًا، ما يزال قليل التجليات في المسارات البحثية المعاصرة في الداخل العربي والمصري.

وهذه المراجعة العلمية لهذا العمل المرجعي / الموسوعي، استهدفت تحية عالم جليل عكف عمره في محراب دراسة فن العربية الأول، وعلم الشرق بلا منازع، وهو الشعر.

وقد نتج من هذه المراجعة العلمية ما يلي:

أولاً: يمثل هذا العمل المرجعي امتدادًا لتاريخ عريق في التراث العربي الخادم لتراجم الشعراء، وبيان طبقاتهم.

ثانيًا: تمتع هذا العمل المرجعي بتطبيق عدد كبير من أسس صناعة الأعمال المعجمية، فاحتوى على واجهة و متن.

ثالثًا: حافظ المعجم / الدليل على اطراد ظهور المعلومات في مواضعها؛ من التعليق على المداخل، أو أسماء الشعراء.

رابعًا: كشفت المراجعة العلمية لهذا العمل المرجعي عن عدد كبير من الوظائف الممكن استلهاؤها واستشارها في سياق تطوير الدراسات الأدبية والنقدية وتاريخها.

...

إنني أكتب هذه المراجعة العلمية لإحياء القيمة العلمية، والصبر والدأب في خدمة علم العرب الأصيل، المتمثل في شعرها في مرحلة من مراحل تاريخه المهم، الذي تحلى به صاحب هذا العمل الدكتور يوسف حسن نوفل، فله موفور التحية.

المراجع:

١. المراجعات العلمية ودورها في تحول المعلومات إلى معرفة، للدكتور حشمت قاسم، ضمن دراسات عربية في المكتبات والمعلومات العدد (٢) مايو، سنة ١٩٩٨م، مج ٣ (١/١). (١١).

٢. موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر، للدكتور يوسف حسن نوفل، مؤسسة المختار للنشر، القاهرة، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

٤/٢

قمر على الحمراء!

العناية المعاصرة بتراجم اللغويين والنحويين الأندلسيين دراسة في البحث المعجمي



مدخل: بكاء الفردوس: العاطفة الخلافة:

يقع الأندلس وما يدور في فلكه من منجز وحضارة وتراث وأدب في نفوس العرب، والمسلمين على امتداد العصور التاريخية موقعاً أثيراً يستفز عواطفهم، ويسيل مدامعهم، ويكون زماناً من العزة الآفلة، وتاريخاً من المجد الغابر، وحضارة بقيت شواهدا إلى اليوم، وإن غابت رسوم الذين شيدها وعمرها.

ولأسباب نفسية جمعية، ولأسباب معرفية، وبتأصيل من حقل المنظور الإقليمي في دراسة الآداب والحضارات - استقل فحص منجز الأندلسيين بالدرس العلمي، وأصبح العكوف على الأندلسيات ميداناً معرفياً ممتداً وخصباً بكل ما يعنيه هذا الوصف.

وقد تنبه الدارسون إلى خصوصية فحص سهمة الأندلسيين في الدرس اللساني منذ زمان بعيد، وقامت تأسيسات في غير حقل معرفي فرعي تثبت ذلك، وتبرهن عليه، وهو ما يتجلى فيما يلي:

أولاً: المدرسة اللغوية الأندلسية:

مثل وجود الأندلس في العالم الإسلامي إضافة حقيقية بما أسهم به من منجز معرفي إلى ميدان الدرس اللغوي بوجه عام، وهو ما توقف أمامه الدرس المعاصر بالفحص والعناية، وهو ما يظهر في أمثال الدراسات التالية:

أ. الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، لأبيد

حبيب [المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٦٧م].

ب. الدراسات اللغوية في الأندلس، لرضا عبد الجليل الطيار [منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، سلسلة دراسات ٢٢٧، سنة ١٩٨٠م].

ج. المعجم العربي في الأندلس، للدكتور عبد العلي الودغيري [دار المعارف، المملكة المغربية، الرباط، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م].

وهناك دراسات أكثر محدودة في نطاقها الموضوعي، تتناول لغويًا أندلسيًا بعينه، أو تأثير لغوي في الدرس اللغوي بالأندلس، وما إلى ذلك من اتجاهات البحث في الدراسات اللسانية المختصة بالأندلس.

وهذا الميدان ما زال بكرًا ينتظر إنجازات أساسية، تراجع إسهام الأندلسيين في الدراسات الصوتية والتجويدية والأدائية التي نشطت في رحاب هذه الجغرافيا المتميزة. إن هذه التوجهات التي تدرس سهمة الأندلس في مجالات البحث اللساني بفروعه المختلفة، تصدر عن عاطفة خلاقة لا تكتفي بالبكاء السلبي لهذه الأرض العزيزة، ولكنها تحاول أن تعبر عن هذه العاطفة بصورة إيجابية عملية.

ثانيًا: المدرسة الأندلسية النحوية:

إن منظومة الآراء والأفكار والأصول النحوية التي ظهرت في الحياة العلمية الخاصة بدراسة النحو في جغرافية الأندلس، أثمرت بتعانق هذه الحدود المعرفية (الأصول والآراء)، والزمانية بعد استقرار المسلمين في الأندلس وتحولها إلى اللسان العربي، والمكانية في هذه البقعة العجيبة - مدرسة نحوية يؤرخ لها ولأعلامها المعاصرين في ميدان تاريخ المدارس النحوية.

لقد تقرر أن النحو في الأندلس نشأ وتطور من بوابة العناية بخدمة الإقراء، ثم من عناية خاصة بالنحو الكوفي، ثم البصري، ثم تمدد في العناية بالبغدادي، وظهرت أسماء لامعة في تاريخ هذه المدرسة، كابن مضاء، وابن عصفور، وابن مالك، وأبي حيان وغيرهم.

ولعل فيما كتبه الدكتور شوقي ضيف رَحْمَةُ اللَّهِ فِي كتابه: المدارس النحوية (ص ص ٢٨٨ - ٣٢٦) [دار المعارف، القاهرة، ط ١٠ سنة ٢٠٠٨]، وما كتبه الدكتورة خديجة

الحديثي في كتابها المدارس النحوية (ص ص ٣٠٦ - ٣٣٥) [دار الأمل، إربد، الأردن، ط ٣ سنة ٢٠٠١م] شاهداً على ما تقرر لهذا الجزء في حقل التأريخ النحوي.

١/ العناية المعاصرة بتراجم اللغويين والنحويين الأندلسيين: حدودها ودوافعها:

١/ ١: حدود العناية:

إن العناية المستقلة بتراجم اللغويين والنحاة والأندلسيين قديمة عريقة في هذا الفرع من الدرس اللغوي، وهو الفرع المعني بتاريخ علماء اللسانيات العرب في الأندلس، وهو ما يظهر من صنيع أبي بكر محمد الحسن الزبيدي الأندلسي (ت ٣٧٩هـ) في كتابه: طبقات النحويين واللغويين [تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م]، عندما أفرد جزءاً خاصاً بتراجم النحويين واللغويين والأندلسيين [ص ص ٢٥١ - ٣٢٩]، جاء آخر أجزاء كتابه، وقد وزع من ترجم لهم على ست طبقات.

وقد تعانقت حزمة من المبادئ الحاكمة في تصنيفهم هذه المستقل، هي:

أولاً: منظومة ما لاحظه من الآراء والأفكار والأصول اللغوية والنحوية التي ميزت هؤلاء النفر من علماء اللغة والنحو.

ثانياً: المبدأ الزمني، أو الحد الزمني بعد دخول الإسلام والعربية إلى الأندلس، وتقسيمه العلماء إلى طبقات كذلك.

ثالثاً: المبدأ المكاني، أو الحد المكاني المتمثل في جغرافية الأندلس.

وتمثل محاولة الزبيدي المتقدمة زمنياً إحساساً مبكراً جداً بخصوصية المدرسة الأندلسية في ميدان الدراسات اللغوية والنحوية.

واعتقد أن هذه المحاولة كانت رافداً مهماً للمعاصرين في تأسيس العناية بتراجم الأندلسيين من علماء اللغة والنحو.

وسيتوقف هذا البحث أمام عمليتين معاصرتين، هما:

١. معجم الحضارة الأندلسية، للدكتور يوسف عيد، والدكتور يوسف فرحات، الأستاذين بالجامعة اللبنانية [دار الفكر العربي، بيروت، ط ١، سنة ٢٠٠٠].

حيث أفرد جزءاً مستقلاً خاصاً بمعجم اللغويين في الأندلس [ص ص ٢٧٣ - ٤١٧].

٢. معجم علماء اللغة والنحو من الفتح إلى سقوط الخلافة (٩٢هـ - ٨٩٨هـ) [للدكتور رجب عبد الجواد إبراهيم رَحْمَةُ اللَّهِ [دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م].

٢ / ١ دوافع العناية:

إن فحص هذين العاملين المعجميين - اللذين تفرغا لترجمة علماء اللغة والنحو الأندلسيين - يكشف عن جملة من الدوافع التي حملت صانعيهما على إنجازهما، يمكن تلخيصها فيما يلي:

أولاً: الدافع المعرفي:

يمثل الدافع العلمي والمعرفي أظهر الدوافع وراء إنجاز هذه الأعمال المعجمية الخاصة بتراجم اللغويين والنحويين في التاريخ العلمي للأندلس؛ ذلك أن الإيمان بقدر من التمايز العلمي على مستويات:

أ. الآراء والأفكار والأصول النحوية واللغوية،

ب. والتطور الملحوظ في تتابع طبقات هؤلاء العلماء زمنياً،

ج. والميزة النسبية لجغرافية الأندلس في علاقتها بالأفكار المنحدرة من ثقافة أوروبية قديمة = كان دافعاً وراء تخصيص هؤلاء العلماء بأعمال مرجعية مستقلة، تكون تمهيداً لفحص هذا التمايز من جوانبه الثلاثة المذكورة. من جانب آخر، فإن الرأي العلمي المستقر في مجال علم اللغة يرى أن العناية بتاريخ العلم، ونشاط رجالاته جزء أصيل من الحدود المعرفية لخريطة قضايا علم اللغة في العصر الحديث، وهو ما تجلّى في هذه العناية بتراجم العلماء اللغويين والنحويين الأندلسيين؛ لتكون جزءاً أصيلاً من دراسات المدرسة اللغوية والنحوية الأندلسية، ومدى إسهامها في تطوير الأصول والأفكار والآراء اللسانية في تاريخ التقاليد اللسانية العربية التراثية.

ثانياً: الدافع الحضاري:

كان إدراج قسم التراجم للنحويين واللغويين في سياق معجم للحضارة الأندلسية من جانب العمل المرجعي الذي صنعه الدكتور يوسف عيد والدكتور يوسف فرحات - أمراً

مثيراً للانتباه حقاً؛ ذلك أن الحضارة - بما هي منجز ظاهر - تمثل في التجلي المادي والعملية
لجهاد العلماء الذين نهضوا بهذه الحضارة، وشادوا مجدها.

واللسان شرط تأسيسي لمنجزات الحضارة، وشرط تأسيسي للاجتماع الإنساني بالأساس،
بها يمارس الإنسان نشاطه جميعاً.

يقول معجم الحضارة الأندلسية [ص التعريف بالكتاب]: "يهدف هذا العمل المعجمي
إلى التعريف بأهم معالم الحضارة العربية في الأندلس، وبالشخصيات التي أدت دوراً بارزاً في
الحياة".

وإذا كان الكتاب العزيز هو مركز حضارة العرب بامتياز، وهو كتاب لغوي، فإن كل
اشتغال بلغته هو بالأساس اشتغال بقيام الحضارة العربية في الأندلس وتأسيسها.

ويرتبط بهذا الدافع الحضاري ويدور في فلكه إرادة المجتمع المعرفي الأندلسي، الذي يبدو
متراجعاً في مواجهة المجتمع المشرقي الذي سبق في مضمار الاشتغال بلسانيات الكتاب
العزيز.

وقد أثمر الاشتغال بالأندلس قطاعات مائزة من العمل المرجعي واللغوي، مقارنة بثمرة
الاشتغال المشرقي اللساني؛ ولعل قطاع معجمات الأفعال وما أنجزه ابن القوطية (ت
٣٦٧هـ) والسرقسطي (٤٠٠هـ) وابن القطاع (ت ٥١٥هـ) واللبي الفهري (ت ٦٩١هـ) -
وهو نوع من التميز الحضاري - مرجعه إلى الوعي بقدرة الأندلسيين على الإضافة، وشق
مسارات جديدة مبتكرة في مجال خدمة الدرس اللغوي.

ومن ثم جاءت العناية بتراجم النحويين واللغويين المعاصرين؛ للكشف عن هذه البعد
الحضاري الأندلسي.

ثالثاً: الدافع الديني:

يمثل الدافع الديني مقصدًا أعلى حاكمًا في مسيرة الإنجاز العلمي في الحضارة العربية في
شتى جغرافيتها؛ إيماناً بأن الوحي هو صانع هذه الحضارة، ومفجر منشأها المادية والمعرفية
معاً.

وصناعة المعجمات المعاصرة الجامعة لتراجم علماء الأندلس عمومًا وتراجم علماء اللغة والنحو بوجه خاص، هدفها الكشف عن تجلي هذا الدافع الحاكم في حياة العقل العربي المسلم في هذه البقاع.

وتأمل مقدمات المعجمات المعاصرة لتراجم اللغويين والنحويين في الأندلس تكشف عن هذا الدافع وراء تصنيفها، وتكشف عن إرادة هذه الجماعة العلمية المتوجهة إلى خدمة الدين من بوابة اللغة والنحو.

ويرتبط بهذا الدافع - كذلك - إرادة منح العظة والاعتبار مما لحق بهذه الديار، وهو دافع مرتبط بفلسفة التاريخ من المنظور القرآني، كما يظهر من افتتاح الدكتور رجب عبد الجواد معجمه بالدرس المستفاد من ضياع الأندلس (ص ٥).

رابعًا: الدافع النفسي:

جاء إنجاز أعمال مرجعية معاصرة كاشفة عن سهمة الأندلسيين من النحاة واللغويين - نوعًا من العمل الإيجابي المعبر عن شعور عربي وإسلامي معاصر يأسى لما حل بالأندلس، ويتذكر مآثر هذا الجزء العزيز من جغرافية الإسلام، وربما كان إنجاز هذه الأعمال المرجعية تعويضًا واعتذارًا عما لحق بهذه الديار، وحوّلها إلى فردوس مفقود، وهذا الدافع النفسي ظاهر مثلاً في العتبة النصية المتمثلة في إهداء الدكتور رجب عبد الجواد إبراهيم الذي يقول فيه [ص / ٣]: "إلى علماء الفردوس المفقود: لقد كنتم في جنة في الحضارة العربية الإسلامية أزهارًا يانعة فواحة، أفسدها الأقبام بصراعاتهم وشهواتهم؛ بهم ضاعت الأندلس، وبكم بقيت في عقولنا وقلوبنا!".

٢ / العناية المعاصرة بتراجم اللغويين والنحويين في الأندلس:

خطاب التصنيف والنقد المعجميين:

تتناول هذه الدراسة عمليين مرجعيين اشتغلا على جمع تراجم اللغويين والنحويين الأندلسيين؛ هما:

١ / ٢ معجم الحضارة الأندلسية، للدكتور يوسف عيد والدكتور يوسف فرحات، في القسم المختص بتراجم اللغويين والنحويين في الأندلس.

٢ / ٢ معجم علماء اللغة والنحو في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة، للدكتور رجب عبد الجواد إبراهيم.

وستعالج الدراسة هذين العاملين من خلال فحص المطالب الأربعة التالية في كل عمل منهما:

١. الانتماء المعرفي للعمل.
٢. البنية الكبرى للعمل: (الواجهة/ المتن/ والملاحق).
٣. البنية الصغرى للعمل (التعليق على الشكل/ والتعليق على المعنى).
٤. المصادر والتوثيق.

١ / ٢

معجم الحضارة الأندلسية (معجم اللغويين في الأندلس)

للدكتور يوسف عيد والدكتور يوسف فرحات

(سنة ٢٠٠٠م)

١ / ١ / ٢ الانتماء المعرفي للعمل:

ينتمي هذا العمل المرجعي إلى معاجم الأعلام النوعية؛ فهو معجم لتراجم اللغويين في الأندلس. وهذا الانتماء مرجعه إلى ظهور المحددات التالية:

أ. عنوان العمل؛ فقد جاء عنوان العمل المرجعي العام (معجم الحضارة الأندلسية)، وجاء عنوان الجزء المختص بتراجم اللغويين بالأندلس (معجم اللغويين في الأندلس) (ص ٢٧٣).

ب. خطاب مقدمة المعجم في الجزء الخاص بتراجم اللغويين، يقول مصنف العمل (ص ٢٧٦): "وقد توخينا في هذا المعجم إحصاء اللغويين".

ج. خطاب الكلمة التعريفية على غلاف العمل؛ حيث جاء بها: "يهدف هذا العمل المعجمي إلى التعريف... بالشخصيات التي أدت دورًا في الحياة (و) الوجود الإسلامي في إسبانيا من الفتح إلى السقوط".

ومن ثم فإن هذا العمل بقرائن خطاب المحددات الثلاثة: معجم/ التراجم/ اللغويين في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة.

يضاف إلى هذه المحددات كذلك:

- أ. محدد نظام ترتيب التراجع؛ فهو قد اتبع نظام الترتيب الشائع في بناء الأعمال المعجمية، وهو الترتيب الألفبائي، مراعيًا الألقاب التي اشتهر بها أصحابها، ثم أسماءهم.
- ب. محدد المصادر المعتمدة في بناء المعجم، وجميعها مصادر لنوع عريق من معاجم الرجال والعلماء.

٢.١ / ٢ البنية الكبرى للعمل:

تتوزع بنية معجم اللغويين الأندلسيين (وهو الجزء الثالث من: معجم الحضارة الأندلسية، ص ص ٢٧٣ - ٤١٩) على ثلاثة مكونات هي:

أولاً: واجهة المعجم.

ثانياً: متن المعجم.

ثالثاً: ملاحق المعجم.

أولاً: واجهة المعجم:

لعل أهم ما يميز واجهة العمل المعجمي مائل في أمرين، هما:

- أ. عنوان العمل الذي يمنحه انتماءه المعرفي، وهو معجم اللغويين الأندلسيين.
- ب. مقدمة العمل، التي اشتملت على مجموعة من المعلومات اللازمة، تمثلت فيما يلي:
 ١. بيان تمهيدي عن ارتباط النشاط العلمي في ميدان اللغة بغايات صيانة اللسان، وخدمة القرآن الكريم (ص ٢٧٣).
 ٢. بيان موجز جداً للمراحل ظهور الدراسات اللغوية في الأندلس، موزعة على القرون الهجرية (ص ص ٢٧٣ - ٢٧٥).
 ٣. بيان الغرض من هذا المعجم، يقول (ص ٢٧٦): "وقد توخينا في هذا المعجم إحصاء اللغويين كلهم".

وقد فات هذه المقدمة مجموعة من المعلومات اللازم ظهورها في مقدمات الأعمال

المعجمية؛ بما هي أعمال مرجعية، نجملها فيما يلي:

١. غياب بيان منهج ترتيب مداخل المعجم / أو تراجم اللغويين المجموعين فيه.
٢. غياب إرشادات الاستعمال.
٣. غياب بيان طبيعة المستعملين الذين يستهدفهم هذا المعجم.
٤. غياب بيان خصائصه ومميزاته.
٥. غياب بيان طريقة جمع مادة المعجم.
٦. غياب بيان منهج ترتيب معلومات ما تحت المداخل، ومستوى توزع هذه المعلومات وطريقة التوثيق من المصادر.

ثانياً: متن المعجم:

متن المعجم هو جسمه، وهو الجزء الذي يضم المداخل أو التراجم، وما تحتها من معلومات وتعليقات.

وقد رتب مصنفاه مادة هذا المعجم وفق الترتيب الألفبائي، أو وفق التسلسل الألفبائي على حد تعبيرهما (ص ٢٧٧)، وقد راعوا المعايير التالية في ترتيب المداخل:

- أ. البدء باللقب الذي اشتهر به اللغوي الأندلسي، أو الكنية.
 - ب. التثنية باسمه بعد اللقب أو الكنية إن كان البدء بهما.
 - ج. وضع تاريخ الميلاد والوفاة أو الوفاة فقط عند تعذر وجود تاريخ للميلاد، متبعاً التقويم الهجري بين قوسين هلالين.
- وهو ما يعني اتباع تطبيقات الترتيب الألفبائي خارجياً؛ أي تقسيم المعجم وتوزيع مداخله على حروف الهجاء وفق الترتيب المشرقى (أ، ب، ت، ث ... ي).
- وقد جاء في خمسة وعشرين فصلاً؛ إذ خلت حروف: الظاء والكاف والواو من وجود تراجم للغويين أندلسيين بها.

وقد أورد الدكتور رجب عبد الجواد تراجم للغويين أندلسيين في بابي حرفي: الكاف (ص ٣٥١)، والواو (ص ٥٠٣)؛ مما يكشف عن عدم تحقق الغاية الاستقصائية التي وعد بها هذا المعجم الذي نعالجه في هذا المطلب.

كما رتب مصنفنا هذا المعجم مداخله ترتيباً داخلياً؛ أي في كل حرف، وفق النظام الألفبائي كذلك، معتبراً الكلمات التالية داخل الترتيب:

- أ. ابن.
ب. أبو.

وغير معتبر للكلمة (ال) التي للتعريف، ومن الظاهر أن الترتيب جاء بعد ذلك غير خاضع لمعايير بعينها؛ فالترجمتان الخاصتان بالأبدي، روعي فيهما الترتيب الألفبائي لما بعد اللقب:

- الأبدي، إبراهيم بن محمد.
- الأبدي، علي بن محمد.

أما التراجم المبدوءة بالاسم العلم (إبراهيم) فقد تتابعت كما يلي:

- إبراهيم بن أحمد بن عمر الغساني (ت ٦١٨هـ).
- إبراهيم بن أحمد بن يعقوب (ت ٧١٠هـ).
- إبراهيم بن أحمد بن القرطبي! (٣٧٩هـ).

وليس يظهر سبب تأخير (القرطبي) عن (ابن يعقوب)! وهو ما يعني أن الترتيب الداخلي في كل حرف جاء عشوائياً!

ويتأكد ذلك من ملاحظة ترتيب المداخل التالية:

- إبراهيم بن محمد بن علي (ت ٧٢٦هـ).
- إبراهيم بن محمد بن غالب (ت ٥٣٥هـ).
- إبراهيم بن ليث بن إدريس (ت ٤٥٤هـ)!
فكما نرى تأخر (ابن ليث) عن (ابن محمد).

ثالثاً: ملاحق المعجم:

صنع مصنفنا هذا المعجم ملحقاً واحداً هو قائمة المصادر المعتمدة في معجم اللغويين الأندلسيين، وقد سبق منها الإشارة إلى توثيق مادة المعجم في المقدمة، عندما قالوا

(ص ٢٧٦): "وقد توخينا في هذا المعجم إحصاء اللغويين ... مع الإشارة إلى المصادر التي دونت حياتهم، وفصلت أخبارهم وخصائصهم، وتحديث عن مؤلفاتهم".

وقد ضمت هذه القائمة تسعة عشر مصدرًا فقط.

وقد توزعت هذه المصادر على ثلاث مجموعات فرعية كما يلي:

١. مجموعة المصادر الأندلسية التي اعتنت بتراجم علماء الأندلس وأدبائه ولغوييه ونحاته، من مثل:

- الإحاطة في أخبار غرناطة، للسان الدين بن الخطيب.

- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، للضبي.

- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، لابن الفرضي.

- التكملة لكتاب الصلة، لابن الأبار.

- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، للحميدي.

- الحلة السیراء، لابن الأبار.

- الصلة، لابن بشكوال.

- المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد.

- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري التلمساني.

٢. مجموعة مصادر تراجم اللغويين والنحويين خاصة، من مثل:

- إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي.

- معجم الأدباء، لياقوت الحموي (ومصطلح الأدباء في التراث يتسع ليضم اللغويين

بطبيعة الحال).

٣. مجموعة مصادر تاريخية وجغرافية عامة تعنى بتراجم الأعلام، من مثل:

- معجم البلدان، لياقوت الحموي.

- الوافي بالوفيات، للصفدي.

- وفيات الأعيان، لابن خلكان.

وفحص هذه المصادر كاشف عن نقص أحاط بها في المجموعات الثلاث، ظهرت نتائجه في غياب جملة كبيرة من اللغويين النحويين في الأندلس؛ فقد بلغت كثافة المداخل أو الأعلام الذين ترجم لهم سبعمئة ترجمة (٧٠٠)، في حين بلغت كثافة مداخل المعجم الذي صنعه الدكتور رجب عبد الجواد إبراهيم للغويين والنحويين في الأندلس في النطاق الزمني نفسه (٨٩٨) ثمان وتسعين وثمانمئة ترجمة! بفارق يبلغ نحوًا من مئتي ترجمة!

ومن مجموعات المصادر التي غابت عن قوائم مصادر هذا المعجم ما يلي:

أ. مجموعة مصادر البرامج والمشيخات الأندلسية، من مثل:

- برنامج ابن أبي الربيع (ت ٦٨٠هـ).

- برنامج التجيبي (ت ٧٣٠هـ).

- برنامج شيوخ الرعيني (ت ٦٦٦هـ).

- برنامج الوادي آشي (ت ٧٤٩هـ).

ب. مجموعة كتب الفهارس والأثبات لأعلام الأندلسيين، من مثل:

- فهرسة ما رواه ابن خير عن شيوخه (ت ٥٧٥هـ).

- فهرس ابن عطية الأندلسي (٥٤٢هـ).

- فهرست العبلي (٦٩١هـ).

- ثبت البلوي الوادي آشي (ت ٩٣٨هـ).

فضلاً عن النقص الواقع في مجموعات المصادر المعتمدة في هذا العمل، ومما فاتته من كتب مجموعة مصادر وتراجم اللغويين والنحاة: طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر الزبيدي الأندلسي (ت ٣٧٩هـ)، الذي اختص النحاة واللغويين الأندلسيين بقسم خاص من كتابه هذا.

٣/٢

البنية الصغرى لمعجم اللغويين في الأندلس

يقصد بالبنية الصغرى للمعجم مجموعة المعلومات التي تنهض بالتعليق على كل مدخل، تنهض بالوفاء بترجمة العلم اللغوي.

وهي نوعان من المعلومات:

أولاً: معلومات التعليق على شكل المدخل من جهة بيان ضبطه أو هجائه أو نوع صيغته التصريفية.

ثانياً: معلومات التعليق على المضمون أو المعنى من جهة التعريف به، وذكر منجزه التصنيفي، والسياق المعرفي الذي أسهم في خدمته على وجه التعيين من جملة الميادين اللغوية الفرعية.

أولاً: معلومات التعليق على الشكل:

توجهت عناية معجم اللغويين في الأندلس - في إطار خدمة معلومات التعليق على شكل المدخل / أو أسماء أعلام المترجمين - إلى الملامح التالية:

أ. بيان بعض أشكال الضبط بالقلم (التشكيل) الجزئي، لما رأى المعجم أنه يلزم ضبطه أو تشكيله؛ على ما يظهر من ضبط: (الأبذي) بضم الهمزة وتشديد الباء وفتحها (ص/ ٢٧٧)، وضبط (ابن سيده) بكسر السين المهملة وفتح الدال المهملة (ص ٢٩٠).

ب. ذكر الاسم، واللقب، والنص على الكنية.

ج. وفي أحيان يفسر اللقب، ويبين نوعه من جهة كونه اسماً منسوباً، وما إلى ذلك.

ومن أمثلة ذلك:

- الأبذّي:

هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم النفري الغرناطي، كنيته: أبو إسحاق ويعرف بالأبذي

[٢هـ]، نسبة إلى أبذة، أو أبدة، مدينة قريبة من نهر الوادي الكبير].

ومن هذا المثال يتضح عناية هذا المعجم بمعلومات التعليق على الشكل التالية:

أ. ضبط اللقب بالتشكيل (ضبط القلم).

ب. البدء بالاسم، ثم اللقب.

ج. النص على الكنية.

د. تفسير اللقب، وأنه اسم نتج من النسبة إلى البلدة المعروفة، وفحص منهج المعجم في

معالجة معلومات التعليق على الشكل كاشف عما يلي:

أولاً: الاضطراب في مظان معالجة معلومات التعليق على الشكل، فلم تظهر في كل مرة، وعندما ظهرت تفاوتت أماكن ظهورها؛ مرة في المدخل، ومرة في مفتاح التعليق، ومرة بعد المفتاح [انظر: ص ٢٨٠ ترجمة ابن الركب (رقم ١٦) ص ٣٢١ ترجمة الجزني رقم (١٦٨)، ص ٣٢٠، ترجمة ثابت بن حزم رقم (١٦٠) [ترقيم التراجم من عندي].

ثانياً: التفاوت في بيان الضبط، فلم يظهر الضبط في أقسام مطردة من المداخل (انظر: ص ٣٤٥ ترجمة عبد الله بن أبي عامر، لم يضبط فيه؛ أي اسم رقم ٢٧٨، ص ٣٥٥ ترجمة عبد الله بن غازي بن قيس القرطبي، حيث ضبط القاف والياء المثناة التحتية من قيس، بالفتح ثم السكون، مع عدم الحاجة، رقم ٣٠٢).

ثالثاً: التفاوت في تفسير ألقاب المترجمين؛ إذ لم يطرد ظهور تفسير ألقاب المترجمين، ولم تظهر معايير ما فسر ه من ألقاب.

ثانياً: معلومات التعليق على المعنى / المحتوى:

توجهت عناية معجم اللغويين في الأندلس إلى خدمة معلومات التعليق على المعنى، أو ما ينهض بتعريف المترجمين من خلال المحددات التالية:

أ. بيان مجالات اختصاصه في الحقل المعرفي اللغوي، من خلال الرأي العلمي في منزلته العلمية في هذا الميدان.

ب. بيان مصنفاته في فروع هذا الميدان المعرفي.

ج. بيان بعض ما حصله في طريق التكوين العلمي في الميدان؛ ما درسه أو قرأه أو سمعه من المصنفات المعتمدة في هذا الميدان.

د. بيان بعض الوقعات أو الحكايات أو الحوادث الدالة على مكانته ومنزلته في هذا الميدان المعرفي.

هـ. ذكر بعض المشيخات التي أثرت في تكوين المترجم له.

و. ذكر سنوات الميلاد والوفاة للمترجم، إن توافرت.

ومن الأمثلة الكاشفة عن حدود منهج العناية بمعلومات التعليق على المعنى أو التعريف: (ص / ٢٩٠):

"ابن سيده، علي بن إسماعيل (٣٩٨ - ٤٦٠هـ): هو لغوي ابن لغوي، كان نادرة وقته ... درس ابن سيده على أبيه، وأخذ عن أبي عمر الطلمنكي، وصاعد بن الحسن البغدادي. ترك ابن سيده جملة مؤلفات، منها: كتاب المخصص، وكتاب المحكم في اللغة".

ويتضح من هذه الترجمة المحددات التعريفية التالية:

أولاً: بيان الانتماء المعرفي لحقل اختصاص المترجم (وهو لغوي).

ثانياً: بيان طرق تحمله العلم من خلال ذكر شيوخه وأساتذته.

ثالثاً: ذكر مصنفاته، وهي جميعاً في اللغة، ولاسيما: المعجمات، والنقد اللغوي وشروح الشعر القديم.

رابعاً: ذكر العصر الذي عاش فيه.

وفحص معلومات التعليق على التعريف والمعنى في تراجم هذا المعجم تكشف عما يلي:

أولاً: التفاوت في بيان معلومات التعليق على المعنى من مدخل لآخر.

ثانياً: الاضطراب في ترتيب معلومات هذا الجانب من جانبي البنية الصغرى.

ثالثاً: الاضطراب في ذكر من له مصنفات ومن ليس له.

(انظر: ص ٢٨٤ ترجمة ابن باجة رقم ٢٦ لم يشر إلى مصنفاته من الأصل، وص ٢٨٥

ترجمة ابن القيان المرسي، ورقم ٢٩ لم يشر إلى مصنفاته من الأصل، وكذلك ترجمة ابن ثعلبة

الأشعري رقم ٣٠، وترجمة ابن الجزار النحوي رقم ٣١).

٤/٢

مصادر معجم اللغويين في الأندلس ومنهجه في التوثيق

أشار معجم اللغويين في الأندلس إشارة عامة سريعة في مقدمته إلى أنه سيشير في كل ترجمة إلى مصادر مادة معلوماته (ص ٢٧٦).

وألحق بمعجمه قائمة بمصادر المعجم المعتمدة، ضمت ثلاث مجموعات من أنواع المصادر المعنية بتراجم اللغويين الأندلسيين.

وجاءت منهجية توثيق المعلومات المستقاة من هذه المصادر وفق ما يلي:

أ. وضع رقم عند نهاية الاسم العلم/ المدخل، واستعماله في ذكر مصادر المعلومات المتعلقة بالترجم في الهامش بالرقم نفسه.

ب. ذكر بيان المرجع؛ عنواناً ومؤلفاً، مع ذكر المؤشر المكاني لموضع النقل منه، ببيان الجزء والصفحة أو الصفحة فقط.

ج. ذكر رقم لما يحتاج إلى تفسير من معلومات المتن أو التعليق، وتفسيره في الهوامش مقروناً بالمرجع، ومن أمثلة ذلك ما جاء في توثيق معلومات المدخل (أبو إسحاق البطليوسي ص ٣٠٠ رقم ٧٩)، وضع المعجم رقم (٥) على آخر الاسم العلم، ثم وضعه في هامش الصفحة محيلاً على: بغية الوعاة للسيوطي ج ١، ص ٤٨٧.

ويلاحظ على منهجية التوثيق في هذا المعجم ما يلي:

أولاً: الاضطراب في طريقة توثيق الاستشهادات المرجعية أو النقل، ففي أحيان يذكر المعجم:

- عنوان المصدر، ومؤلفه مع المؤشر المكاني؛ أي بيان أرقام الأجزاء والصفحات، كما في (ص ٣١٧ هـ) ٤ وفيات الأعيان، لابن خلكان في ترجمة صاعد الأندلسي، ج ١، ص ٢٢٩.

وفي أحيان أخرى يذكر:

- عنوان المصدر، من غير ذكر المؤلف، كما في ص (٣١٧/ ١ هـ: إنباه الرواة على أنباه النحاة ج ٢، ص ١٢١).

وفي أحيان يذكر:

- عنوان المرجع مختصراً، من غير ذكر المؤلف، كما في ص (٣١٦ / هـ ٢: إنباه الرواة ج ١، ص ١٣٧ / أو ص ٣١٢ / هـ: البغية ج ١ / ٣١٧)!

وفي أحيان أخرى يذكر المعلومات من غير توثيق أصلاً؛ كما في التعريف بمدينة (دانية) في ص (٢٩ / هـ ٢): "دانية مدينة بالأندلس على ساحل البحر الرومي، كانت قاعدة ملك أبي الحسن مجاهد العامري"، من غير توثيق من مصدر ما، وهو ما تراه في التعريف بمدينة (مرسية) (ص ٢٩٠ / هـ ٢)!

- ثانياً: التفاوت في بيان طبقات مصنفات المترجمين في اللغة وفروعها؛ فهو أحياناً يذكر طبقات بعض التصنيف كما في (ص ٢٩٠ / هـ ٤)، والغالب عدم ذكر طبقات المصنفات مع توافر كثير منها وشهرته، كما في (ترجمة ابن سيده ص ٢٩٠ رقم ٤٦)؛ حيث ذكر طبعة معجم المخصص، ولم يذكر طبعة معجم المحكم!

إن فحص هذا العمل في المجمل يكشف عن جهد طيب، يميزه فكرة إدراج معجم اللغويين في سياق معجم للحضارة؛ بما أن الحضارة العربية تستوعب منجز العلم.

وقد فرط منه عدد كبير من المترجمين، مع حرصه على الإحصاء والاستقصاء؛ بسبب عدم استيعاب المصادر، فضلاً عن الاضطراب المنهجي في ترتيب المداخل وترتيب المعلومات التي تحتها، ومن جملة ما يلاحظ عدم بيان معيار الحكم بأندلسية المترجم، هل هو الميلاد أم الوفاة أم الحياة والمعيشة والإقامة؟! فضلاً عن عدم بيان المعيار في تعيين المجال هل بالتصنيف في حقل اللغة، أم بذكر كتب التراجم التراثية لمجال اختصاص المترجم وشهرته العلمية؟!!

٢ / ٢

معجم علماء اللغة والنحو في الأندلس

من الفتح إلى سقوط الخلافة

(٨٩٢هـ - ٨٩٨هـ)

للدكتور رجب عبد الجواد إبراهيم

(١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م)

١.٢ / ٢ الانتماء المعرفي للعمل:

ينتمي هذا العمل إلى مجال معجمات الأعلام المختصة بميدان اللغة والنحو في نطاق مكاني محدد هو بيئة الأندلس، وفي نطاق زماني محدد أيضًا، هو تاريخ الخلافة، ثم تاريخ الوجود الإسلامي في الأندلس من (٩٢هـ - ٨٩٨هـ).

وهذا الانتماء تشهد له التصريحات التالية:

أولاً: خطاب العنوان الذي حمل كلمة: معجم.

ثانياً: خطاب المقدمة (ص / ١٨)، يقول مصنف المعجم: "ويهدف هذا العمل إلى حصر علماء اللغة والنحو في الأندلس".

وكلمة العمل التي وردت في هذا النقل محمولة على معنى المعجم المستعمل من جانب صاحبه في العنوان، ولا سيما أن المصنف رحمه الله كان أستاذًا في اللسانيات، وعلى وعي تام بتصور المصطلح وإطلاقاته.

ثالثاً: خطاب الترتيب؛ حيث رتب المصنف مداخل العمل ترتيباً ألفبائياً هجائياً، وهو الترتيب الشائع في عمل المعاجم وصناعتها.

هذا العمل المرجعي - إذن - معجم جامع لأعلام النحاة واللغويين في الأندلس تعييناً من فتحها إلى سقوط الخلافة.

٢.٢ / ٢ البنية الكبرى لمعجم علماء اللغة والنحو في الأندلس:

يتضمن هذا المعجم ثلاثة عناصر تكون بنيته الكبرى، وهي:

أولاً: واجهة المعجم.

ثانيًا: متن المعجم.

ثالثًا: ملاحق المعجم.

وفيما يلي فحوص لما احتوت عليه هذه العناصر، وتقويمها ونقدها في ضوء الأصول المستقرة في البحث المعجمي بفروعه المختلفة.

أولاً: واجهة معجم علماء اللغة والنحو في الأندلس:

تشغل واجهة المعجم أول أقسام العمل، وقد تضمنت في هذه الحالة المكونات التالية:

أ. صفحة العنوان: معجم علماء اللغة والنحو في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة.

ب. صفحة الإهداء، وتضمنت إهداء إلى علماء الأندلس الذين أقاموا حضارتها.

ج. عتبة نصية بعنوان الدرس المستفاد، يقول فيه: (ص ٥): "بعد ضياع الأندلس يتأكد

لدينا أن أعدى أعداء أمة الإسلام هو الخلاف والشقاق، وصدق الله العظيم: ﴿وَلَا تَنزَعُوا فَنَفْسَلُوا وَنَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

د. مقدمة المعجم:

وقد نهضت ثلاثة العناصر الأولى من واجهة المعجم بجملة من الوظائف، هي:

الموثوقية التي تجلت في بيان اسم المصنف وعمله؛ بوصفه كان أستاذًا للغة، والمعرفية التي تجلت في إحاطتنا بحدود المعجم الزمانية (٩٢هـ - ٨٩٨هـ)، والمكانية (بيئة الأندلس)، والموضوعية العلمية (تراجم علماء اللغة والنحو)، والوظيفية الأخلاقية؛ لأنها كشفت عن الدوافع النفسية والدينية وراء إنجاز العمل.

أما المقدمة فقد تضمنت المعلومات التالية:

١. تتبع مصادر العناية بتراجم اللغويين والنحويين الأندلسيين، بدءًا من القرن الثالث الهجري حتى القرن الحادي عشر الهجري؛ أي بعد سقوط الخلافة بنحو قرنين، وقد قام هذا التتبع على المنهجية التالية:

أ. ذكر المصدر، وتاريخ وفاة مؤلفه.

ب. ذكر حدود عناية المصدر بتراجم اللغويين والنحويين، وعدتهم في المصدر.

ج. ذكر منهج ترتيب التراجم في المصدر (هجائي؛ إلخ).

وقد اقتصر في هذا التتبع على المصادر التاريخية الأندلسية، وإن لم يهمل المصادر المشرقية في جمع مادة المعجم، وتوثيق معلوماته.

٢. الغرض من المعجم: ذكر المصنف هدفه (ص / ١٨) قال: "يهدف هذا العمل إلى حصر علماء اللغة والنحو في الأندلس منذ بواكير الفكر النحوي في القرن الثاني الهجري إلى سقوط الأندلس في نهاية القرن التاسع الهجري.

٣. بيان منهج ترتيب المداخل: ذكر المصنف أنه رتبها ترتيباً هجائياً جذعياً مشرقياً، يقول (ص / ١٨): "وقد رتبته ترتيباً هجائياً مشرقياً؛ أي على تتابع حروف الهجاء المعروفة في المشرق: (أ، ب، ت، ث ... ي) ولم ينص على أنه رتب المداخل داخلياً وفق الترتيب الهجائي كذلك.

٤. بيان معلومات التعليق على المداخل: ذكر المصنف أنه اعتنى بمعلومات ما "يتميز به النحوي واللغوي، ولقبه وكنيته ... وأفردت مساحة مستقلة لمؤلفات المترجم له، وبيان المطبوع منها والمخطوط والمفقود".

٥. ذكر التزامه التوثيق في كل مدخل.

وقد تضمنت هذه المقدمة عدداً أكبر من المعلومات، مقارنة بسابقتها في العمل المعجمي السابق، وهو أمر يبدو منطقيًا، في ضوء اهتمامات صانع هذا العمل، الذي كان مختصاً في الدراسات اللغوية رَحْمَةُ اللَّهِ.

وقد أخلت هذه المقدمة بما يلي:

أولاً: بيان المعلومات الإرشادية.

ثانياً: بيان ترتيب معلومات التعليق على كل مدخل.

ثالثاً: بيان خصائص المعجم ومميزاته، مقارنة بسوابقه.

رابعاً: بيان طبيعة المستعملين الذين صنع لهم هذا المعجم.

خامساً: التفاوت في بيان منهج بعض مصادر هذا المعجم.

ثانياً: متن معجم علماء اللغة والنحو في الأندلس:

متن المعجم أو صلبه هو الجزء الرئيس فيه، الذي يمثل وعاء مادة المعجم، وهو عبارة عن:

أ. المداخل.

ب. معلومات ما تحت المداخل.

وقد رتب المعجم مداخله ترتيباً هجائياً جذعياً مشرقياً، كما أشار المصنف في المقدمة، وهو ما نتج عنه توزع المتن على سبعة وعشرين باباً، ما عدا باب حرف الظاء، الذي لم يورد فيه تراجم لأحد من علماء اللغة والنحو في الأندلس.

وقد ضمت أبواب المعجم السبعة والعشرين ٨٩٨ مدخل، بزيادة بايين، و١٩٨ مدخل عن المعجم السابق!

وجاء الترتيب الداخلي لتراجم كل باب أو حرف على وفاق الترتيب الهجائي أيضاً، غير معتد في هذا الترتيب بكلمات (ابن - أبو - ال).

كما أنه التزم الترتيب على إيراد الأسماء أولاً، ثم الكنية، ثم اللقب في أحيان، وفي أحيان أخرى يورد اللقب ثم الكنية بعد الاسم. ومن ذلك:

(ص / ٩٥ ترجمة ١٦٩: أيوب بن سليمان المعافري، أبو صالح)، فمن ذلك يتضح ترتيب عناصر المدخل في الاسم، ثم اللقب (المعافري)، ثم الكنية (أبو صالح). وفي مرة أخرى يورد:

(ص / ١١٤ ترجمة ١٩٠: جعفر بن محمد أبي سعيد بن شرف الجذامي القيرواني أبو الفضل)، ومن ذلك يتضح البدء بالاسم، ثم اللقب (الجزامي القيرواني)، ثم الانتهاء بالكنية (أبو الفضل).

ومن أمثلة المنهجية الأخرى:

(ص ١١٥ ترجمة ١٩٢: جعفر بن محمد بن مكّي ... أبو عبد الله القرطبي النحوي اللغوي)، ومنه يتضح إيراد الكنية (أبو عبد الله) بعد الاسم، وتأخير اللقب (القرطبي ...)!

أما معلومات ما تحت المداخل فقد تضمنت حزمة من المعلومات المختصة بشكل المدخل، وضبط الاسم العلم بعناصره المختلفة، وحزمة من المعلومات المختصة بتعريف المدخل.

ويلاحظ أن المعجم لم يبين منهج إيراد هذه المعلومات، ولا حدودها، ولا طريقة ترتيبها، وهو ما سوف نعالجه في الكلام على البنية الصغرى.

ثالثاً: ملاحق المعجم:

صنع مصنف المعجم فهرسين له، هما:

أ. فهرس مصادر المعجم، مرتبة عهلي المشهور من أسماء المصنفين، إن اسماً أو كنية أو لقباً.

ب. فهرس محتويات إجمالي للمعجم.

وفي البداية، فإن هذا المعجم كان في حاجة إلى كشف لألقاب هؤلاء العلماء ييسر الوصول إليهم؛ لأن الشائع في الثقافة العربية اشتها العالم بلقبه!

وقد ضم فهرس مصادر المعجم مجموعات متميزة، يمكن ملاحظتها فيما يلي:

١. مجموعة مصادر المصادر التاريخية الأندلسية المعنية بتراجم علماء هذه البقعة الجغرافية،

من مثل:

- كتب ابن الأبار (ت ٦٥٨هـ): التكملة لكتاب الصلة، والحلة السراء، والمعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدي.

- كتاب العماد الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ): خريدة القصر وجريدة أهل العصر.

- كتاب ابن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة.

- كتاب ابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ): الصلة، وغير هذه كثير في قائمة مصادر.

٢. مجموعة المصادر الخاصة بطبقات النحويين واللغويين، من مثل:

- كتاب الزبيدي (ت ٣٧٩هـ): طبقات النحويين واللغويين.

- كتاب السيوطي (ت ٩١١هـ): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة.

- كتاب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ): البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة.
- كتاب ابن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ): طبقات النحاة واللغويين.
- كتاب القفطي (ت ٦٤٢هـ): إنباه الرواة على أنباه النحاة.
- كتاب ابن مکتوم (ت ٧٤٩هـ): أخبار النحويين واللغويين، المعروف بتذكرة ابن مکتوم.
- كتاب ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ): معجم الأدباء.
- كتاب اليماني (ت ٧٤٣هـ): إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين.
- ٣. مجموعة كتب البرامج والمشیخات والفهارس التي صنفها علماء أندلسيون، من مثل:
 - برنامج ابن أبي الربيع (ت ٦٨٠هـ).
 - برنامج النجيبی (ت ٧٣٠هـ).
 - برنامج شیوخ الرعیني (ت ٦٦٦هـ).
 - برنامج الوادي آشي (ت ٧٤٩هـ).
 - برنامج المجاري (ت ٨٦٢هـ).
 - فهرسة ما رواه ابن خير عن شیوخه (ت ٥٧٥هـ).
 - الغنية، فهرست شیوخ القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ).
 - فهرست ابن عطية (ت ٥٤٢هـ).
 - فهرست اللبلي (ت ٦٩١هـ).
 - ثبت البلوي الوادي آشي (ت ٩٣٨هـ).
- ٤. مجموعة كتب التاريخ العام والطبقات المتنوعة، من مثل:
 - كتاب ابن حجر (ت ٨٥٢هـ): الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، والذيل عليها.
 - كتاب ابن خلكان (ت ٦٨١هـ): وفيات الأعيان.
 - كتاب الذهبي (ت ٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.

- كتاب الصفدي (ت ٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات.

٥. مجموعة كتب الرحلات، من مثل:

- رحلة ابن رشيد؛ ملء العيبة بما اجتمع بطول الغيبة في الوجهة الوجهية إلى الحرمين: مكة وطيبة.

وقد كان للتوسع في جمع مصادر هذا المعجم أثره الإيجابي في أمرين ظاهرين، هما:

أ. ارتفاع كثافة مداخل المعجم، التي وصلت إلى (٨٩٨) مدخل مقارنة بالمعجم السابق الذي بلغت كثافة مداخله (٧٠٠) مدخل فقط.

ب. غنى معلومات التعليق على المداخل.

وقد نهضت مجموعات هذه المصادر بعدد من الوظائف المهمة في هذا المعجم، يمكن رصدها فيما يلي:

١. الوظيفة البنائية؛ بمعنى نهوضها ببناء مادة المعجم، وهو الأمر الذي انعكس على زيادة كثافة المداخل، كما سبق أن قررت.

٢. الوظيفة الاستدراكية؛ بمعنى أن التوسع في جمع المصادر المتنوعة - ولاسيما المصادر الأندلسية - منح المعجم قدرة على استدراك عدد كبير من التراجم أدخل بها المعجم السابق في المجال والحدود نفسها، مع أن الفارق بينهما لا يكاد يذكر من جهة تاريخ الإصدار والنشر.

٣. الوظيفة المعرفية؛ بمعنى أن وفرة المراجع في توثيق كل مدخل منح القارئ أو المستعمل مراجع تعينه على الاستزادة من معلومات المترجم له متى أراد.

٤. وظيفة الموثوقية؛ بمعنى بث الاطمئنان في نفوس المستعملين، ومنحهم درجة عالية من الثقة في معلومات التعليق على المداخل؛ نظرًا لوفرة المصادر التي رجع المعجم إليها في الترجمة.

٣ / ٢

البنية الصغرى لمعجم علماء اللغة والنحو في الأندلس

البنية الصغرى هي معلومات التعليق على المداخل، وهي موزعة على نوعين من المعلومات:

أولاً: معلومات التعليق على شكل المداخل؛ بياناً للضبط والتهجئة، ونوع صيغته التصريفية والنحوية؛ مما يعرف بالمعلومات الجرامايطيقية.

ثانياً: معلومات التعليق على معنى المدخل من التعريف، ومعلومات مستوى الاستعمال، وتفسير المدخل.

وفحص معلومات التعليق على المداخل في هذا المعجم يكشف عن العناية بالمعلومات التالية:

١. ضبط ما يلزم ضبطه من عناصر الاسم المترجم له ضبط قلم، أو بالتشكيل.
 ٢. تفسير اللقب الخاص بالمترجم له.
 ٣. بيان العلوم اللغوية التي مهر فيها، واشتغل بها.
 ٤. ذكر مولده ووفاته والبلدة التي عاش فيها من ديار الأندلس.
 ٥. ذكر المصنفات التي خلفها وراءه.
 ٦. ذكر الرأي العلمي في مكانته العلمية.
- ومن نماذج التراجم الكاشفة عن منهج التعليق على المداخل ترجمة الأعلام الشتمري (ص ٥٢١ ترجمة ١٨٦)، يقول المعجم:

"يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي الشتمري، المعروف بالأعلم (ت ٤٧٦هـ):

- من أهل شتمرية.
- لقب بالأعلم؛ لأنه مشقوق الشفة العليا.
- يكنى أبا الحجاج.
- كان عالماً بالعربية واللغة... إماماً في النحو.
- رحل إلى قرطبة... وأقام بها مدة.
- مؤلفاته:

١- شرح حماسة أبي تمام.

٢- شرح جمل الزجاجي.

٣- شرح أبيات الجمل.

٤- النكت على كتاب سيويه (وهو مطبوع)."

ويتضح من هذا المثال المنهجية التالية في إيراد معلومات التعليق:

أولاً: البدء بذكر الانتهاء المكاني الدال على أندلسيته (من أهل شتمرية).

ثانياً: تفسير لقب المترجم له (الأعلم: مشقوق الشفة العليا).

ثالثاً: ذكر الكنية (يكنى أبا الحجاج).

رابعاً: بيان المجال المعرفي الذي اشتغل بعلمه؛ مما يبرهن على صحة إدراجه في هذا

المعجم (كان عالماً بالعربية واللغة وإماماً في النحو).

خامساً: ذكر مؤلفاته (وإن كان ذكرها جاء غير مستوفٍ لشرط بيان المطبوع منها

والمخطوط على ما وعدت المقدمة)!

ودراسة التعليقات على المداخل في هذا المعجم تكشف عما يلي:

أولاً: الاضطراب في ترتيب معلومات التعليق؛ فليس ثمة منهجية مطردة في ترتيب

معلومات التعليق؛ إن على مستوى الشكل، وإن على مستوى المعنى.

ثانياً: التفاوت في ذكر معلومات التعليق من مدخل لآخر، فليس يظهر فيها جميعاً تفسير

اللقب.

ثالثاً: عدم الوفاء بما وعدت به المقدمة؛ من ذكر المعلومات البيبلوجرافية بمؤلفات كل

مترجم له، مع شهرة مطبوعات عدد كبير من المؤلفات المذكورة في التعليق على عدد من

المداخل.

٤/٢

المصادر والتوثيق

جاءت ملامح العناية بمصادر المعجم جيدة؛ حيث درسها صانع المعجم، وأشار إليها في

المقدمة، ثم صنع لها فهرساً في ملاحقه.

وتمثلت منهجية التوثيق في هوامش كل صفحة فيما يلي:

أولاً: ذكر مصادر ترجمة كل مدخل مجموعة في هامش مستقل، مسبوقه بالمؤشر اللغوي: "ترجمته في: ...".

ثانياً: ذكر عنوان المصدر متبوعاً بالمؤشر المكاني؛ رقم الجزء، والصفحة ورقم الترجمة إن وجد، وفي أحيان يكتفي بذكر رقم الترجمة فقط!

ثالثاً: ذكر بعض الفروق التي تذكرها المصادر في تعليقات موجزة جداً (انظر ص ١٥٧هـ).

وفحص منهج المعجم في توثيق الاستشهادات المرجعية يكشف عن مجموعة من الخصائص الحاكمة، هي:

أ. الدقة.

ب. الإيجاز والاختصار في ذكر معلومات الإحالة على المصادر بما لا يخل.

ج. التضافر؛ أي ضم مصدر إلى آخر.

وقد نهضت منهجية بناء الاستشهادات المرجعية بوظيفتين ظاهرتين مهمتين جداً، هما:

أولاً: الوظيفة المعرفية لمن يروم الاستزادة في معلومات مترجم له.

ثانياً: وظيفة تحقيق الموثوقية لمستعملي الكتاب، وهي الوظيفة التي تجلت في مظهرين، هما:

أ. كثرة مصادر توثيق معلومات التعليق على كل مدخل، وتنوعها.

ب. إثبات تعليقات موضوعية عند الضرورة والحاجة، عند وجود فروق في معلومات ما

تثبته المراجع والمصادر المختلفة.

فضلاً عما تقوم به كثير من هوامش التوثيق من وظائف معرفية لبعض الحقول المعرفية

التي تختص بتحقيق النصوص التراثية والبيبلوجرافية التراثية لكتب التراجم المفقودة، وغيرها.

والشير للدهشة أن هذا المعجم أدخل بمصدر أساسي في حقله المعرفي، فلم تظهر أية إشارة

له، وهو معجم اللغويين في الأندلس للدكتور يوسف عيد والدكتور يوسف فرحات، مع أنه

سبق صدوره قبل هذا العمل.

(٣)

العناية بتراجم اللغويين والنحويين في الأندلس: خطاب الوظائف

إن تحليل ما ظهر من أعمال مرجعية اعتنت بتراجم اللغويين والنحويين في الأندلس من منظور الوظائف والمقاصد، يكشف عن جملة كبيرة من الوظائف التي يمكن تحقيقها من خلال هذه الأعمال.

وفي هذا المطلب نقف بشكل موجز عند أظهر الوظائف والمقاصد الممكنة تحقيقها؛ وهي:

أولاً: الوظيفة المعرفية:

إن هذه الأعمال المرجعية نافعة في تحقيق القضايا والمسائل المعرفية المنتمية لحقول اللسانيات التراثية في الأندلس، من مثل:

- أ. استكمال الحلقات الناقصة في منجز النحاة واللغويين في الأندلس.
 - ب. فحص ما اخترعه اللسانيون الأندلسيون مقارنة بما أنجزه المشارقة.
 - ج. دراسة الجهاز الاصطلاحي المتميز في الدراسات اللسانية التي أنجزها الأندلسيون.
 - د. دراسة مدى تأثير الدرس اللساني التراثي المشرقي في نظيره الأندلسي، من خلال فحص شروح الأندلسيين وتكملاتهم وحواشيهم على المصنفات اللسانية المشرقية.
- وهذه الأربعة المحاور مجرد عينة لما يمكن أن تسهم في إنجازها معاجم التراجم المعاصرة التي توقفت عند جمع علماء اللغة والنحو في الأندلس والترجمة لهم، وذكر مصنفاتهم.
- ثانياً: الوظيفة الدينية:

لقد كشف تحليل مقدمات الأعمال المرجعية المعاصرة التي توقفت أمام ترجمة نحاة الأندلس ولغوييه عن أمر مهم جداً، يتعلق بالوظيفة الدينية التي دفعت هؤلاء المعاصرين إلى إنجاز هذه الأعمال.

لقد دفعهم نوع شعور ديني عميق يشعر بضرورة الوفاء لما أنجزه علماء هذه الأرض التي عمرها الإسلام نحو من ثمانية قرون كاملة.

ومن جانب آخر، فإن هذه الأعمال المرجعية المعاصرة يمكن أن تسهم في تعميق الدراسات المتعلقة بما يلي:

أ. تجليات وحدة الأمة الإسلامية بطريق عملي في حقول علوم اللغة والنحو؛ فقد ظهر أن كثيرًا من علماء هذا الحقل تفرغوا لإنجاز ما يلي:

١. شرح مصنفات لغوية ونحوية لمشركين.

٢. الاستدراك والتكملة لعدد من المصنفات اللغوية والنحوية المشرقية.

وهو الأمر الذي يعني أن علماء الأندلس أدركوا - بصورة عملية - أنهم جزء من حضارة أوسع هي حضارة الإسلام.

ب. تجليات التصدي لمناطق الفراغ التي لم يخدمها المشرقيون في دراساتهم للسان العربي، وهو الأمر الذي يظهر فيما أنجزه اللسانيون الأندلسيون من مصنفات لم يعرفها المشاركة، أو عرفوها ولكن بصورة أقل مما هي عليه في الأندلس.

ثالثًا: الوظيفة التاريخية:

من جانب آخر، فإن دراسة هذه الأعمال المرجعية تسهم في تغطية جزء كبير من تاريخ العلم اللساني في الأندلس، وتاريخ العلاقات العلمية بين المشرق والأندلس من جانب، وبين علماء المذاهب المختلفة من جانب آخر.

الخاتمة:

عالج هذا البحث ملامح العناية المعاصرة بتراجم علماء اللغة والنحو في الأندلس من الفتح (٩٢هـ) إلى سقوط الخلافة (٨٩٨هـ).

وقد طالت هذه المعالجة فحص المطالب التالية:

١. حدود العناية ودوافعها.

٢. دراسة التصنيف والنقد المعجميين للأعمال المرجعية التي اعتنت بتراجم اللغويين والنحويين الأندلسيين.

٣. رصد أهم ثلاث وظائف يمكن تحقيقها، من خلال استثمار هذه الأعمال المرجعية المعاصرة.

٤. وقد كشفت هذه الدراسة عن جملة من النتائج، نجملها فيما يلي:

أولاً: ظهرت ملامح العناية المعاصرة بتراجم علماء اللغة والنحو في الأندلس بتأثير من دوافع معرفية ودينية ونفسية مجتمعة.

ثانياً: حرصت هذه الأعمال المرجعية على الاستيعاب والحرص.

ثالثاً: سعت هذه الأعمال المرجعية إلى تطبيق برامج صناعة المعجم الحديثة في بناء معاجمها.

رابعاً: ظهر تفاوت واضطراب في تطبيق قواعد برامج صيانة معجمات التراجم في الترتيب والمعلومات، وإن اختلف كل معجم عن أخيه في نسب التفاوت وملامح الاضطراب.

خامساً: ظهر تفاوت في كثافة مداخل كل معجم، فعلى حين ترجم معجم يوسف عيد فرحات لسبعمئة مدخل، ترجم عبد الجواد لنحو تسعمئة مدخل، بزيادة تقدر بنحو مئتي ترجمة!

سادساً: ظهر تفاوت في كثافة الاعتماد على المصادر المختصة التي استعملت في جمع المادة. **سابعاً:** أخلت هذه الأعمال المرجعية بترجمة علماء اللغة والنحو من الموريسكيين بعد سقوط غرناطة، ولم يذكر سبب هذا الإغفال مع توافر إرادة الحصر والإحصاء.

ثامناً: لم تحدد هذه الأعمال المرجعية معايير تعيين أندلسية المترجم له، هل هي الميلاد في الأندلس، أم الوفاة به، أم الحياة، أم الانتقال إليه من غيره؟

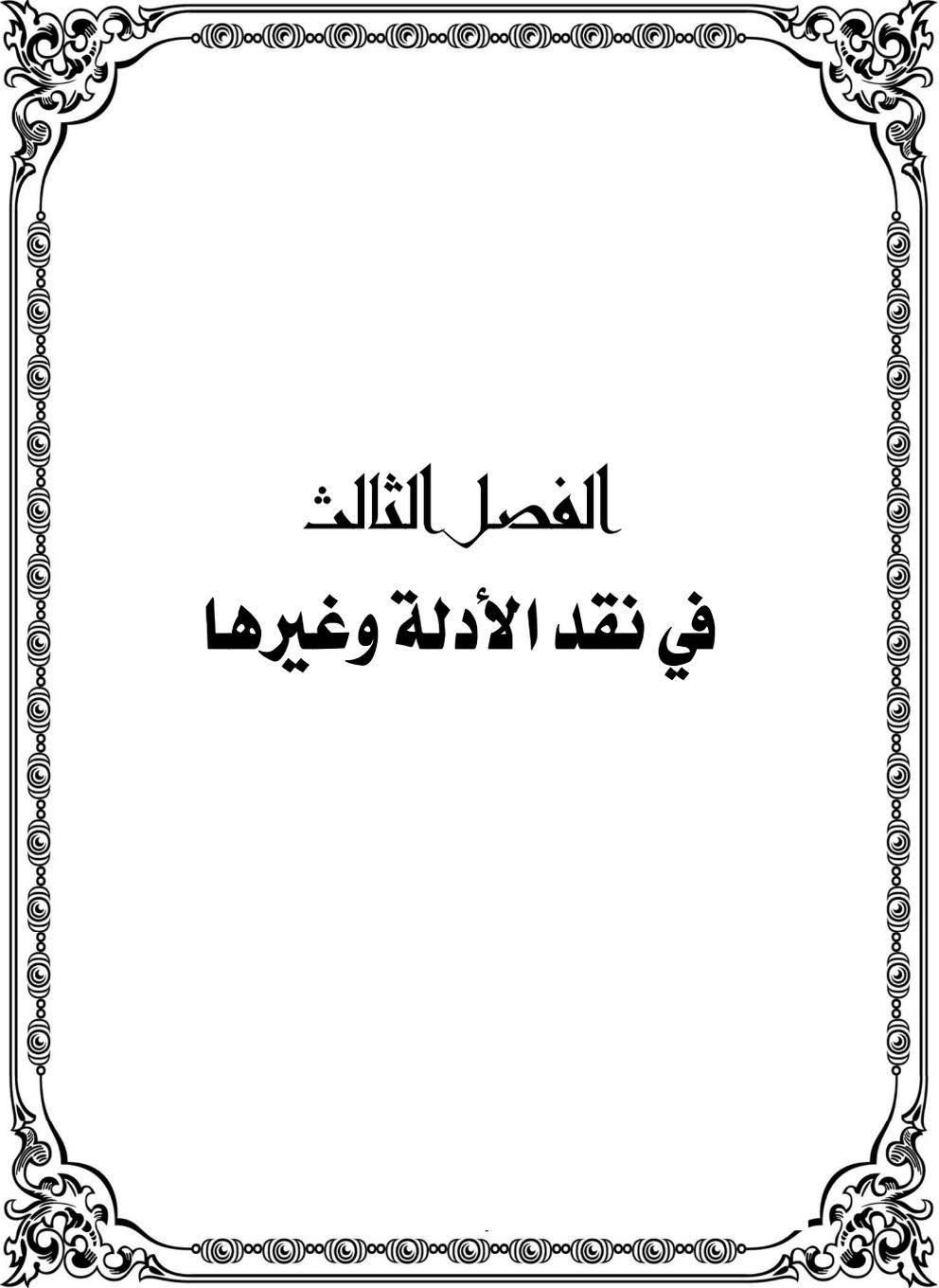
وهذا التعيين كان لازماً؛ لبيان تأثير حركة الانتقالات منه وإليه، في تبادل الأفكار اللسانية بين المشرق والأندلس.

والحق أن هذه الأعمال المرجعية خطوة طيبة على طريق خدمة حقل الدراسات الأندلسية بوجه عام، وحقل الدراسات اللسانية الأندلسية بوجه خاص.

المراجع:

- الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، للدكتور ألبير حبيب مطلق، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٦٥م.

- الدراسات اللغوية في الأندلس، للدكتور رضا عبد الجليل الطيار، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، بغداد، سلسلة دراسات ٢٢٧ سنة ١٩٨٠ م.
- طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط ٢ سنة ١٩٨٤ م.
- المعجم العربي في الأندلس، للدكتور عبد العلي الودغيري، المملكة المغربية، الرباط.
- معجم علماء اللغة والنحو في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة (٩٢-٨٩٨هـ) للدكتور رجب عبد الجواد إبراهيم، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط ١ سنة ١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٤ م.
- معجم اللغويين في الأندلس، للدكتور يوسف عيد والدكتور يوسف فرحات (ضمن معجم الحضارة الأندلسية) دار الفكر العربي، بيروت، ط ١ سنة ٢٠٠٠ م.



الفصل الثالث
في نقد الأدلة وغيرها

١/٣

**الدليل اللغوي العام:
معجم عام شامل في الأدوات والتراكيب والمهارات الكتابية،
لسليمان فياض: مراجعة علمية نقدية**



مدخل: في النقد ازدهار العلم:

يمثل النقد المعجمي أحد أهم أركان البحث المعجمي المعاصر، وفق أحدث تطوراته الراهنة، وهو الأمر الذي يقرره - مثلاً - هارتمان في كتابه: المعاجم عبر الثقافات [ترجمة الدكتور محمد محمد حلمي هليل، الكويت، ٢٠٠٤م، (ص ٧٤)]، عندما يقول: إن البحث في النقد المعجمي أحد أهم حقول تخصص البحث المعجمي.

ويكشف عن عدد من وظائفه ومقاصده المعرفية التي يمكن تلخيصها في الكليات التالية:

أولاً: تقويم المعاجم (ص ٤٩)، يقول: "لقد سعى النقد المعجمي جاهداً لوضع المعايير (لتقويم المعاجم)".

ثانياً: ترقية الوعي العام بالمعاجم.

ثالثاً: النهوض بمستوى الأعمال المعجمية، يقول (ص ٦٢): "والنقد المعجمي يمكن أن يكون وسيلة فعالة من وسائل زيادة الوعي العام بالمعاجم، والنهوض بمستوى النتاج المعجمي".

رابعاً: الإسهام في رسم الصورة الكلية للمعجم.

خامساً: الإسهام في إنجاز التقييم للمعاجم المنجزة، يقول (ص ٧٤): "البحث في النقد المعجمي هو الذي يدرس سياق التقييم المرجعي، ويتولد عنه - من بين أشياء أخرى - صورة كلية للمعجم".

سادساً: ترسيخ معايير النقد المعجمي: يقرر هارتمان أن استقرار النقد المعجمي من شأنه أن يسهم في ترسيخ المعايير المنظومة في تقييم المعاجم، وغيرها من الأعمال المرجعية، بحيث يصير الاتفاق عليها عامًا ودوليًا.

وتتبدى هذه المعايير المنظومية في ما يلي:

١- المظاهر المعيارية (الاستيعاب/ الشكل/ المجال/ الحجم/ العنوان/ التأليف) (ص ٧٨-٧٩).

٢- المظاهر المنهجية والتصنيفية (البنية الكبرى / البنية الصغرى / والتحليل النقدي للمصادر/ وطرق التوثيق).

٣- المظاهر الاستعمالية والوظائفية (مواثمة لطبيعة المستعملين/ ووظائفه).

وفحص كتاب هارتمان يكشف عن أن عروض نقد المعاجم تندرج ضمن بحوث المعجمية في جانب الصناعة المعجمية.

والحق أن الثقافة اللسانية العربية المعاصرة عرفت النقد المعجمي في صورتين عامتين، هما:

أولاً: النقد المعجمي العام للمعجمات التراثية العربية، وأخذ موقعه في نوعين من الأدبيات المعاصرة في الثقافة العربية:

١- أدبيات فقه اللغة أو اللسانيات التراثية، التي انشغلت بالبحث الدلالي، أو فقه اللغة في التراث العربي منذ منجز إبراهيم أنيس وحتى اليوم.

٢- أدبيات الدرس المعجمي والدلالي العامة (المسحية).

وقد اتسمت معالجات النقد المعجمي في هذه الأدبيات بالسّمات التالية:

أ- الانطباعية، وعدم الخضوع لمعايير منظومية منضبطة.

ب- الميل نحو النقد المعجمي السلبي.

ج- العموم وعدم التفصيل.

ثانيًا: النقد المعجمي الخاص بمعجم بعينه، وقد برز في هذا السياق أسماء لعدد من اللسانيين التراثيين المعاصرين، من أمثال:

١ - أحمد فارس الشدياق.

٢ - الأستاذ أحمد تيمور.

٣ - الأستاذ عبد السلام هارون.

ثالثاً: الدراسات المعجمية الأكاديمية الخاصة بقطاع من الأعمال المعجمية، أو بمعجم بعينه.

وهذه الشرعية التي تمثل البداية لتجليات النقد المعجمي المعاصر، تستهدف خدمة مجال النقد المعجمي للمقاصد العامة التي سبقت في هذه الفقرة.

ويعالج هذا المبحث المطالب التالية:

١. الدليل اللغوي العام: مادته/ وانتماؤه المعرفي.

٢. الدليل اللغوي العام: مقالة في البنية:

أ- البنية الكبرى. ب- البنية الصغرى.

٣. الدليل اللغوي العام: مقالة في الوظائف.

٤. الخاتمة.

وفي ما يلي بيان مفصل لهذه المطالب، تستهدف خدمة حقل النقد المعجمي بالتقدم نحو النماذج المعاصرة من المعجمات نقدياً.

(١) الدليل اللغوي العام: مادته وانتماؤه المعرفي:

ونعتمد في هذه المراجعة العلمية النقدية لكتاب: الدليل اللغوي العام: معجم عام شامل في الأدوات والتراكيب والمهارات الكتابية، لسليمان فياض، على طبعة مكتبة الأسرة، فرع العلوم الاجتماعية، التي تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥م × ٣٢١ ص.

(١/١) ويضم هذا الدليل/ المعجم مجموعة من المداخل، يرى صانعه أنها جميعاً مما

يندرج في إطار ما يسميه باسم المشكلات في اللغة العربية؛ يقول (ص ٧): "وهذا الدليل

اللغوي خاص بالألفاظ والأدوات والتراكيب المشكلات في اللغة العربية".

وهو يضم المجموعات التالية من المداخل موزعة على المستويات اللغوية المختلفة:
أولاً: مداخل لمعلومات صوتية؛ تحيط بأصوات العربية، وبيان مداخلها، وخصائصها
وسماتها المائزة.

ثانياً: مداخل صرفية؛ تحيط بطبيعة الكلمات وأنواعها، ووظائفها.

ثالثاً: مداخل لمعلومات نحوية تركيبية؛ تعنى ببيان بعض إعرابات عدد من الكلمات
والتراكيب الشائعة الاستعمال في لغة المعاصرين، وبعضها مهجور غير مستعمل.

رابعاً: مداخل لمعلومات معجمية؛ تحرص على العناية بمعاني الكلمات في اللغة العامة.

خامساً: مداخل لمعلومات كتابية (الخطاطة)؛ تعنى بالقواعد التي تحكم كتابة عدد من
الكلمات والتراكيب؛ مما يمكن أن يمثل قدرًا من الصعوبة على قطاع من المستعملين غير
المختصين، أو من غير الخبراء في اللسان العربي وقواعده وقوانين الكتابة فيه.

سادساً: مداخل لمعلومات بلاغية ودلالية؛ قد تعرج على بيان بعض المعلومات البلاغية
والدلالية؛ مما يصعب التوصل إليها في المصادر والمراجع المختصة.

سابعاً: مداخل لمعلومات سياقية تحاصر مشكلات اللحن والخطأ في اللغة والأسلوب.
وقد تكسر الدليل على تسعة وعشرين بابًا على حروف المعجم، مع أفراد باب مستقل
للمداخل المبدوءة بحرف الألف، وقع قبل بابي الواو والياء وبعد الهاء!

وقد بلغت كثافة مداخل الأبواب مجتمعة: ٧٣٣ مدخل، أما تفصيلات ورودها فكما يلي:

١. باب الهمزة: ٢١٠ مدخل. ٢. باب الباء: ٣٤ مدخلًا.

٣. باب التاء: ٢٧ مدخلًا. ٤. باب الثاء: ٤٠ مدخلًا.

٥. باب الجيم أحد عشر مدخلًا. ٦. باب الحاء: ٣٤ مدخلًا.

٧. باب الخاء: ٢٠ مدخلًا. ٨. باب الدال: خمسة مداخل.

٩. باب الذال: ١٤ مدخلًا. ١٠. باب الراء: ٢٠ مدخلًا.

١١. باب الزاء: ثلاثة مداخل. ١٢. باب السين: ٣٨ مدخلًا.

١٣. باب الشين: خمسة مداخل. ١٤. باب الصاد: أربعة مداخل.

١٥. باب الضاد: مدخل واحد.
١٦. باب الطاء: أربعة مداخل.
١٧. باب الظاء: ثلاثة مداخل.
١٨. باب العين: ٢٤ مدخلاً.
١٩. باب الغين: سبعة مداخل.
٢٠. باب الفاء: ١٢ مدخلاً.
٢١. باب القاف: ١٧ مدخلاً.
٢٢. باب الكاف: ٣١ مدخلاً.
٢٣. باب اللام: ٢٩ مدخلاً.
٢٤. باب الميم: ٢٥ مدخلاً.
٢٥. باب النون: ثمانية مداخل.
٢٦. باب الهاء: ٣٣ مدخلاً.
٢٧. باب الألف: مدخل واحد.
٢٨. باب الواو: ٢٢ مدخلاً.
٢٩. باب الياء: ١٠ مداخل.

(٢ / ١) ويتتمي هذا الدليل / المعجم في ظاهر التصنيف إلى مجال المعجم، بدليل ما يلي:
أولاً: العنوان، فقد جاء العنوان الجانبي للكتاب: "معجم عام شامل في الأدوات والتراكيب والمهارات الكتابية".

ثانياً: المقدمة، فقد قرر صانعه (ص ٧): أنه دليل عام شامل.

ثالثاً: منهجية بنائه؛ فقد اتخذ شكلاً معجمياً عند صدوره؛ إذ تصمم على هيئة المعجم، مكوناً من نهريين:

أ- استقل الأول للمداخل، مميزة بانفصالها في حيز مكاني مستقل.

ب- واستقل الأخير: لمعلومات التعليق على المداخل.

رابعا: منهجية ترتيب مداخله؛ حيث رتب المداخل ترتيباً ألفبائياً هجائياً جذعياً؛ أي من غير تجريد، ووفق منطوق المداخل، مع مراعاة الحرف الأول فالثاني ثم الثالث، وما يليها. والكتاب - مع انتهائه الظاهر لمجال المعجم - صالح لأن ينتمي إلى عدد آخر من الانتهات المعرفية، يمكن تلمسها في ما يلي:

أولاً: الصوتيات العربية:

كان من عناية الدليل اللغوي العام بالصوتيات العربية - افتتاحه كل باب (حرف) ببيان خصائص الصوت/ علم الباب، مع النص على المجال العلمي للمعلومات الواردة، فهو مثلاً يفتح باب الهمزة بقوله (ص ١١): "ء صوتياً: صوت شديد، مخرجه من الحنجرة". ويقول في وصف صوت الباء في افتتاح الباب الثاني (ص ٨٧): "ب صوتياً: ... مخرجه من بين الشفتين، وهو ... مجهور شديد". وهكذا في افتتاحيات الأبواب جميعاً: (ت: ١٠١ / ث: ١٠٩ / ج: ١١٩ / ح: ١٢٣ / خ: ١٣٠ / د: ١٤٥ / ذ: ١٤٩ / ر: ١٥٧ / ز: ١٦٥ / س: ١٦٩ / ش: ١٧٧ / ص: ١٧٩ / ض: ١٧٩ / ظ: ١٨٣ / ط: ١٨٥ / ع: ١٨٧ / غ: ١٩٩ / ف: ٢٠٣ / ق: ٢١١ / ك: ٢١٩ / ل: ٢٣٣ / م: ٢٥٥ / ن: ٢٦٥ / هـ: ٢٦٩ / الألف (اللين): ٢٧٧ / و: ٢٨٥ / ي: ٢٩٧).

ولم تنحصر المعلومات التي يقدمها هذا الدليل على الصوتيات المجردة (الفوناتيك)، وإنما يتجاوز في أحيان إلى الصوتيات الوظيفية (الفونولوجيا). ويرتبط بهذا الانتهاء عنايته الظاهرة بمعلومات التجويد؛ بما هو صوتيات خاصة بالكتاب العزيز.

ثانياً: الصرف:

ومما أظهر الدليل اللغوي العام نحوه عناية خاصة كذلك - المعلومات الصرفية، وقد ميزها بمؤشرات دالة على مجالها.

ثالثاً: النحو:

وقد كانت عناية الدليل اللغوي العام بالمعلومات النحوية مركزية ظاهرة في:

أ- العنوان: (معجم عام شامل في ... التراكيب).

ب- المقدمة: يقول (ص ٧): "وهذا الدليل اللغوي خاص بالتراكيب المشكلات في اللغة العربية التي ينسى أكثر متعلمي العربية معانيها، وكيفية استخدامها اللغوي ... ومع أوجه البناء والإعراب".

ج- التوزع الكثيف لمعالجات المداخل من منظور نحوي، مؤشر دال على المجال.

رابعًا: الخطاطة، أو علم الرسم:

إن الدليل اللغوي العام محكوم في أهداف صناعته بالعناية بدعم المهارات الكتابية، وتنمية مهارات الكتابة الصحيحة، وهو ما يفسره ظهور النص على هذا المجال في:

أ- العنوان: (معجم عام شامل في ... المهارات الكتابية).

ب- المقدمة: يقول (ص ٨): إن من أهداف هذا الدليل هو إغناء خبرة مستعمليه في مجال الإملاء والمهارات الكتابية.

ج- التوزع الظاهر لقوانين الكتابة أو الرسم في كثير من التعليقات على مداخل المعجم.

خامسًا: اللهجات:

كان مما اعتنى به الدليل اللغوي العام حرصه على إيراد بعض الاختلافات اللهجية، ولاسيما في ما يخص أشكال نطق عدد من الأصوات العربية.

ومن أمثلة ذلك ما أورده في سياق بيان وصف صوت الجيم، فقد قرر لها الصور النقطية

التالية (ص ١١٩):

أ- الجيم المزودجة، وهي الفصحى.

ب- الجيم السامية (القاهرية)؛ الشديدة المجهورة.

ج- الجيم الشامية؛ الرخوة المجهورة.

سادسًا: البلاغة العربية:

ويخدم هذا الدليل - وإن بدرجة أقل - مستعملين من جهة ما يحتويه من بعض

المعلومات البلاغية.

إن تعيين هذه الانتهات المعرفية لهذا الدليل، وإن انصبت في المقام الأول في باب تصنيفه معجماً - فإن تسميته بالدليل ربما تجعله نمطاً متميزاً - بعض الشيء - من الأعمال المرجعية، يترادف مع المعجم ترادفاً شبه تام.

والدليل - من منظور علم المراجع - وعاء من أوعية المعلومات، وهو في هذه الحالة وعاء جعل: الأدوات، والتراكيب، ومهارات الكتابة مشغلتة الأساسية، وهو ما يميزه بدرجة ما عن المعجم.

(٢) الدليل اللغوي العام: مقالة في البنية:

يمثل تحليل بنية المعجم (الكبرى / الصغرى) أول تطبيق للالتزام المعايير المنظومة في النقد المعجمي، ووفقاً لأطروحة هارتمان حول بنية المعجم، فإنها تتوزع نوعين، هما:

١ / ٢ البنية الكبرى، أو الهيكل العام المصمم عليه المعجم، بما يضمنه من:

واجهة المعجم / وترتيب مداخله (خارجياً / وداخلياً) وملاحقه وكشافته.

٢ / ٢ البنية الصغرى، الموزعة بدورها على:

أ. معلومات التعليق على الشكل.

ب. معلومات التعليق على المعنى.

وفي هذا الجزء من المراجعة العلمية النقدية للدليل اللغوي العام نتوقف أمام فحص هذه البنية، وقياس ما تحقق من مبادئها المستقرة في البحث المعجمي على مستوى التصنيف المعجمي تعيناً.

١ / ٢ البنية الكبرى للدليل اللغوي العام:

ضم الدليل اللغوي العام - مشغلة هذه المراجعة - ثلاثة أقسام، هي:

أ- المقدمة.

ب- جسم الدليل (صلبه).

ج- فهرس (أو كشف) المداخل.

(٢ / ١ / أ) كشف تحليل مقدمة الدليل عن عنايتها بالمعلومات التالية:

أولاً: التعريف بالدليل، وأنه تطوير لمحاولة سابقة موجزة أنجزت ١٩٨٧م، وأن هذا التطوير ارتفع بكثافة المداخل إلى ثلاثة أضعاف، يقول (ص ٧): "هذه الطبعة من "الدليل اللغوي" دليل عام شامل بقدر المستطاع، بعد دليلنا اللغوي الموجز في طبعته الأولى. وتربو مواد هذا الدليل اللغوي على ثلاثة أمثال الدليل الموجز الذي أصدرناه سنة ١٩٨٧م".

ثانياً: طبيعة الدليل، وأنه "خاص بالألفاظ والأدوات والتراكيب المشكلات في اللغة العربية" (ص ٧).

ثالثاً: الغاية من إنجاز الدليل، وأنه يأتي من أجل (الإسهام في تيسير خبراتنا بالعربية وإغنائها؛ حتى لا نخطئ كثيراً في كيفية استخدامات هذه المواد" (ص ٨).

بالإضافة إلى التيسير على المستعملين الذين يصعب عليهم العثور على كثير مما تضمنه.

رابعاً: بيان نظام ترتيب المداخل، وإن جاء سريعاً مخلصاً جداً، مع بيان الغاية من تطبيقات هذا النظام يقول (ص ٨): "والكشف فيه (أي هذا الدليل) عن هذه المواد والتراكيب سريع؛ بفضل ترتيبه الهجائي!"

وهذه المقدمة / واجهة المعجم أخلت بعدد من المبادئ المستقرة في برامج إنجاز مقدمات المعاجم، وهي:

أولاً: التقصير في بيان طبيعة المنهج، أو نظام الترتيب تفصيلاً.

ثانياً: التقصير في بيان إرشادات الاستعمال.

ثالثاً: إغفال مصادر استمداد مادة الدليل.

رابعاً: إغفال بيان منهجية ترتيب معلومات ما تحت المداخل.

خامساً: السكوت عن بيان طريقة جمع المادة.

سادساً: إغفال بيان طبيعة المستعملين المستهدفين.

(٢ / ١ / ب) متن الدليل:

مثل متن الدليل، أو صلبه القسم الثاني من بنية المعجم الكبرى. وقد أشارت واجهة المعجم - بصورة عرضية عابرة - أن مداخله رتبت ترتيباً هجائياً.

والحق أن نظام ترتيب المداخل جاء ألفبائياً هجائياً جذعياً؛ أي وفق صورة المدخل النهائية في الاستعمال، من دون الرد إلى الجذور، أو التجريد، مراعاة للشواني والثالث من حروف كل مدخل، وإن طالت صورته الشكلية وانتقل من النمط الحرفي، إلى ما بعد من الأنماط الفردية أو التركيبية بأنواعها المختلفة من: إضافية أو وصفية أو عطفية؛ إلخ.

وهذا النظام الترتيبي واحد من نتائج رعاية منظور المستعمل user perspective، الذي تحرص عليه الصناعة المعجمية الحديثة.

وهذا النظام الترتيبي للمداخل راعى الحرف الأول من المدخل، بحيث أصبح شكل النظام هو:

أولاً: توزيع المداخل على تسعة وعشرين باباً وفق الحرف الأول من المداخل، وهو الترتيب الخارجي للمداخل.

ثانياً: توزيع المداخل في الباب الواحد توزيعاً ألفبائياً، يراعي انتظام الحروف الشواني والثالث؛ إلخ، وهو الترتيب الداخلي للمدخل.

والحق أن ترتيب المداخل؛ خارجياً/ داخلياً خضع لمراجعة أظهرت تمتعه بقدر ظاهر من الضبط والإتقان والجودة.

وإن كان ثمة ملاحظ نقدية سلبية، فهي قليلة، ويمكن حصرها في ما يلي:

أولاً: صنع باب مستقل للألف اللينة، وهي حركة طويلة، وليس صامتاً.

ثانياً: بعض الاضطراب النادر في ترتيب معلومات التعليق على المداخل؛ فقد بدا من فحص المعجم التزام ترتيب المعلومات وفق المنهج التالي:

أ. المعلومات الصوتية. ب. المعلومات المعجمية.

ج. المعلومات الصرفية. د. المعلومات الكتابية.

هـ. المعلومات النحوية. و. المعلومات الإعرابية.

وهو الترتيب الذي ظهر من تأمل معلومات التعليق على المداخل .. صحيح أن هذه المعلومات جاء ظهورها متفاوتاً من مدخل لآخر، لكن الفحص أظهر بعض الاضطراب في ترتيب إيرادها؛ ففي معلومات التعليق على مدخل (الهزمة) جاء الترتيب كما يلي:

أ- المعلومات الصوتية. ب- المعلومات النحوية!

ج- المعلومات الصرفية! د- المعلومات الكتابية!

وهو ما شهد تقديم معلومات النحو على الصرف والكتابة!

ثالثاً: اضطراب في ترتيب بعض المداخل داخلياً:

صحيح أن أمثلة هذه الاضطراب جاءت نادرة جداً، لكنها موجودة؛ ففي باب الألف، وقع المدخل (أمت) [ص ٦٥] بتشديد الميم بعد المدخل (أمامك)، وقبل المدخل (امرؤ) (ص ٦٦)، والصواب نقله ليقع بعد المدخل: (أمس؛ ص ٦٧)، وقبل المدخل: (أنبا، ص ٦٦)؛ نظراً لتشديد الميم؛ إذ الملاحظ أن يعد المشدد حرفين!

ومن أمثله أيضاً في الباب نفسه ورود المدخل (أنتما)؛ (ص ٦٨) قبل المدخل (أنتم: ص ٦٨)، والصواب التبديل؛ بحيث يتقدم المدخل (أنتم) لتكونه من أربعة حروف، وتأخر المدخل (أنتما)؛ لتكونه من خمسة حروف!

ويمكن ملاحظة أمثلة من هذا الاضطراب في ما يلي:

(أوه/ أواه/ آه)؛ (ص ٧٧)؛ والصواب ورودها (آه/ أواه/ أوه)!

(٢/ ١/ ج) فهرس (كشاف) المداخل:

استقر النظر في الأعمال المرجعية على تقدير قيمة الكشافات؛ لما لها من عوائد من جهتي: توفير الوقت، وتوفير الجهد معاً. وهو الأمر الذي يرقى برتبة الأعمال المرجعية التي تعني بصناعة الكشافات للمكونات الصغرى مما تورده من معلومات.

وقد صنع الدليل اللغوي العام كشافاً واحداً لمداخله، أعاد فيه سردها واضعاً أمامها المؤشر المكاني لموضع ورودها في داخل المعجم.

وفي المجمع فإن البنية الكبرى للمعجم جاءت وفق المعايير المنظومة المقترحة هنا لنقد الدليل فقد جاءت جيدة، باستثناء الملاحظ السلبية التي ظهرت في قسمي: المقدمة / المتن.

(٢/ ٢) البنية الصغرى للدليل اللغوي العام:

تبعاً لنموذج هارتمان فإن البنية الصغرى تتشكل من ركنين، هما:

(٢/ ٢/ ١) ركن التعليق على شكل المداخل.

(٢ / ٢ / ٢) ركن التعليق على معنى المداخل.

وفي ما يلي تحليل لعمل الأستاذ/ سليمان فياض في البنية الصغرى للدليل اللغوي العام، الذي هو معجم عام شامل في الأدوات والتراكيب والمهارات الكتابية:
(١ / ٢ / ٢) التعليق على الشكل:

يتناول ركن التعليق على الشكل معالجة المعلومات الخاصة بصيغة المدخل من جهة:
هجائه/ وضبط/ وماهيته الصرفية والمورفولوجية.

إن فحص عمل صاحب هذا المعجم/ الدليل يكشف عن السمات التي طبعت تعامله مع معلومات التعليق على شكل مداخله، وهي هذه الملامح التي يمكن إجمالها في ما يلي:

أولاً: اضطراب ظهور الضبط في المداخل؛ فقد تفاوتت نسب ظهور الضبط في هذا الدليل المعجم، واتضح أن هذا الاضطراب مرجعه إلى عدم إحكام معايير توظيفه؛ فقد ظهر نوع ضبط في عدد من المداخل في مثل الحالات التالية:

أ- الضبط للتفريق بين الحالات الإعرابية، في مثل:

- أبت (ص ٢٤) بفتح الهمزة والباء المهملة وكسر التاء المثناة الفوقية/ منادى منصوب مضاف محذوف الياء.

- وأبت (ص ٢٤) بفتح جميع حروفها/ منادى منصوب / مضاف محذوف الياء.

ب- الضبط لبيان خصائص صرفية نحوية في مثل:

- آحاد (ص ٣٣) بضم مفتتح / (للدلالة على وزن المعدول الممنوع من الصرف).

ج- الضبط للتفريق بين صيغتين متداخلتين رسمياً، والضبط هو السبيل لتمايز الوظائف النحوية الدلالية؛ في مثل:

- أما، بفتح الهمزة والميم/ التي هي حرف استفتاح.

- أما، بفتح الهمزة وتشديد الميم المفتوحة/ التي هي حرف تفصيل أو إباحة، أو شك؛ أو تحيير، أو إيهام.

وانظر: (ثم/ ثم). (ص ١١٤): بالفتح: اسم إشارة/ وبالضم: / حرف عطف).

ثانيًا: اضطراب العناية بمعلومات الصرف.

ركز هذا الدليل على العناية (كما جاء في مقدمته) بالمعلومات الصرفية؛ بما هي جزء من غايات الكشف عن صنعه، ووضعه.

وقد ظهرت العناية بمعلومات الصرف على مستويين، هما:

أ- مستوى تأسيسي، تعين بتعبير خاص دال على مستوى الاستعمال، وتعين المجال بكلمة: (صرفياً) قبل إيراد المعلومات المقصود بيانها أمام عدد كبير من المداخل؛ كما نرى مثلاً في:

- أبد (ص ٢٥) صرفياً: جمع: "آباد"، "أبود".

- أولى (ص ٧٥) أولى صرفياً: مؤنث: أول.

ب- مستوى عارض، تذكر فيه بعض المعلومات الصرفية عرضاً.

ثالثًا: الاضطراب في إيراد المعلومات الصرفية والنحوية تحت المجال كان مما ظهرت العناية من معلومات التعليق على الشكل ظهور الرعاية للمعلومات النحوية، تحت عدد كبير جداً من المداخل في هذا الدليل / المعجم، وإن اتسم التعامل معها بالاضطراب؛ فقد جاء تحت مجال تعين المعلومات النحوية المشار إليه بالمؤشر المتمثل في: (نحوياً)، ثلاثة الأنواع التالية من المعلومات:

أ- المعلومات التركيبية.

ب- المعلومات الصرفية (معلومات نوع الألفاظ).

ج- المعلومات الإعرابية والبنائية.

ففي التعليق على المدخل (عندك) نرى المعجم يقرر:

- أنه اسم فعل أمر (١٩٥).

- مبني على الفتح.

- إعرابها.

والوفاء للحدود العلمية يجعل بيان مسألة البناء/ والإعراب من مسائل علم النحو، وبيان نوع المدخل الشكلي (المورفولوجي) - مع أنها في بنية العلم التراثية من معلومات المقدمات النحوية - فإنها في سياق تحليل البنية الصغرى من معلومات التعليق على الشكل في بند التعليق على المعلومات الصرفية للمدخل. ومثل ذلك في التعليق على المدخل (أخرى: ص ٣٥/ في العنصر المعجمي بذكر (مؤنث)، وهي من معلومات الشكل (الصرفي)!

وتأمل معالجة البنية الصغرى - في فرع التعليق على الشكل - ينتج الملاحظ السلبية التالية:

أولاً: عدم الاستيعاب في ضبط جميع المداخل.

ثانياً: عدم الاستيعاب في ذكر المعلومات الصرفية.

ثالثاً: عدم الاستيعاب في ذكر المعلومات الهجائية.

رابعاً: عدم اعتماد معايير لطريقة معالجة الدليل لمعلومات التعليق على الشكل؛ بما هي الركن الأول من ركني البنية الصغرى للمعجم.

خامساً: اضطراب التعامل مع معلومات هذا الركن في:

أ- موضع ذكرها تحت المداخل.

ب- نسب ظهورها من باب لباب.

ج- عدم انضباط وظائف استعمالها.

(٢ / ٢ / ٢) ركن التعليق على معنى المداخل:

يتضمن ركن التعليق على المعنى - وفق مخطط هارتمان في معجمه لمصطلحية صناعة المعجم:

أ- شرح المعنى وتفسيره.

ب- المعلومات الاشتقاقية الإستمولوجية.

ج- معلومات مستوى الاستعمال.

وقد تميزت معالجة الدليل / المعجم لعناصر هذا الركن بما يلي (مقارنة بمعلومات الركن السابق):

أولاً: الاستيعاب.

ثانياً: الوضوح.

ثالثاً: الانضباط.

(أ) لقد انتظم الوفاء بمعلومات شرح معاني المداخل بمؤشر شبه منتظم، يعبر عنه اللفظ (معجمياً)؛ وقد غلب في بيان المعنى استعمال طريقة الشرح بالمرادف، في مثل:

- أخذ (ص ٣٠ / أي: ابتداءً.

- أدرج (ص ٣٧ / بمعنى: أطرق).

- انبرى (ص ٦٧ / بمعنى: شرع).

وهذه طريقة متقدمة في برامج تقييم طرق شرح المعنى في المعجمية المختصة؛ نظراً لأنها لا تفي بذكر السمات الدلالية الفارقة.

ولعل لجوء صانع الدليل إليها مرجعه إلى التعويض الحاصل بذكر بقية المعلومات والسمات الفارقة في المظان: الصرفية النحوية والكتابية، في معلومات ما تحت المداخل.

(ب) كما رعى هذا الدليل الوفاء بعدد من المعلومات الاشتقاقية الإستمولوجية التي استهدفت أمرين، هما:

١ - بيان أصول عدد من المداخل، عن طريق بيان التأصيل اللغوي.

٢ - بيان أصول المعنى من طريق الكشف عن جذوره.

وهو ما يمكن التمثيل عليه بما جاء تحت المدخل: حبذا/ (ص ١٢٥): يقول: حبذا: فعل مركب: حب/ وذا الإشارية. ففي هذا التعليق بيان لتأصيل المدخل، والكشف عن تكوينه من عنصرين. وقد أظهرت كذلك أنه من الفعل (حب) الذي لإنشاء المدح وتأسيسه.

(ج) وتعد العناية بمعلومات مستوى الاستعمال أظهر المناطق التي ظهر فيها: الوفاء بها في كل مدخل، عن طريق ألفاظ مؤشرة للكشف عن طبيعتها؛

هي: معجمياً؛ لبيان المعنى اللغوي العام.
 صرفياً؛ لبيان المعلومات الصرفية الموروفولوجية.
 نحويّاً؛ لبيان المعلومات التركيبية والإعرابية.
 كتابياً؛ لبيان المعلومات الخاصة بالرسم والكتابة والهجاء.
 وظهرت ملامح العناية بمعلومات هذا الجانب المنضبطة في توافر الخصائص التالية:
 أ- الاطراد والانتظام؛ حيث ظهرت مع كل مدخل.
 ب- الوضوح والتأكيد؛ حيث كتبت مؤشرات بحجم طباعي مائز/ وفي موقع ظاهر.

(٣) الدليل اللغوي العام: مقالة في الوظائف:

لقد كشف تحليل الدليل اللغوي العام في بنيته الكبرى والصغرى على أنه من الأعمال المرجعية التي يمكن أن تسهم في تحقيق الوظائف التالية:

أولاً: الوظيفة المعرفية:

ويقصد بها خدمة المجال المعرفي الذي ظهر من أجله، وهو تقديم قطاع من المعلومات اللغوية الموزعة على المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية.

وقد ظهر من مقدمة الدليل أنه يستهدف في سياق هذه الوظيفة ما يلي:

١. تنظيم معلومات قطاعات كثيرة من ميادينه.
٢. تجميع معلومات قطاعات كثيرة من ميادينه.
٣. توضيح كثير من صعوبات المعلومات في هذه القطاعات.

ثانياً: الوظيفة التعليمية:

صرح صاحب الدليل / المعجم بأن واحدة من وظائف هذا الدليل ماثلة في الوظيفة التعليمية البليوجرافية في الميدان اللغوي بمستوياته المختلفة، مع تطوير مهارات تعلم الكتابة أو الرسم.

كما أنه من جانب آخر يسهم في تطوير تعليم العربية؛ صوتياً، وصرفيّاً، ونحويّاً، وكتابياً.

ثالثاً: الوظيفة الاقتصادية:

إن تراكم ظهور الأدلة / المعاجم - بما هي أوعية نوعية للمعلومات - من شأنه أن يسهم في التوفير على مستوى الوقت، وعلى مستوى الجهد، وهو ما ينتج - بطبيعة الحال - توفيراً على المستوى الاقتصادي.

وقد أثبتت البحوث أن كل تطوير وتراكم وترقية في ميدان خدمة المعلومات اللغوية وتنمية الكتابة أو الرسم له عائد اقتصادي إيجابي.

رابعاً: الوظيفة الحضارية والقومية:

إن هذا الدليل - بما يحققه من تيسير المعرفة اللغوية، وبما يطمح إليه من تطوير الكتابة والرسم - يصب في خدمة الوعي من جانب، والارتباط باللسان بعد تيسير تعلمه، وتيسير تحصيل قضاياها، وتيسير التغلب على مشكلاته، بما يوفره من عوائد اقتصادية من جانب آخر. وهذه جميعاً تسهم في ترقية الحضارة والشعور القومي.

(٤) خاتمة:

حرصت هذه المراجعة النقدية للدليل اللغوي العام، لسليمان فياض، على دعم سياسات تقدم بحوث النقد المعجمي في الثقافة اللسانية العربية المعاصرة. وحاولت أن تدعم التوجه نحو توطين المعايير المنظومية لمجال النقد المعجمي في الدرس المعاصر.

وقد توقفت هذه المراجعة النقدية أمام ما يلي:

أولاً: نقد المحاولات المعجمية المعاصرة طريق مهمة لبناء وعي عام بالمعاجم.

ثانياً: تمثل دراسات نقد المعجم باباً مهماً وجيداً لترسيم الصورة الكلية للمعجم في الثقافة العربية المعاصرة.

ثالثاً: لقد سعت هذه المراجعة إلى ترسيخ معايير النقد المعجمي، والكشف عن إمكان ضبطها من جهتي المظاهر المعيارية (الاستيعاب والشكل، والمجال والحجم، العنوان؛ إلخ)، والمظاهر المنهجية التصنيفية.

رابعاً: دعم دراسات النقد المعجمي بعيداً عن العموم والانطباعية.

خامسًا: بيان مادة المعجم/ الدليل.

سادسًا: تنوع الانتهات المعرفية للمعجم/ الدليل.

سابعًا: كشفت المراجعة عن إمكان استقلال الدليل اللغوي؛ ليكون نوعًا مائزًا من المراجع، وإن اشترك مع المعجم في بعض الخصائص بصورة واضحة.

ثامنًا: كشفت الدراسة تراجع الدليل من جهة البنية الكبرى والصغرى، ولا سيما على مستوى الاضطراب، وعدم الاستيعاب.

تاسعًا: كشفت المراجعة عن تقديم العناية بمعلومات التعليق على المعنى مقارنة بمعلومات التعليق على الشكل.

عاشرًا: يمثل الدليل اللغوي العام خطوة جيدة على طريق المراجع الخادمة للعربية، ومعلوماتها في المستويات المختلفة.

المراجع:

١- الدليل اللغوي العام، لسليمان فياض، مكتبة الأسرة (علوم اجتماعية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥م.

٢- مدخل لدراسة المراجع، للدكتور عبد الستار الحلوجي، والدكتورة منى شاکر عبد اللطيف، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م.

٣- المعاجم عبر الثقافات: دراسات في المعجمية، هارتمان، ترجمة الدكتور محمد محمد حلمي هليل، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، (الكتب المترجمة) الكويت، ٢٠٠٤م.

4- Dictionary of lexicography, by R.R.K. Hartman, and Gergory James, Routledge press, London and New York, 1998.

٢ / ٣

التراث الموريسكي المخطوط مراجعة علمية نقدية



لقد استقر في علم مناهج البحث أن المراجعات العلمية بحوث كاملة؛ فهي تعد - "بما تحتوي عليه من جهد تحليلي تركيبى - أعمالاً في حد ذاتها". وهو الأمر الذي من شأنه أن يحمل الدارسين في المجالات والميادين المعرفية المختلفة على منح هذا الفرع من البحوث العناية اللائقة به؛ لأهميته الكبيرة في تطوير الدرس العلمي في كل ميدان؛ من طريق تقويم نتائجه، وفحص مقولاته، وتجديد مسارات البحث فيه.

وهذا بعض ما تحققة هذه البحوث، أو هو بعض ما يرجى تحققه من نحو بحوث المراجعات العلمية النقدية.

وتعالج هذه المراجعة العلمية النقدية لكتاب: التراث الموريسكي المخطوط؛ مجموعة من المسائل والمطالب كما يلي:

١. الكتاب: مادته، وانتمائه المعرفي، وقيّمته الحضارية.
 ٢. التراث الموريسكي المخطوط: المصادر والتوثيق.
 ٣. التراث الموريسكي المخطوط: مقالة في خطاب الوظائف والاستثمار.
 ٤. التراث الموريسكي المخطوط: ملاحظات نقدية واستدراكية.
- وهذه المراجعة تطمح إلى فتح آفاق جيدة لاستثمار هذا الكتاب، وتراكم الجهد في ميدانه، وتحقيق انفتاح موضوعاته على الحقول المعرفية المتنوعة إثرأء لها جميعاً.
- وفيما يلي معالجة مطالب هذه المراجعة العلمية النقدية على ترتيب ما ورد في هذا المفتتح.
١. كتاب (التراث الموريسكي المخطوط): مادته، وانتمائه المعرفي، وقيّمته الحضارية:

كتاب (التراث الموريسكي المخطوط) هو - في الحقيقة - مجموعة من البحوث المترجمة من الإسبانية، ترجمها وعلق عليها: محمد محمد عبد السميع، وصدّره الدكتور إسماعيل سراج الدين، وقدم له الدكتور مدحت عيسى، ونشره مركز المخطوطات، بمكتبة الإسكندرية، ٢٠١٥م. (في ٢١٤ص / ١٥ ملحق صور).

وقد جاءت بحوث هذا الكتاب كما يلي:

(١ / ١) مادة الكتاب:

أولاً: اللغة الأعجمية وأدائها: بديل إسلامي للإسبانية، لمارغوميث ريناد، جامعة بلد الوليد.

ثانياً: ملامح دراسة النصوص الأعجمية، لرينولد كونتزي، جامعة توتغن.

ثالثاً: المخطوطات الأعجمية كنصوص إسلامية، للويس برنايه بونس، جامعة أليكانتي.

رابعاً: المخطوطات الأعجمية - الموريسكية: اكتشافات، ومجموعات، وقوائم، وبيانات أخرى، لخوان كارلوس بيابردي أميابا، جامعة أومبيدو.

خامساً: مقارنة نحو تأريخ المخطوطات الأعجمية الموريسكية، لأنطونيو بيسير تينو رودر يغيث، جامعة أوبينيديو.

سادساً: الملامح الكوديكولوجية في المخطوطات العربية المتأخرة في شبه جزيرة إيبيريا، لنوميا مارتينيث دي كاستييا مونيوث، جامعة كوتبلونسي.

(٢ / ١) الانتماء المعرفي للكتاب، وآفاق استثماره المعاصر:

إن تحليل مادة هذا الكتاب، سواء أكان هذا التحليل متوقفاً عند تحليل خطاب عنوانات بحوثه أم كان متجاوزاً إلى فحص المعلومات والآراء والمناقشات التي تشكل مادة كل بحث - يكشف عن حزمة متضاربة من الانتماءات المعرفية، يمكن لهذا الكتاب المهم أن يقع في دوائرها، ويخدم اهتماماتها.

وفي هذه المقالة من هذه المراجعة العلمية النقدية للكتاب نحاول أن نستوفي هذه الخريطة للانتماءات المعرفية التي يدور في فلكها:

١ / ٢ / ١ حقل الدراسات التراثية:

يعد حقل الدراسات التراثية حقلاً ممتداً، يحيط بكل ما يعني بفحص التراث؛ بما هو الموروث القديم الذي وصل إلينا عن أسلافنا بشكل عام، سواء تعين في صورته الكتابية أو تجلياته المادية في صورة (المخطوطات)، كما يحدده علماء علم تحقيق النصوص التراثية، أم اتسع لينضوي تحته مجموعة عناصر أوسع من المخطوطات، كما يحدده علماء الحضارة والسياسة والقومية والهوية.

وهذا الكتاب ينتمي - بصورة صلبة واضحة - لكثير من ميادين هذا الحقل المعرفي ومجالاته. وهو ما نروم بيانه فيما يلي:

أولاً: علم المخطوط / الكوديكولوجي:

من تحليل مادة البحثين في (خامساً / وسادساً) يتضح أن هذا الكتاب يخدم حقل علم الكوديكولوجي أو (علم المخطوط)؛ ذلك أن هذه المادة تتضمن فحصاً لعيون من مسأله، من مثل:

- أ. اعتماد محددات الوعاء المادي (مادة المخطوط) في تأريخ المخطوطات الأعجمية، في (ص / ١٥٨) يقول: "هناك ... مجموعة من المعلومات الخارجية مثل: الورق، الحبر، نوع الخط، اسم الناسخ ... إلخ ... يمكن أن تشير بشكل تقريبي لتأريخ هذه المخطوطات".
- ب. رصد للملامح الكوديكولوجية في المخطوطات العربية المتأخرة في شبه جزيرة إيبيريا (ص ص ٢٠٨ - ٢١٤)، قد تضمن ذلك الرصد ما يلي:

- ملامح عرض اللوحة (الورقة).
- ملامح تسطير الصفحات.
- أنواع الكراسات.
- أنواع الوعاء (ورق، أو رق؛ إلخ).
- وجود العلامات المائية من عدمه.
- أنماط ترتيب الأوراق، ودور التعقيب في ذلك.

- البنية الداخلية لتجليد المخطوط، وأنواع التجليد، ومدى ظهور الحبك والفرز، وأنواع الكعوب، ومدى توافر العقد فيها من عدمه.

ج. إسهام الكتاب في استقرار الجهاز الاصطلاحي لعلم المخطوط (الكوديكولوجيا)؛ ذلك أنه استعمل عددًا طيبًا من مصطلحات هذا العلم، وعملت الترجمة على منحها مكافئاتها العربية نوعًا من الاستقرار والتوطين في بنية العلم في الثقافة واللغة العربية بين المعاصرين.

د. الإسهام في تعميق بحوث خوارج النص، وحُرود المخطوطات، وأنماط تأريخها والتملكات، وهي جميعًا من بحوث الوعاء المادي المعروف اصطلاحًا باسم المخطوط.

وهذه الأربعة العناصر ظاهرة الدلالة على انتهاء هذا العمل الفريد في الثقافة العربية المعاصرة إلى ميدان علم الكوديكولوجيا أو علم المخطوط.

ثانيًا: علم تحقيق المخطوط/ النصوص التراثية (النشرات النقدية):

إذا كان علم الكوديكولوجيا (علم المخطوط) هو العلم الذي يدرس الوعاء المادي، وخصائصه، ومادة الكتابة عليه، وتسطيره، وتجليده، وفنونه؛ إلخ - فإن علم تحقيق النصوص التراثية هو العلم الذي يعنى بالنص الذي يحمله الوعاء أو المخطوط، وهذا الكتاب ينتمي - بكثير مما أورده من معلومات - إلى ميدان هذا العلم، كما يتضح من تحليل المسائل العلمية التالية التي تتضمنها بعض فصوله:

أ. موضوعات النصوص التي حملتها مخطوطات الموريسكيين، ففي (ص ٢٢) يقول: "وجل الأدب الأعجمي الموريسكي تقريبًا عبارة عن أعمال مترجمة، أو على الأقل تكييف [أو إعادة إنتاج] لأصول عربية مشرقية في معظمها".

وهذا النوع من المعلومات مفيد في تعيين مصادر هذه النصوص عند تحقيقها أو نشرها نشرًا نقديًا؛ فقد استقر في قواعد علم تحقيق النصوص التراثية ضرورة مراجعة مادة النص مشغلة التحقيق على مصادره التي اعتمدها عند التأليف أو التصنيف؛ لضبط كثير من عمليات هذا التحقيق، بدءًا من: تصحيح قراءة النصوص الجزئية، إلى توثيق هذه النصوص، مرورًا بضبطها، وتخريجها، والتعليق عليها بما يضيء الطريق للقارئ عند استعمالها، ودراساتها، واستشارها في صناعة بعض الملاحق اللازمة.

ب. معالجة تقاليد التأليف وأنساقه من المسائل العلمية التي نجد لها صدى في بعض بحوث هذا الكتاب. وهي مسألة مهمة لإنجاز أعمال دراسة النصوص مشغلة التحقيق؛ ذلك أن دراسة النص التراثي، وبيان منهجه، وموقعه في حركة التأليف في ميدانه المعرفي هي من لوازم أعمال المكملات، التي تدرج ضمن المفهوم الحديث لعلم تحقيق النصوص التراثية. وهذه المسائل انشغلت بها دراسة ملامح دراسة النصوص الأعجمية في هذا الكتاب، وكشفت عن أهمية بالغة، تتعلق بقراءة النص، وضبطه، واستكمال نواقصه عند تعرض المخطوطات لبعض المشكلات المادية؛ مما يعرف باسم (ص / ٥١) "إعادة إنشاء النص الأصلي المكتوب"، أو على حد تعبير الصديق الدكتور محمود مصري: "ترميم النص التراثي!"

ج. الإبداع المتعلق بأنساق التأليف في النصوص الموريسكية؛ بما هي نصوص إسلامية؛ بما يعني ظهور نمط من أنماط الاستقلال في الأشكال والموضوعات متميزة عن الأشكال والموضوعات المشرقية، كما يتضح مثلاً من دراسة: المخطوطات الأعجمية كنصوص إسلامية (ص ص ٦٤ - ٩١).

د. إضافة عدد من مصطلحات علم تحقيق النصوص التراثية، واستقرارها، وهو ما يمكن معه الإسهام في استقرار هذا الجهاز الاصطلاحي، وتطويره، ورصد الفروق الدلالية بين الاستعمالات المختلفة لبعض المصطلحات في تنزيلها على النصوص العربية، أو الأعجمية المخطوطة بالحرف العربي.

ثالثاً: فهرسة المخطوطات (البليوجرافيا):

تتضمن فصول هذا الكتاب عدداً من المسائل العلمية المتعلقة بفهرسة المخطوطات الموريسكية، وقد جاء بحث: (المخطوطات الأعجمية - الموريسكية: اكتشافات ومجموعات، وقوائم وبيانات أخرى (ص ص ٩١ - ١٥٣) أطول بحوث الكتاب.

وقد تضمن عدداً من المسائل المنتمية لبليوجرافيا المخطوط الموريسكي، من مثل:

أ. وصف لمحتويات عدد من المكتبات الإسبانية من المخطوطات الأعجمية - الموريسكية المكتوبة بالحرف العربي، وهذه المكتبات هي:

- المكتبة الوطنية بإسبانيا (مدريد).
- الأكاديمية الملكية للتاريخ (مدريد).
- مكتبة "توماس زابار وتوماس" (مدريد).
- المكتبة الملكية = مكتبة جلالة الملك الخاصة = مكتبة القصر (مدريد).
- مكتبة الإسكوريال الملكي (مدريد).
- مكتبة "كاستييا لامانشا" (طليطلة).
- الأرشيف الأسقفي (كوينكا).
- ورثة السيد "إيسيدرو دي لاس كاخيغاس".
- اكتشاف "أوكانيا" (طليطلة).
- الأرشيف الكنسي لكاتدرائية "ديل بيلاء" (سرقسطة).
- المدارس الدينية (سرقسطة).
- مكتبة جامعة سرقسطة.
- أرشيف البروتوكولات القانونية (سرقسطة).
- أرشيف محاكم "أراغون" (سرقسطة).
- الاكتشافات الحديثة والمجموعات الخاصة (أراغون).
- مكتبة كاتالونيا (برشلونة).
- مكتبة جامعة برشلونة.
- الأرشيف التاريخي لمدينة برشلونة.
- معهد الدراسات الليريدية (مدينة ليريدا).
- المكتبة العامة (مدينة ليريدا).
- اكتشاف بلدية (أسكو)، بإقليم "تاراغونا".
- المكتبة الوطنية الفرنسية (باريس).

- مكتبة ميجان (منطقة أكس أون بروفونس).
- المكتبة البريطانية (لندن).
- مكتبة جامعة كمبردج.
- جامعة وادهام (أكسفورد).
- مكتبة جامعة "أوبسالا" (السويد).
- مكتبة جامعة بولونيا (إيطاليا).
- مكتبة كازانيننس (روما).
- المكتبة الرسولية بالفاتيكان (روما).
- المكتبة الوطنية المركزية (فلورينسيا).
- مكتبة برجر (برن).
- المكتبة الوطنية بهالطا.
- المكتبة الوطنية بالجزائر.
- مكتبة فيشر جامعة سيدني (أستراليا).
- الأرشيف الوطني العام (المكسيك).
- المكتبة الوطنية (قطر).

ب. القائمة الطويلة للمخطوطات الموريسكية المؤرخة، ومصطلح "المخطوطات المؤرخة" أوسع دلالة من الدلالة المعروفة للمصطلح، فالمصطلح في هذا الكتاب مستعمل ليدل على ما يلي:

- المخطوط المؤرخ نصياً في حرده بعبارة واضحة؛ كنوع الخط، أو الخبر، أو لغته القديمة، أو نمط تجليده، أو معلومات حول ناسخه، أو نوع ورقه، أو حجمه؛ إلخ.
- وقد استطعت تحصيل هذا التصور من ملاحظة النهر الذي خصصه أنطونيو بيسيرتينو رودر يغيث في بحثه: مقارنة نحو تأريخ المخطوطات الأعجمية الموريسكية (ص ص ١٦٠ -

(٢٠١)، وضم (٢١٠) مخطوطة (لمعلومات حول التاريخ المحتمل للمخطوط)، وهو النهر الأخير في الجدول المصمم للقائمة.

ج. رءوس الموضوعات، وهو أحد المعايير الحاكمة في قراءة موضوعات النصوص، وتصنيفها بحسب المجالات والفنون، وهو ما نلاحظه من النهر الخاص بموضوع النصوص في قائمة المخطوطات الأعجمية التي صنعها البحث المشار إليه في الفقرة (ب) هنا: (مقاربة نحو تاريخ المخطوطات الموريسكية).

رابعاً: خريطة الأفكار السائدة بين الموريسكيين (الفيلولوجيا):

ينتمي هذا الكتاب - بحكم ما تضمنه من رصد بموضوعات النصوص التي احتفظت بها المخطوطات الموريسكية في عدد من بحوث هذا الكتاب - إلى مجال تاريخ الأفكار السائدة بين الموريسكيين، وهو بعض المعنى المتداول لميدان الفيلولوجيا؛ بما هو علم يعنى بأفكار النصوص القديمة، وطبيعة العقول التي أنجزتها.

وتحليل رءوس الموضوعات التي وردت لنصوص المخطوطات في هذا الكتاب عن مدى المحنة والأزمة التي عاشا الموريسكي في إسبانيا أو خارجها، وهي المحنة التي شكلت ارتباطه بعدد من الموضوعات على وجه التعيين، ورأى فيها نوعاً من تحقق الذات، ومثلت له نوعاً من أشكال النجاة النفسية على الأقل.

وقد جاءت الموضوعات الأكثر انتشاراً كما يلي:

أ. النصوص الدينية المتنوعة (ترجمات القرآن، والسنة، والفقه).

ب. أدب الجدل، وأدب الدفاع عن الدين في مواجهة أصحاب الملل الأخرى.

ج. الأخلاق والمواعظ، والأدعية.

د. القصص الديني.

هـ. خطابات ورسائل خاصة.

ومن ثم ذلك يتضح حجم التمرکز حول الذات، وهو نمط من أنماط المواجهة في ظل العسف والقهر والاضطهاد الذي مارسته الحكومات المسيحية ضد المسلمين الذي أجبروا على تغيير دينهم!

١ / ٢ / ٢ حقل الدراسات التاريخية والحضارية:

يصح أن نرى في هذا الكتاب عوامل تدرجه ضمن حقل الدراسات التاريخية بمعناها الواسع، التقليدي والجديد معاً؛ ففي بحوثه مسائل مهمة جداً تنضوي تحت التاريخ، ومن ذلك:

أ. مسائل تتعلق بمدى حياة الموريسكي في شبه الجزيرة الإيبيرية، وخارجها بعد تهجيرها إلى المغرب وشمال إفريقيا.

ب. مسائل تتعلق بتاريخ العلاقات بين المشرق والمغرب، وبينها وبين إسبانيا من خلال الموريسكيين؛ مما تعرضوا له من محن، واضطهادات، وما أحيوه، واقتبسوه من آداب المشاركة، وفنونهم، وأنساق التأليف عندهم، وطرائق تجليد المخطوطات، وغيرها من مسائل التاريخ الجديد.

ت. مسائل تاريخية مهمة، تتعلق بأوضاع الموريسكيين، وما كان يشكون منه، وأشكال الاضطهادات التي تعرضوا لها في الداخل الإسباني والخارج المغربي.

ث. مسائل تتعلق بالأبعاد التاريخية لنمو الأفكار والتصورات الخرافية في الكتابات الموريسكية بصورة كبيرة.

هد. مسائل تمنح تفسيرات تاريخية لنمو مجموعة من الكتابات والقصص التي تعلي من قيم الصبر، والتحمل، ومواجهة الابتلاءات، ومقاومة المحن!

و. مسائل تضيء تاريخ الحياة الاقتصادية للموريسكيين، من خلال تحليل حجوم الورق المستعملة في المخطوطات، وشيوع حجم الثمن في كثير من المخطوطات الموريسكية المحفوظة في مكتبات العالم المختلفة، وشيوع استعمال الورق، وغياب استعمال الرقوق دليل إضافي على تدهور الوضع الاقتصادي للموريسكيين كذلك؛ يقول (ص / ٢١٠): "إن الأكثر شيوعاً فيها (أي من المخطوطات) من قطع الثمن inoctaro، وقطع الربع in quarto".

ز. مسائل تتعلق بتاريخ حفظ المخطوطات من النصارى الحكام، وتاريخ نقلها للمغرب عند التهجير.

ح. مسائل تتعلق بتاريخ تجارة المخطوطات الموريسكية، ووصولها للمكتبات المختلفة في عدد من بلدان العالم.

ط. مسائل تعين على دراسة تاريخ الأفكار المتداولة في التجمعات الموريسكية. صحيح أن هذه المسائل في مجملها تنتمي إلى ما يسمى في العصر الراهن باسم الكتابة التاريخية الجديدة، التي تتمايز - بصورة نسبية - عن موضوعات الكتابة التاريخية التقليدية (الكلاسيكية)، لكن ذلك لا يعني التجاوز أو الشطط في تقدير قيمة هذا الكتاب، وتقدير الرأي القاضي بانتهاؤه إلى حقل الدراسات التاريخية.

١ / ٢ / ٣ حقل الدراسات الاجتماعية والثقافية:

إن من أظهر الحقول المعرفية التي يمكن أن يخدمها هذا الكتاب - بوصفه مصدرًا من مصادر دراسة المجتمع الموريسكي - هو حقل علم الاجتماع في غير اختصاص فرعي، ومن ثم فإن هذا الكتاب يمكن أن ينتمي إلى هذا الحقل المعرفي، ومما يمكن استشهاده مما ورد فيه من المعلومات ما يلي:

أ. خدمة بحوث طبيعة الحياة الاجتماعية التي فرضت على الموريسكيين بعد التغلب على حكم المسلمين في الأندلس، وخضوعها للحكم المسيحي الذي اضطهد المسلمين وعذبهم، وهجرهم، وطرائق مواجهة هذه الضغوط، ومقاومة هذه الاضطهادات.

ب. خدمة بحوث التخفي بالعبادات والطقوس، وتوريث منظومة التقاليد الإسلامية من جيل إلى جيل آخر.

ج. خدمة بحوث الحياة الاقتصادية المتدهورة، وانعكاساتها الاجتماعية على جوانب الحياة المختلفة في الطعام والشراب والزواج والتعليم والصناعات المختلفة.

د. خدمة بحوث العلاقات المجتمعية بين الموريسكيين وغيرهم من طوائف المجتمع الإسباني بعد تغلب المسيحيين.

هـ. خدمة بحوث الحياة الاجتماعية الخاصة، وانعكاساتها على الأحوال الشخصية وأنواع الملابس، والأطعمة، وتسميات المواليد، وأنماط الزيارات العائلية، وضوابط الاجتماع واللقيا؛ إلخ.

١ / ٢ / ٤ حقل الدراسات اللسانية:

في عدد من بحوث هذا الكتاب تظهر عناية كبيرة بعدد من المسائل العلمية التي تنتمي إلى حقل الدراسات اللغوية / أو اللسانية، على مستويين، هما:

أولاً: المستوى الأصيل، وأقصد به انتهاء الكتاب بوصفه مصدرًا أصيلاً لدراسة عدد من القضايا اللسانية الخاصة بلغة الموريسكيين، والتحويلات التي أصابت أبنيتها الصرفية، والمعجمية، على وجه التعيين.

ثانياً: المستوى التابع، بمعنى انتهاء الكتاب بوصفه مصدرًا مساعدًا في دراسة عدد من القضايا اللسانية الخاصة بلغة الموريسكيين، تعين على دعم الدراسات التاريخية والاجتماعية والحضارية والثقافية.

ومما جاء في هذا الكتاب من المسائل التي يمكن استثمارها في تطوير البحوث اللسانية الموريسكية من جانب، والتدليل على انتهاء هذا الكتاب المعرفي إلى حقل اللسانيات من جانب آخر، ما يلي:

أ. مسائل التحول الصوتي والدلالي لكثير من كلمات اللغة الإسبانية التي احتفظت بها معاجمها؛ يقول (ص / ١٩): "إن الدراسة المعجمية للنصوص الأعجمية - الموريسكية مهمة أيضًا؛ حيث يمكن أن تؤدي إلى توضيح وصقل معنى صوت قشتالي، وإلى فهم التطور الصوتي والدلالي، وكذلك بعض المشكلات الهجائية".

ب. خدمة الدراسات المعجمية في العربية، والإسبانية والرومانشية.

ج. خدمة الدراسات التقابلية اللسانية بين العربية ومجموعة لغات شبه الجزيرة الإيبيرية؛ ذلك أن الموريسكيين كانوا استعملوا عددًا من اللغات في إسبانيا، هي: (ص ٨٢٥): "اللغة العربية بحروف عربية / والرومانشية بحروف عربية (الأعجمية) / اللغة الرومانشية بحروف لاتينية / اللغة العربية بحروف لاتينية.

د. دعم دراسات تأثير الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي للموريسكيين على الوضع اللغوي لهم.

- و. خدمة دراسات الإيتمولولوجيا أو دراسات تأثيل الكلمات في الإسبانية، والرومانشية، والعربية المعاصرة مما جاء من أوروبا من طريق إسبانيا بطريق سياحة الألفاظ.
- ز. دعم دراسات العلم اللغوي، وما لحقه من تحولات صوتية ودلالية.
- ح. دعم دراسات الخطاطة، أو علم اللغة الكتابي، وما حدث للكتابة العربية عند كتابتها بحروف لاتينية، والعكس.

إن فحص مادة بحوث هذا الكتاب يكشف عن انتهاء أصيل لحقل الدراسات اللسانية بصورة فائقة، ومن الممكن أن يمثل نقطة انطلاق حقيقية لتطوير الدراسات اللسانية التقابلية بين العربية والإسبانية، ودعم دراسات تاريخ اللغة العربية في عصور ضياع الأندلس؛ اعتماداً على النصوص الأعجمية المكتوبة، أو اعتماداً على النصوص العربية المكتوبة بحروف غير عربية.

١ / ٢ / ٥ حقل الدراسات الأدبية:

إن كثيراً من بحوث هذا الكتاب تدرجه في مصادر دراسة الأدب العربي في مرحلة ما بعد سقوط الأندلس في إسبانيا والمغرب.

لقد ضم الكتاب عدداً من المعلومات التي تجعله مصدرًا مهمًا من مصادر التأريخ لأدب هذه المرحلة، ومصدرًا مساعدًا لدراسات نظرية الأدب فيما يتعلق بأنواع النصوص المتداولة وأجناسها الأدبية، ومن ذلك:

أ. ما ورد من تصنيف الموضوعات في بحث الأعجمية كنصوص إسلامية، (ص ص ٧٣-٧٥)؛ حيث أشار إلى الأجناس والأنواع الأدبية التالية:

- الخطب.
- أدب الزهد والأخلاق.
- قصص أخلاقي.
- قصص أفرسي (= أدب معراج).
- أدب رحلات.
- نصوص المناجاة والأدعية.

- أدب الجدل والدفاع عن الدين الإسلامي .

- أدب الرسائل .

ب. ما ورد من آراء حول انتشار هذه الأنواع من النصوص الأدبية والفنية وعلاقتها بوضع الموريسكيين الاجتماعي والسياسي، والارتباط العاطفي بالدين في ظل أوضاع الضغط والقهر التي مورست ضدهم من قبل القوى المسيحية التي تغلبت على الحكومات الإسلامية في الجزيرة الإيبيرية .

ج. دعم دراسات الأدب المقارن بين الأدب العربي (الموريسكي) والأدب العربي في المشرق، ودراسات الأدب المقارن بين الأدب الموريسكي والإسباني، وامتداد تأثيره في الأدب الإسباني فيما بعد تهجير المسلمين من شبه الجزيرة الإيبيرية .

إن هذه الحقول المعرفية، هي أظهر الانتماءات المعرفية التي يمكن القول - باطمئنان معها - إن كتاب: التراث الموريسكي المخطوط ينتمي إليها، وبإمكان المشتغلين بها في الثقافة العربية المعاصرة أن يعتمدوه مصدرًا أصيلاً أو مصدرًا مساعدًا في تطوير بحوث هذه الميادين والمجالات والقضايا المختلفة المنضوية تحتها جميعًا .

٣ / ١ قيمة كتاب التراث الموريسكي المخطوط:

إن تحليل كتاب التراث الموريسكي المخطوط - بقصد تحصيل قيمته - يقودنا إلى تعيين محددات قيمته، كما يلي:

أولاً: يمثل هذا الكتاب وسيطاً فريداً؛ بما نقله من بحوث عن الإسبانية، لباحثين مرموقين مختصين بالبحث الموريسكي في جامعات أوروبا وأميركا اللاتينية .

ثم هو يمثل وسيطاً مباشراً؛ إذ إن بحوثه مترجمة عن اللغة الإسبانية، التي تمثل أقرب المصادر اللسانية التي احتكت بالعالم الموريسكي .

وقضية الوسيط المعرفي هذه مهمة جداً في قياس قيمة هذا الكتاب وتقديرها، في ظل عدم إنتاج معرفة عربية معاصرة في هذا الباب العلمي المتعلق بالمسلمين الذين فرض عليهم التنصير في بلادهم، ثم فرض عليهم التهجير فيما بعد منها!

ثانيًا: إن بعض قيمة هذا الكتاب واردة من تنوع الاهتمامات التي يخدمها في داخل الحقل المعرفي الموسع، المتعلق بالتراث الموريسكي؛ ففي بحوثه ما يخدم اللغة العربية وتأثيرها في غيرها، وفيه ما يخدم دراسة اللغة الأعجمية، وفيه ما يخدم الكوديكولوجيا، أو الخصائص المادية للأوعية - التي هي المخطوطات الموريسكية - وغير ذلك من الحقول المعرفية الفرعية التي سبق أن عاجلنا طرفًا منها في محور: انتهاء الكتاب المعرفي.

ثالثًا: إن بعض قيمة الكتاب - كذلك - ظاهرة من تنوع الباحثين أصحاب البحوث التي يجمعها بين دفتيه، وتنوع الجامعات والأكاديميات في إسبانيا وغيرها من البلدان، وهو الأمر الذي يمنح القارئ شعورًا حقيقيًا بخطورة بحوث هذا المجال؛ بسبب من تنبه كل هذه الأكاديميات إلى دراسة حقوله المعرفية الفرعية.

رابعًا: ومن مظهر تقدير قيمة هذا الكتاب أيضًا التمدد الزمني لإنجاز بحوثه في لغتها الأصلية؛ إذ تتوزع بحوث هذا الكتاب على نحو نصف قرن، وفيما يلي سنوات إنجاز كل واحد منها:

- أ. البحث الثاني = ١٩٧٠م (ملاحح دراسة النصوص الأعجمية).
- ب. البحث الخامس = ١٩٨٨م (مقاربة نحو تأريخ المخطوطات الموريسكية).
- ج. البحث الأول = ٢٠٠٠م (اللغة الأعجمية وآدابها: نحو بديل إسلامي).
- د. البحث السادس = ٢٠٠٩م (الملاحح الكوديكولوجية في المخطوطات العربية).
- هـ. البحث الثالث والرابع = ٢٠١٠م (المخطوطات الأعجمية لنصوص إسلامية/المخطوطات الأعجمية الموريسكية).

خامسًا: وما يرقى بقيمة الكتاب ضمه لمجموعة من اللوحات والصور لنماذج من المخطوطات الموريسكية الأعجمية المكتوبة بالحروف العربية، وهي مادة مهمة - على قلتها - لدراسة عدد من القيم التي تمتع بها المخطوط الموريسكي، على مستوى الكتابة والخط، والألوان المستعملة، وتنسيق النصوص، ولاسيما في المخطوطات المترجمة، وجماليات مخطوطات المصاحف؛ إلخ من المسائل العلمية التي لا يمكن دراستها من غير متابعة فاحصة لعدد من النماذج المصورة.

٢. كتاب (التراث الموريسكي المخطوط): مقالة في خطاب المصادر والتوثيق:

(٢ / ١) تمثل دراسة خطاب المصادر في بحوث المراجعات العلمية أهمية كبيرة؛ لاعتبارات متعددة تتعلق بتقدير قيمة الكتاب - مشغلة المراجعة - من جانب، وتتعلق بقياس موقعه على خريطة بحوث المجال المعرفي الذي يخدمه ببحوثه التي يتضمنها من جانب آخر.

إن تحليل الاستشهادات المرجعية في هامش صفحات كل بحث، يكشف عن كثير من الملاحظات المهمة في هذا السياق، يمكن رصدها فيما يلي:

أولاً: التنوع اللغوي الذي كتبت به مصادر بحوث هذا الكتاب؛ فقد توزعت لغات مصادره - كما تعكسها الهوامش - على اللغات التالية:

أ. الإسبانية: وهي اللغة المركزية التي احتلت المرتبة العليا في هذا السياق (انظر: ه/ ص ١٨؛ ٢هـ / ص ٢٣؛ ١هـ / ص ٤٨؛ ٢هـ / ص ٧٧ / ٣هـ / ص ١٢٢؛ هـ / ص ١٥٣؛ هـ / ص ٢٠٩)؛ وغير ذلك من المواضيع الكثيرة.

ب. اللغة الألمانية: (انظر: هـ / ص ٤٤؛ ٣هـ / ص ٥٠؛ هـ / ص ٥٤؛ هـ / ص ٥٥؛ ٣هـ / ص ٥٧)؛ وغيرها من المواضيع.

ج. اللغة الإنجليزية: (انظر: هـ / ص ١هـ / ص ٣٧؛ ٢هـ / ص ٥٧، هـ / ص ٥٩)؛ وغيرها من المواضيع.

د. اللغة العربية: وقد اختصت المصادر التي جاءت بهذه اللغة لمعالجة أمر التعليقات المترجم بالأساس (انظر: هـ / ص ٢هـ / ص ٨٥؛ ٣هـ / ص ١١٤)؛ وغيرها من المواضيع.

ثانياً: التنوع التصنيفي:

وفحص هذه المصادر يقود إلى الكشف عن مجموعة أخرى من الملاحظات المتعلقة بمنزلتها العلمية، وأصنافها المرجعية، كما يلي:

أ. مصادر أساسية تأسيسية في كثير من حقول الكتاب المعرفية الفرعية؛ فعلى مستوى مصادر المادة اللغوية نراه يعتمد كتاب وليم راتب في النحو العربي (انظر: هـ / ص ٥٧) وغيرها، وكتاب كارل بروكلمان عن النحو العربي كذلك (هـ / ص ٥٧)، وغيرها؛ وهما

كتابان تأسيسيان لدراسة النحو العربي في القارة الأوروبية لاثنين من أئمة الاستشراق في إنجلترا وألمانيا على التوالي.

ب. مصادر ذات وزن نسبي مرتفع؛ بسبب من نشرها في دوريات مختصة بفحص الشأن العلمي الموريسكي، وهذا النوع من المصادر والمراجع هو الغالب على هوامش هذا الكتاب؛ مما يعكس متابعة جيدة من أصحاب البحوث المتضمنة فيه لإنجازات المجال في الدوريات المختلفة (انظر: ١هـ / ص ٧٦، ٢هـ / ص ٧٧ / ١هـ / ص ٧٨)؛ وغير ذلك من المواضيع. وفحص أنواع الدوريات يكشف عن توزعها على الجامعات، والمعاهد العلمية المختصة بدراسة الآداب والتاريخ والفنون الإسبانية، أو الآداب والتاريخ واللغة الموريسكية بصورة خاصة، أو المختصة بدراسة التراث الأندلسي، وهذه المعاهد، والمختبرات موزعة على كثير من بلدان العالم، صحيح أن الكثير منها يقع في مدن إسبانيا، ولكن ذلك لا يعني غياب العواصم الأوروبية والأمريكية اللاتينية؛ فثمة دوريات تصدر في لندن وغيرها.

ثالثاً: التنوع في موضوعات المجال.

من ناحية أخرى، فإن تحليل مصادر هذا الكتاب من الناحية الموضوعية العلمية يكشف عن تنوع حقيقي في الحقول الفرعية المنضوية تحت الحقل المركزي الخاص بدراسة تراث الموريسكيين، وهي الحقول التي تظهر كما يلي:

- أ. مصادر خاصة باللغة الأعجمية (١هـ / ص ٤١).
- ب. مصادر خاصة باللغة العربية؛ نحوًا ومعجمًا (١هـ، ٢هـ / ص ٥٧).
- ج. مصادر خاصة بتاريخ الموريسكيين (١هـ / ص ١٥٦).
- د. مصادر خاصة بالتوزيع الجغرافي للموريسكيين (١هـ / ص ٣٠).
- هـ. مصادر خاصة بمخطوطاتهم، وقوائمها، وكتالوجاتها، وأدلتها (١هـ / ص ٢٢).
- و. مصادر خاصة بالآداب الموريسكية (١هـ / ص ٣٧).
- ز. مصادر خاصة بدراسة التأثير والتأثر بين العرب والموريسكيين (١هـ / ص ٣٢).

رابعاً: التمدد الزمني للمصادر:

وقد لوحظ أن مصادر بحوث هذا الكتاب ممتدة زمنياً بصورة تبعث على تقدير عمق مادته؛ فكثير من مصادره ترجع إلى نهايات القرن التاسع عشر الميلادي؛ ككتب وليم رايت وكارل بروكلمان، وأئمة البحث الموريسكي والأندلسي من العلماء الإسبان.

وهذا التمدد الزمني الطويل نسبياً للمصادر يمنح القارئ شعوراً بعراقة العناية بدراسات التراث الموريسكي.

(٢ / ٢) أما ما يتعلق بطريقة التوثيق، والتعامل مع المصادر، ومعلومات الهوامش، فقد جاءت على طريقتين كما يلي:

أولاً: تعامل مؤلفي البحوث مع مصادر بحوثهم.

ثانياً: تعامل المترجم مع مصادر تعليقاته على الترجمة.

(١ / ٢ / ٢)

جاء تعامل أصحاب البحوث مع مصادرهم في عمليات التوثيق، في صورة مطردة، يمكن تلخيصها كما يلي:

أ. البدء باسم المؤلف.

ب. ثم عنوان الكتاب.

ج. ثم بيانات أجزاء الكتاب.

د. ثم مكان الطبعة؛ المدينة، المطبعة.

هـ. ثم تاريخ الطبعة.

و. ثم المؤشر المكاني، أو موضع النقل من المصدر (الصفحة) أو الجزء والصفحة.

ويمكن لمراجعة ذلك والتأكيد منه، مراجعة المواضيع التالية:

(٥٧ / ص ٢هـ)، وغيره من المواضيع.

وهذا النمط من بناء الاستشهادات المرجعية يحقق عدداً من الوظائف المهمة جداً، هي:

أولاً: تحقيق الوثوقية للقارئ في المعلومات والحقائق والآراء والمسائل العلمية.

ثانياً: الإعانة على تحقيق الوظيفة المعرفية، بتمكين القارئ المختص من الوصول إلى طائفة كبيرة من المراجع الأصلية في المجالات المعرفية الفرعية كاملة البيانات عند إرادة ذلك.

ثالثاً: خدمة الوظيفة المعرفية كذلك، بإتاحة الفرصة لدراسة مدى العناية بمجال دراسة التراث الموريسكي، وتنوع مصادره، وعراقتها.

رابعاً: الإعانة على تصنيف المصادر، وأنواعها، ودرجات الموثوقية فيها، من خلال دراسة كثافة الاستشهادات المرجعية، وتكرارها في الهوامش.

خامساً: الإعانة على تقدير منازل المؤلفين والدراسين في حقل الدراسات الموريسكية.

سادساً: التمكين من معرفة الدرويات والمعاهد والمختبرات العلمية المعنية بدراسات التراث الموريسكي.

(٢/ ٢٠٢) أما معالجة المترجم لهوامش التعليق على ما يحتاج إلى تعليق من معلومات البحوث وحقائقها، فقد تضمنت ما يلي:

أ. تعليقات إضاءات وتنوير تحيط بالمصطلحات والمختصرات، من مثل تعريفه لمصطلح اللغة الرومانشية (ص ١٨ / ٢٥١٠) بقوله: "هي مرحلة من مراحل تطور اللغة الإسبانية من اللاتينية إلى اللغة الإسبانية القروسطية (نسبة إلى القرون الوسطى)" (المترجم). ومن مثل تعليقه على مصطلح: فيدا (ص ٢٩ / ٢٥٢) بقوله: "الكتاب المقدس للهندوس" (المترجم).

وقد لوحظ على هذه التعليقات التنويرية ما يلي:

أولاً: توثيق نسبتها إلى المترجم، بوضع المؤشر اللغوي الدال على ذلك، في صورة كلمة المترجم بين قوسين هلاليين، وهو أمر محمود وعلمي.

ثانياً: عدم توثيق هذه التعريفات من المراجع المختصة، وهو ما يفقدها قدرًا من الموثوقية، ويجرم قارئها من عدد من الوظائف الفرعية المرتبطة بالوظيفة المعرفية.

ب. تعليقات إضاءات وتنوير تحيط بالكتب التي ترجمت إلى العربية مما يختص بمجال الدراسات الموريسكية، ومن ذلك تعليقه على كتاب: دومينجيث أورتيث، وبرنارد فينسينت في (١٥ / ص ٢٤) قال: "قام بترجمة هذا الكتاب ... عبد العال صالح، انظر: دومينجيث

أورتيث، وبرنارد فينسينت، تاريخ الموريسكين؛ مأساة أقلية، ترجمة عبد العال صالح، مراجعة وتقديم: جمال عبد الرحمن، المشروع القومي للترجمة ١٠٢٦ (القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٧م) (المترجم). وقد اختلف الأمر هنا، فجاء بتعليقات وافية بالمعلومات والبيانات؛ مما يمنح القارئ الموثوقية، ويعين على تحقيق الوظائف المنبثقة من الوظيفة المعرفية.

ثالثاً: تعليقات وإضاءات تحيط بأعلام العلماء والأماكن، من مثل تعليقه على ذكر ابن عربي (ص ٣٥ / ٢٥٧) بقوله: "هو ابن عربي الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن محمد الطائي الحاتمي الرسي المتوفى سنة (٦٣٨هـ) (المترجم)".

وما قيل عن ملاحظات التعليق على إضاءة المصطلحات واقع هنا كذلك.

رابعاً: تعليقات وإضاءات تحيط بمسائل علمية جزئية وردت في بحوث الكتاب، من مثل:

- أ. إضاءات تاريخية، انظر: هـ / ص ٣٢.
- ب. إضاءات مرجعية تتعلق بتوثيق مسألة من مصادرها القديمة. انظر هـ / ص ٣٤.
- ج. إضاءات تتعلق بأنواع الأشعار. انظر: هـ / ٢ / ص ٣٨، هـ / ص ٣٩.
- د. إضاءات تتعلق ببعض أنواع التراكيب والعبارات. انظر: هـ / ٢ / ص ٤١.
- هـ. إضاءات تتعلق بتخريج بعض النصوص العربية، والإشارات إليها، ولاسيما الأحاديث والأمثال. (انظر: هـ / ١ / ص ٥٧).
- و. إضاءات تتعلق بتفسير بعض ما يراه غامضاً من نصوص فنون البحوث. انظر: هـ / ص ٧٤.
- ز. إضاءات تصحيحية لبعض معلومات فنون البحوث. انظر: هـ / ١ / ص ٨٠، هـ / ص ٨٣.

ومما يلاحظ على هذه التعليقات:

أولاً: غياب المراجع التوثيقية؛ مما ينال من درجة الموثوقية فيما لدى مستعمل الكتاب من العرب.

ثانيًا: ظهور نوع من الدقة المحمودة في استعمالات عبارة الإقصاء أو عدم الحسم تقديرًا لنتائج البحوث، وهو ما يظهر عند تقديم تفاسير لبعض عبارات البحوث؛ بقصد شرحها وبيان المقصود منها، ومن ذلك مثلاً قوله (هـ / ١ ص ٧٤) بذكر المتن: "نقد داخلي"، فيعلق: لعل صاحب المقال يقصد منه "الجرح والتعديل" (المترجم). وبعيدًا عن الرأي في هذا التفسير غير الدقيق، فإن افتتاح التعليق بكلمة "لعل" أمر جيد من المترجم الكريم!

٣. كتاب (التراث الموريسكي المخطوط): مقالة في الوظائف وآفاق الاستثمار:

إن تحليل مادة بحوث هذا الكتاب تفتح الباب أمام توظيفه المعاصر في عدد من المسارات، يمكن إجمالها فيما يلي:

أولًا: الوظيفة المعرفية، في تطوير بحوث دراسات التراث الموريسكي المختلفة، والموزعة على الحقول المعرفية الكثيرة التالية:

- أ. اللغة.
- ب. الآداب.
- ج. التاريخ.
- د. الاجتماع.
- هـ. السياسية.
- و. الحضارة.
- ز. الكوديلوجيا (علم المخطوط).
- ح. أنساق التأليف.
- ط. البليوجرافيا.

ثانيًا: الوظيفة اللسانية، غالبها يتعلق بتأثيرات العربية في الإسبانية، والأعجمية، وبدراسة المخطوط العربية، وتطورها، واستجابتها لكتابة النصوص الأعجمية بها.

ثالثًا: الوظيفة التاريخية والسياسية، التي تشرح استجابات الموريسكيين للضغوط السياسية القاهرة التي وجهت إليهم، وتأثيرها في عدد من مجالات العلم والدين في حياتهم.

رابعا: الوظيفة الحضارية، التي تفسر ما نقله الموريسكيون من المسلمين، والمشاركة في مجالات كثيرة تتعلق بالتقاليد والصناعات.

ومراجعة ما كان في النقطة (١) هنا مما يتعلق بفحص الانتماء المعرفي لهذا الكتاب مفيدة مهمة في تحليل تفصيل هذه الوظائف المختلفة المنشودة.

٤. ملاحظات نقدية:

ثمة عدد من الملاحظات النقدية المهمة التي تستهدف تعظيم الفائدة من استعمال هذا الكتاب المهم، نجملها فيما يلي:

أولاً: غياب قوائم مصادر كل بحث ومراجعته.

ثانياً: غياب توثيق معلومات التعليقات المختلفة التي أثبتتها المترجم مشكوراً في هوامش الكتاب؛ بهدف إضاءة كثير من معلومات المتن.

ثالثاً: غياب بعض الملاحق المهمة، ومن ثم ضرورة صناعة ملحق بمصطلحات التراث الموريسكي في آخر هذه الترجمة مثلاً.

رابعا: غياب كشافات مهمة، من مثل: الأعلام، والأماكن، وغيرهما.

خامساً: حاجة عدد من التعليقات التي تفضل بها المترجم إلى المراجعة، ومن ذلك ما يلي:

هـ / ١ ص ٧٤: يعلق المترجم على تعبير النقد الداخلي، بما هو موضوع من موضوعات التأليف في الأدب الموريسكي، فيقول: "لعل صاحب المقال يقصد منه: "الجرح والتعديل"، والصواب أن تعبير (النقد الداخلي) يتوجه إلى: نقد المتن تعييناً لا نقد السند!

خاتمة:

استهدف هذا البحث صناعة مراجعة علمية نقدية لواحد من الكتب المهمة جداً في حقل دراسات التراث الموريسكي، وقد تضمنت هذه المعالجة فحص ما يلي:

١. مادة الكتاب، وانتمائه المعرفي، وقيمه الحضارية.

٢. مصادر الكتاب، ومنهج توثيق معلوماته، وحقائقه ومسائله، وتعليقات الترجمة إلى

العربية.

٣. تعيين عدد من الوظائف المتوقعة، وتعيين بعض آفاق استثمار الكتاب في الثقافة العربية المعاصرة، وفي المستقبل.

٤. جرد مجموعة من الملاحظات النقدية.

وقد كشفت هذه المراجعة عن مجموعة من النتائج، كما يلي:

أولاً: تعد الأهمية الكبرى لهذا الكتاب في الآفاق التي يمكن أن يفتحها لخدمة التراث الموريسكي في الثقافة العربية المعاصرة المستقبلية.

ثانياً: اتساع الحقول المعرفية الفرعية التي يخدمها ذلك الكتاب.

ثالثاً: كشف تحليل الكتاب عن عراقة العناية بالتراث الموريسكي في معاهد العلم ومختبراته في العالم الغربي.

رابعاً: كشف تحليل الكتاب عن التمدد المكاني لمعاهد العلم ومختبراته، والدوريات المعنية بدراسات التراث الموريسكي.

خامساً: كشف الكتاب عن الامتداد الزماني لمصادر الكتاب ومراجعته؛ بما يسمح بتقدير بحوث هذا الحقل.

سادساً: من المتوقع أن تسهم ترجمة هذا الكتاب في تطوير كثير من بحوث دراسة المخطوطات، وتوطين جهازها الاصطلاحي في اللسان العربي.

هذا بالإضافة إلى نتائج أخرى جزئية وردت في سياق معالجة مطالبه الفرعية.

المراجع:

١. المراجعات العلمية ودورها في تحول المعلومات إلى معرفة، ضمن دراسات عربية في المكتبات والمعلومات، ع ٢ سنة ١٩٩٨ م، مج ٣ (١ / ١).

٢. التراث الموريسكي المخطوط: (بحوث مترجمة عن الإسبانية)، ترجمة وتعليق: محمد محمد عبد السميع، تصدير: إسماعيل سراج الدين، وتقديم: مدحت عيسى، مركز المخطوطات، مكتبة الإسكندرية، ٢٠١٥ م.

٣ / ٣

لا نهائية القوائم من هوميروس حتى
جويس، لأمبرتو إيكو:
مراجعة علمية وقراءة في آفاق الاستثمار



مدخل: خطأ احتمالي!

هل أخطأ علماء المعجم عندما رأوا أن القوائم (the lists) تطورت بعد إضافة مجموعة أخرى من الوظائف في صورة معلومات شكلية ودلالية وتنظيمية لتصبح معجمات؟
وبتعبير آخر: هل أخطأ علماء المعجمية عندما نظروا إلى القوائم الجامعة للألفاظ تعييناً على أنها معجمات سقط أو خديج، لم يسمح لها الزمان، ولا العلم بأن تنضج كي تولد معجمات.

ربها!

إن كتاب الإيطالي المعاصر: أمبرتو إيكو / Umberto Eco: (لا نهائية القوائم: من هوميروس حتى جويس) أو "vertigine dellalista" يفتح الباب من جديد نحو مراجعة موقف المعجميين من القوائم، وتقديرها .. إنه يعيد هز الثقة في ما ظهر في دراسات تاريخ المعجم، وتطوره، وصدوره دارسو المعجمية باطمئنان بالغ، وصاغوه في القانون الذي تجاوز حدود الفرضية الذي يقرر: إن أصل المعجم كان قائمة سمحت للزمان أن يطورها، ويعيد تجميلها بما نهض بها، وغير من ملاحظها؛ لتكون معجماً، وربما موسوعة كذلك.

يقول إيكو في محاولة افتتاحية لإعادة التفكير الجاد في مراجعة القول في الموقف من تقدير القائمة (ص ٩): وربما اعتقدنا - لأول وهلة - أن الشكل شيء تختص به الثقافات الناضجة التي تعي العالم حولها، وتمتلك نظاماً محددًا.

" لكن القائمة على النقيض من ذلك، أمر ظهر لدى الثقافات البدائية التي تمتلك صورة غائمة عن الكون، واقتصر عملها على وضع قوائم بخواصه قدر ما تستطيع، من دون أن تحاول إقامة علاقة هرمية بين هذه الخواص".

ثم يقرر من جديد أن واحداً من أدلة عدم صدق هذه النظرة الهامشية للقوائم هو معاودة ظهورها في عصور زمنية يستحيل أن توصف بالبدائية، فيقول (ص ٢٠): " وقد ظهرت القائمة من جديد في العصور الوسطى، حين زعمت المختصرات اللاهوتية والموسوعات تقديم شكل تعريفي للكون الروحي والمادي، وكذلك في عصر النهضة والعصر البازوكي؛ حيث تبدى شكل العالم من علم الفلك الجديد، وظهرت القائمة بصورة خاصة في عالم الحداثة وما بعدها؛ مما يؤشر إلى أنها مواضيع لقوائم لا متناهية؛ وذلك لأسباب مختلفة ومتعددة".

ولهذا كله فإن السؤال الافتتاحي هنا يصبح مقبولاً جداً، ويصبح اطمئنان المعجميين في نظرهم للقوائم - بما هي مواليد من نوع السقط - سلوگًا مغرورًا إلى حد كبير.

(١) لا نهائية القوائم: المادة والانتماء المعرفي:

كتاب لا نهائية القوائم: من هوميروس حتى جويس، لأمبرتوايكو، وترجمة ناصر مصطفى أبو الهيجاء، ومراجعة الدكتور أحمد خريس، صدرت طبعته الأولى عن هيئة (أبو ظبي) للسياحة والثقافة، (كلمة) سنة ١٣٤٣هـ = ٢٠١٣م.

(١ / ١) وقد تضمن هذا الكتاب مقدمة وواحدًا وعشرين فصلاً، كما يلي:

- ١- الترس وشكله / ٢. القائمة والكتلوج / ٣. القائمة البصرية / ٤. ما لا يوصف /
٥. قوائم الأشياء / ٦. قوائم الأماكن / ٧. قوائم وقوائم / ٨. التبادلية بين القائمة والشكل /
٩. بلاغيات التعداد / ١٠. قوائم العجائب / ١١. المجموعات والكنوز /
١٢. غرفة العجائب / ١٣. التعريف عبر قائمة الخواص مقابل التعريف عبر الجوهر / ١٤.
- التلسكوب الأرضي / ١٥. الإفراط في رابليه فصاعداً / ١٦. الإفراط المترابط /
١٧. التعداد الفوضوي / ١٨. قوائم الإعلام / ١٩. القوائم اللانهائية / ٢٠. التبادلات بين القوائم الشعرية والعملية / ٢١. القائمة غير الطبيعية.

يفتح إيكو كتابه مقررًا أن كتابه هذا جاء استجابة لدعوة تلقاها من إدارة متحف اللوفر؛ ليشترك في فعاليات ثقافية وفنية في نوفمبر ٢٠٠٩م، وتركت له تعيين الموضوع واختياره؛ يقول (ص ٩): "حين دعنتني إدارة اللوفر كي أنظم - طوال شهر نوفمبر من عام ٢٠٠٩م - سلسلة من المؤتمرات، والمعارض، وجلسات القراءة للجمهور والحفلات الموسيقية، وعروض الأفلام، وغيرها من الفاعليات المشابهة التي تختص بموضوع أختاره بنفسه = فإني لم أتردد لحظة، وتقدمت من فوري بموضوع "القائمة"، (و) سنتناول موضوعي: الكتابات والتعداد أيضًا!"

(٢ / ١) وهذا الكتاب بهادته وتصميمه وإخراجه والحافز الذي حفز إليه صالح لأن ينتمي إلى مجموعة من الانتماءات المعرفية بتحكيم هذه المعايير، مضافاً إليها مجموعة أخرى من المعايير، من مثل: الوظيفة أيضًا.

وفي ما يلي محاولة بيان بعض من هذه الانتماءات المعرفية التي تعين القارئ أو المستعمل العربي على استثماره المعاصر:

أولاً: البحث المعجمي والمراجع:

استقر النظر - وما زال في بعض الأدبيات - إلى القوائم على أنها أعمال معجمية غير ناضجة، وهذا النظر يحملنا على إدراج هذا الكتاب ضمن دراسات البحث المعجمي، وهو ما يمكن أن يطور هذه النظرة.

إن كتاب لا نهائية القوائم يعيد الاعتبار والتقدير للقوائم، ويعدّها أعمالاً مستقلة توازي الأعمال المعجمية الناضجة، وأنها تنهض بعدد من الوظائف والمقاصد المستقلة عما تنهض به المعاجم الكاملة.

إن هذا الكتاب يوشك أن يتحول بالقائمة لتكون عملاً مرجعياً متميزاً عن المعاجم والموسوعات؛ ومن ثم فإن عناية أمبرتو إيكو بالقوائم ربما فتحت الباب أمام إدراجها ضمن المراجع؛ لاعتبارات كثيرة متوافرة، يمكن إجمالها في:

أ. القوائم مفاتيح معرفية.

ب- القوائم أوعية معلومات.

ج- القوائم مدونة متنوعة الاستعمال؛ علمياً وفنياً.

إن العنصرين الأول والثاني (أ، ب) هنا شائعان في دراسة المراجع عند المعاصرين، كما يقرر الدكتور عبد الستار الحلوجي والدكتورة منى شاکر عبد اللطيف [مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م، ص ظهر الكتاب].

وما يعكس هذا الانتماء ممتد في الكتاب كله؛ إذ توقف إيكو أمام عدد كبير من أنواع القوائم، وفحص محتوياتها، ولاسيما وهو يستدعي في تحليل عدد منها معطيات نظرية المجموعات، على ما يظهر مثلاً من تحليله لقائمة بورخس (ص ٤٦٣) الخاصة بالحيوانات.

ثانياً: الأدب وتاريخ الأدب:

ينتمي هذا الكتاب إلى الأدب بمعناه الضيق الدائر حول الإبداع الشعري والنثري؛ حيث كان الحافز الأساسي وراء تفكير إيكو في تصنيف هذا الكتاب هو ذلك التوظيف من جانب جنس الرواية تعيناً للقوائم على امتداد الزمان، يقول إيكو (ص ٩): "إذا قبض (لامرئ) قراءة رواياتي فإنه سيجدها تغص بالقوائم، وقد تمثلت أصول هذا الولع في مادتين درستهما شاباً، وهما: النصوص القروسطية، وأعمال جيمي جويس ... وبينما كان هذا الأمر واضحاً وضوحاً كبيراً لدي - فإني لم أضع على عاتقي قط الاضطلاع لإعداد سفر يضم بين دفتيه الحالات غير المتناهية التي يقدم تاريخ الأدب أمثلة عليها، بدءاً من هوميروس، ومروراً بجويس، وانتهاء بوقتنا الحاضر".

إن هذا الاعتراف بالولع الكامن خلف إنجاز إيكو مرتكز على ما يلي:

أ- نماذج القوائم المستثمرة في أعماله الروائية المختلفة.

ب- ما لاحظته من استثمار النصوص الإبداعية القصصية والروائية المتواصلة من القرون الوسطى حتى العصر الحديث، لمجموعات من القوائم المتنوعة الوظيفة بطرق فنية.

ج- تتبع التاريخي لأنواع القوائم المستثمرة في الأعمال الأدبية في تاريخ الآداب من زمان الإغريق إلى الوقت الراهن.

وهذه المرتكزات الثلاثة التي تلوح من وراء ستائر تحليل هذه الفقرة المنقولة من مقدمة:

لا نهائية القوائم لا يكو، تصنفه ضمن كتابات الأدب وتاريخه بامتياز.

ثالثاً: السيميائية (علم العلامات):

إن بناء كتاب إيكو (لا نهائية القوائم) على اللوحات والرسوم بشكل تأسيسي يدرجه ضمن كتابات السيميائية؛ ذلك أن هذه القوائم البصرية واللوحات الفنية تتجاوز الحدود الضيقة لكي تكون علامات ذات دلالات متنوعة، تعتمد في تحليلها على السياقات الزمنية والتاريخية والاجتماعية.

إن هذا الكتاب - بما ضمه من لوحات وقوائم بصرية - يعد مدخلاً لفهم النظام الكوني في الغرب؛ ذلك أن السيميولوجيا هي علم الإشارة الدالة، مهما كان نوعها وأصلها، وهذا يعني أن النظام الكوني - بكل ما فيه من إشارات ورموز - هو نظام ذو دلالة على حد تعبير الدكتور مازن الوعر في تقديمه لكتاب بيير جيرو: علم الإشارة السيميولوجيا [ترجمة الدكتور منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سنة ١٩٨٨م (ص ٩)].

ومن ثم فإن ما ضمه الكتاب من رموز موزعة على تاريخ ممتد، وما جاء حولها من تحليلات، يمثل مقدمة - بصورة من الصور - لدراسة الحياة الأوربية من منظور سيميائي.

رابعاً: تاريخ أوروبا الثقافي:

إن هذا الكتاب بما ضمه مما يلي:

أ- عشرات اللوحات وتحليلها.

ب- عشرات القوائم وتحليلها.

ج- عشرات النماذج الأدبية والروائية والشعرية الأوربية التي استثمرت عددًا كبيرًا من القوائم، يمكن أن يكون مقدمة لقراءة تاريخ أوروبا الثقافي.

إن كثيرًا من هذه اللوحات التي ألحقها إيكو بكتابه تمثل تصويرًا فنيًا بديعًا من جانب، لكنها تصوير لرؤية الإنسان في القارة العجوز للوجود والكون والحياة والأحياء، ما يجعل هذا الكتاب - بما ضمه مما أخبرتك به - مدخلاً حقيقياً لتاريخ العقل الأوربي.

لقد ضم هذا الكتاب نظرة الأوربي للحياة، وللأباطيل، وللمدرسة، وليوم القيامة (الدينونة)، والحياة البحرية وللعلويات، وللسوق، والعالم بقاراته المختلفة في التصور الجغرافي القديم، وخرائطه، وحيواناته، وتصويراته للحياة الدينية، وللمقدسات، والطقوس،

وتاريخ الأنبياء، وأنسابهم، وللطوفان، وللمواد المعروفة في التصنيف للعناصر الكيميائية؛ إلخ، كل ذلك من خلال مجموعة ضخمة من اللوحات الفنية التي تصور نظرة الأوربي للحياة والوجود والكون معاً على امتداد تاريخ هذا الإنسان فوق هذه الأرض.

وليس من مسوغ لانتفاخ هذه القراءة على العالم؛ ذلك أن إيكو حدد النطاق المكاني لدراسته بالقارة العجوز = أوربا، وهو التعيين الوارد من العنوان الجانبي للكتاب: (من هوميروس حتى جويس)، وهما شاعران أو أدبيان بالمعنى المتسع للشعرية والأدبية في تاريخ أوربا، وهما علامتان تضمان - في الفترات الواقعة بينهما - أجيالاً عظيمة من المؤرخين والفنانين والكتاب والشعراء والقصاصين والروائيين والمسرحيين، وغيرهم.

خامساً: بلاغة الصورة:

صح أن هذه الكتاب - بما ضمه من لوحات، ورسومات - كنز ضخم للعلامات المرئية، غير اللغوية visual sign، وهي كيانات تشكلها عناصر ثلاثة، هي:

أ- الدال (الصورة المادية).

ب- المدلول (المفهوم من الصورة).

ج- المرجع (العائد عليه الصورة في الواقع الخارجي).

على حد تعبير كتاب (بحث في العلاقة المرئية: من أجل بلاغة الصورة) [لمجموعة (فرانسيس إدلين، وجان ماري كلينكنبرغ، وفيليب مانغيه) ترجمة: د. سمر محمد سعد، ومراجعة خالد ميلاد، ص ٥٦٨].

وعلم بلاغة التواصل المرئي: "تأسيس نظري يرمي إلى كيفية اشتغال المنظومات البلاغية داخل السيميائية، وإلى أي مدى يمكن تطبيقها على الإيقوني والتشكيلي"، كما تقرر مجموعة مو (ص ٥٥٦).

وفي هذا الكتاب كنز من الصور الإيقونية والتشكيلية، تمثل مادة خام وتأسيسية عميقة في بلاغة التواصل المرئي في الثقافة الأوربية على امتداد تاريخها من الحضارة الإغريقية حتى الحضارة الحديثة.

سادسًا: البليوجرافيا المصورة:

يعقد إيكو الفصل الثاني: القائمة والكتالوج (ص ١٧ - ٤٠)، وهو إذ فعل يدخل بنا مباشرة إلى التفريق بين:

أ- القائمة اللفظية (list).

ب- القائمة المصورة (catalog).

وإيكو يقرر أن الكتالوج يقوم بعملية تمثيل للوجود من طريق نمط تمثل فيه الصور والرسومات المركز والمحور الأساسي.

وهذا الكتاب يمثل نموذجًا ممتازًا لدراسة في البليوجرافيا التحليلية للمنجز الأوربي، من خلال تحليل هذه القوائم المصورة أو الكتالوج الضخم.

سابعًا: تاريخ الفن في أوربا:

يقول إيكو في (ص ١٧): مهما يكن من أمر فثمة أنموذج آخر من التمثيل الفني؛ وأعني بذلك أننا حين لا نعرف حدود ما نأمل في تصوير، ونجهل عدد الأشياء التي نتحدث عنها، فإننا نفترض أن عددها، إن لم يكن لا نهائيًا، فإنه على أقل تقدير - كبير بصورة فلكية ... فما انفك تاريخ الفن يردد ذلك!".

في هذه الفقرة يتضح الربط الجلي بين هذا الكتاب بتاريخ الفن في القارة الأوروبية. إن مئات اللوحات التي ضمها الكتاب على امتداد تاريخ أوربا من قبل الميلاد إلى العصر الراهن تمثل كتالوجًا يؤرخ لتطور الفن فيها.

هذه مجموعة من الحقول المعرفية يمكن للكتاب أن ينتمي إليها، وأن يعد مصدرًا يسهم في تغذية الدرس المرتبط بها.

صحيح أن بينها تفاوتًا من جهة درجة العائد الاستشاري على المستعملين المعاصرين في الحقول المعرفية المختلفة، لكنها جميعًا - مع إقرار هذا التفاوت - ظاهرة القيمة، ليس فيها شطط في بيان العلاقات التي تحكم بانتفاء كتاب (لا نهائية القوائم) إليها جميعًا.

وهي جميعًا كاشفة عن الآفاق الرحبة التي تمدد فيها الدرس الأدبي والسيميائي واللساني المعاصر في أوربا؛ بفعل مجموعة من العوامل المعينة على تمدده، من مثل:

- أ- رعاية مقامات التراكم المعرفي.
 ب- احترام الروابط بين الحقول المعرفية، وتوسيعها.
 ج- تنمية العلاقات المعرفية بين المؤسسات الثقافية والأفراد من ذوي الكفاءات العلمية.
 د- مناخ الحرية البحثية الممتاز، الذي تتيحه السياسات الأوربية للدارسين والباحثين.
 هـ- تشجيع الدراسات البيئية، ودعم معاملها ومختبراتها.
 و- جسارة العقل الأوربي، وهجومه على المناطق الفارغة على خرائط البحث العلمي، وهي جسارة أته من تاريخ عريق من الشجاعة البحثية.

(٢) القوائم: هل تكون نوعاً مستقلاً من المراجع؟

إن تحليل كتاب إيكو: لا نهائية القوائم، يكشف عن أنواع من القوائم، يمكن حصرها في ما يلي:

أولاً: القوائم اللفظية.

ثانياً: القوائم البصرية.

وهذا النوع من القوائم البصرية يقول عنه إيكو (ص ٤٨): "ومن الممكن أن يقع المرء من حيث المبدأ على القائمة في أشكال فنية أخرى!".

وإذا كان المرجع في التصور المبدئي له وعاء للمعلومات بالأساس، فإن التحليل العلمي لجنس القوائم (اللفظية والبصرية) بما تحتوي عليه من معلومات، وتصورات للحياة والأحياء، والوجود والكون - يقود إلى الإقرار بأن القوائم يمكن أن تشكل نوعاً مستقلاً من المراجع.

وربما يدعم هذا التوجه من جانبنا مجموعة من القرائن التي تتبدى من وراء قراءة كتاب إيكو قراءة فاحصة دقيقة متأنية.

إن ثمة أنواعاً للقوائم تلوح من خلف تحليل البنية العميقة لكتاب إيكو، وهي أنواع تتعدد تبعاً للاعتبارات المختلفة، كما يلي:

إن القوائم - بما هي جنس مرجعي مستقل - يمكن أن تقسم تبعاً لاعتبار العملي والفني إلى النوعين التاليين:

أ- القوائم العملية/ البرجماتية.

ب- القوائم الشعرية/ البويطية، يقول إيكو (ص ١٣١): "ونعني بهذا المصطلح الأخير (أي: الشعرية)؛ أي غاية فنية كانت وراء اقتراح القائمة، وأي شكل فني استثمر للتعبير عن هذه القائمة".

وربما أمكن تقسيم القوائم مرة أخرى، تبعاً لاعتبار المادي والمجرد إلى النوعين التاليين أيضاً:

أ- قوائم الأشياء.

ب- قوائم المجردات، أو المتخيلات.

وبالإمكان تقسيمها أيضاً قسمين آخرين، هما:

أ- قوائم الواقعيات. ب- قوائم العجائب.

ثم يعود إيكو في الفصل الذي عقده للحديث عن: قوائم وقوائم (ص ١٣١ - ١٤٨)؛ ليقرر أن كل نوع من هذه الأنواع صالح لأن يقسم أقساماً كثيرة؛ فالقوائم العملية أو البرجماتية، تتوزع على ما يلي:

أ- قائمة التسوق.

ب- قائمة الضيوف المدعوين إلى حفلة ما.

ج- قائمة جرد الأشياء الموجودة في مكان ما.

د- قائمة الأصول أو الممتلكات.

هـ- قائمة المطعم.

و- قائمة المناظر في دليل سياحي.

وغير ذلك كثير من الفروع، لدرجة أن إيكو يعتبر المعجم قائمة عملية/ برجماتية، يقول (ص ١٣١): "ويمكننا أن نمثل على القائمة العملية بقائمة التسوق، وقائمة الضيوف المدعوين إلى حفلة، وكتالوج المكتبة، وقائمة جرد الأشياء الموجودة في أي مكان؛ مثل المكتب، أو المركز الأرشيفي، أو المتحف، وتضاف إلى ذلك قائمة الأصول أو الممتلكات في

وصية، أو فاتورة السلع التي تتطلب التسديد، وقائمة المطعم، وقائمة المناظر الطبيعية في دليل سياحي، وحتى المعجم الذي يجوي بين دفتيه كل مواد لغة بعينها!"
ويعين أمبرتو إيكو ثلاث وظائف لجنس القائمة، تدعم استقلالية كونها نوعاً قائماً بذاته من الأعمال المرجعية، هي:

أولاً: الوظيفة الإحالية، فهي تحيل بكلمات على الأشياء في العالم الخارجي .. إنها تحقق وظيفة عملية خالصة في تسمية الأشياء.

ثانياً: الوظيفة التسجيلية؛ أي " أنها تسجل الأشياء المعروفة والموجودة فعلاً".

ثالثاً: الوظيفة التاريخية والأخلاقية، ويقصد بها: أن هذه القوائم لا تتغير، وهو ما يعني - على تعبير إيكو (ص ١٣١): " أن من غير الأخلاقي وغير المنطقي أن يضمن كتالوج لأحد المتاحف لوحة غير موجودة".

إن مجموع هذه القرائن تحمل قارئ كتاب: لا نهائية القوائم على الاقتناع بأن القوائم باتت قريباً من الإعلان عن ميلادها عملاً مرجعياً متميزاً من جهات مختلفة، يمكن إجمالها في ما يلي:
أولاً: الخصائص الفارقة المائزة لها من غيرها من الأعمال المرجعية.

ثانياً: القابلية للتنوع والتقسيم والتفريع.

ثالثاً: التنوع الوظيفي والمقاصدي.

(٣) القائمة وخصائصها بما هي مرجع!

إن النظر إلى القائمة بأنواعها المختلفة والمتمايزة معاً - بما هي نوع مرجعي مستقل - له حضوره الظاهر في الثقافات المختلفة، لن يستكمل حضوره إلا بعد رصد خصائصه الفارقة.
وإذا كان قد استقر النظر إليها من زاوية كونها عملاً مرجعياً موازياً للمعجم، وليس أقل منه في التطور والنضج - فإن إدراجه ضمن الأوعية التي تتضمن المعلومات وتحتويها.

إن القوائم تسعى إلى تعريف الأشياء من خلال تعريفها بما يكشف عن هويتها، برصد سماتها الكاشفة والفارقة معاً، يقول (ص ٢٤٧): "تمثل حلم الفلسفة والعلم منذ أيام الإغريق فصاعداً في معرفة الأشياء وتعريفها عبر إبراز جوهرها؛ فلقد كان تعريف الشيء في جوهره

مثالاً منذ أرسطو في القدرة على تعريف شيء بعينه بوصفه فرداً في صنف ما، وهذا الصنف بدوره عنصر في جنس بعينه".

ومن ثم فإن أهم ما يميز عمل القوائم هو أنها تمدنا بمعرفة الأشياء من طريق تعريفها عبر الخواص.

إن القوائم تمدنا بتعريفات للأشياء التي نفتقد معرفة جوهرها، يقول (ص ٢٤٨): "ونحن نستعمل التعريف بذكر الخواص حين لا نمتلك تعريفاً جوهرياً، أو إذا لم يف هذا الأخير بحاجتنا؛ ومن هنا فإن التعريف الأول (بذكر الخواص) ملائم للثقافات البدائية التي ما زالت تعتمد على بناء تسلسل هرمي للأجناس والأنواع، كما أنه ملائم للثقافة الناضجة، وربما تلك المأزومة".

ومن ثم فإن القوائم بإمكانها أن تسهم في تطوير الحقول التالية:

أولاً: التعليم في المراحل المبكرة التي يناسبها ذكر الخواص العارضة للأشياء عند تعريفها عند صعوبة تعريف الأشياء تعريفاً جوهرياً يأتي على ذكر جوهر ماهيتها العلمي.

ثانياً: تبسيط العلوم؛ سعياً لنشر الثقافة العامة، وتحديدتها؛ طلباً لترقية الوعي العام بالعلوم.

ثالثاً: تنمية الذكاء العام للفئات المتراجعة علمياً.

رابعاً: تقريب الفجوة المجتمعية بين اللغة العلمية المتعالية المغلقة، والثقافة الشعبية العامة.

إن القائمة - والوضع كما نرى - بإمكانها أن تتقدم لتقدم خدمات جليلة لم يستطع حتى الآن كثير من أنواع الأعمال المرجعية القيام بها، ولا سيما في إطار تنامي القوائم البصرية تعيناً.

(٤) القوائم: من الطريق لإدراك العالم إلى الطريق لخلقته :

(١ / ٤) إن تحليل مجموعات القوائم التي أوردها أمبرتو إيكو في كتابه: لا نهائية القوائم، تقود إلى الإيمان بأن الفحص الدقيق لمجموعات هذه القوائم يمثل طريقاً لإدراك العالم من وجهة نظر أوربية، يقول إيكو (ص ١٤): "فالسرد يخبرنا - سواء جاء عبر الكلمات أو

الصور- أن العالم الحقيقي أو العالم المتخيل، مثل عالم الحكايات الخرافية أو الخيال الشعري = يمتلك مواضيع أو وضعيات من هذا النوع أو ذلك".

وقيمة هذا النقل ظاهرة في أنه جاء في الفصل الافتتاحي الذي عقده لتحليل تُرس أخيل الذي يمثل نوعاً من التجلي للشكل والطريقة اللتين يتدبر الفن عبرهما بناء التمثيلات المتناغمة التي تؤسس النظام".

وتتبع فصول الكتاب كاشف عما يلي:

أولاً: كثير من القوائم تمنحنا فكرة واضحة عن الثقافة الزراعية/ والحيوانية/ والحربية وغيرها.

ثانياً: كثير من القوائم تعيد تمثيل العالم تمثيلاً فنياً في عصرها الذي أنتجها، يقول إيكو (ص ١٧): "لقد كان هوميروس (مثلاً) قادراً على بناء تخيل/ شكل مغلق... فهو يفقه العالم الذي يتحدث عنه، ويعرف قوانينه، ومسبباته وعواقبه، ولهذا كان مقتدرًا على إعطائه شكلاً!".

ثالثاً: كثير من القوائم تعطينا وصفًا حيًا للعالم، ولا سيما في تأمل وظائف القوائم البصرية.

رابعاً: كثير من القوائم - مما يعرف بقوائم الأماكن - يهب المثقف المعاصر وعيًا بالحدود المادية/ الفيزيائية للعالم في عصور إنتاج هذه القوائم، فضلًا عما تمثله من معان تتجاوز الإدراك الفيزيائي للعالم إلى إدراك كثير من القيم المرتبطة بالمادة فيه.

خامسًا: ينبه إيكو إلى أن كثيرًا من القوائم (اللفظية/ والبصرية) تمثل تمثيلاً روائيًا وقصصيًا للعالم يمكن تحليله بلاغيًا.

سادسًا: تجاوز القوائم إلى العجائب: يقرر إيكو أن كتاب بولونيوس: التاريخ الطبيعي (ص ١٧٣): "لن يكون سوى قائمة"، تضم ذكر: السماوات/ والجغرافيا/ والديموغرافيا (السكان)/ والإثنوغرافيا (الأعراق وعاداتها)/ والأنثروبولوجيا (علم الإنسان) وفسولوجيا الإنسان (علم الأعضاء/ وعلم الحيوان/ وعلم النبات والزراعة والبستنة/ ودستور الأدوية والطب والسحر... والمعادن والعمارة والفنون التشكيلية، مقيمًا ضربًا من التراتبية من الأصل إلى الفرع، ومن الطبيعي إلى المصطنع"، وهذا هو المدخل إلى العجائبي في

القضية؛ الأمر الذي يفتح المجال أمام انطلاق المخيلة الإنسانية؛ سعيًا نحو التخلص من مشكلاتها المأزومة الواقعية.

ومن هذه النقطة تبدأ القوائم تقديم خدمتها الجليلة الأخرى المتمثلة في خلق التصورات. (٢ / ٤) إن جزءًا كبيرًا من قوائم كتاب إيكو - بأنماطها المختلفة - يمكن استثمارها في تحليل عمل العقل الغربي الفنان في إدراك العالم.

غير أن ثمة جزءًا كبيرًا من هذه القوائم أيضًا يمكن أن تقرأ تحليلًا في سياق تخليق العالم، وبناء تصوراته المتخيلة؛ سعيًا إلى مضاعفة الشعور باللذة من جانب، وسعيًا إلى تجاوز المشكلات الضاغطة للواقع في كثير من مناطق تأزمه وهزائمه! وسعيًا من جانب آخر لتطوير الحياة، ولاسيما في مجالات العمران والأغذية والطب وأنواع المباحج الأرضية، وهو الأمر الذي أنتج ما يسمى بالقوائم المفرطة.

إن المرء لا يتجاوز عندما يقرر أن كثيرًا مما شهده العالم في عصور لاحقة كان تجليًا لمنجز سابق، استلهمه اللاحقون من عمل السابقين، وانطلاق مخيلاتهم بالعجيب.

لقد مر تأليف القوائم بمرحلتين، يمكن التمييز بينهما في ما يلي:

أ- المرحلة الأولى القديمة التراثية: قامت فيها القوائم بممارسة دور تعويضي عند فقد الكلمات أو اللسان في سياق فني ما.

ب- المرحلة المعاصرة: ظهرت فيها القوائم استجابة لمطالب الإفراط "والشره الكلامي؛ سعيًا وراء العلم المبهج" على حد تعبير إيكو (ص ٣٨).

خاتمة:

لم يكن كتاب إيكو هو الأول في المكتبة الأوربية التي يعالج موضوع القائمة، لكنه مسبق بعدد، وإن يكن قليلاً من الأدبيات، من مثل:

أ- كتاب روبرت إيمي في كتابه: القائمة، جامعة ييل ٢٠٠٤م.

ب- وكتاب فرانسيس سبافورد: القوائم في الأدب ١٩٨٩م.

وهو ما يعني أن المجال مرشح للزيادة والتعميق في هذه الثقافة.

أما في الثقافة العربية، فإن فراغاً رهيباً يهيمن على هذا المشكل البحثي، مع أنه بالإمكان أن يضيف فحص موضوع القوائم في الثقافة العربية الإسلامية آفاقاً جديدة لهذا المشكل البحثي، ولاسيما ونحن نملك أنواعاً مستقلة من القوائم اللفظية والبصرية في الميادين التالية: أولاً: رسوم تصوير المخطوطات في التراث العربي الإسلامي.

ثانياً: القوائم اللفظية الممتدة لأنواع كثيرة من المعلومات، والممتلكات في كتب السيرة النبوية، والسير الذاتية للقيادات والزعامات الدينية والتاريخية والعلمية.

ثالثاً: قوائم الكتب الطويلة في مصنفات البليوجرافيا العربية التراثية والمعاصرة.

رابعاً: كتالوجات الفن المعاصرة.

إن المجالات ما تزال تعاني فراغاً يدعو البحث المعاصر في الثقافة إلى التقدم للتعاطي معها.

المراجع:

لا نهائية القوائم: من هوميروس حتى جويس، لأمبرتو إيكو، ترجمة: مصطفى أبو الهيجاء، مراجعة الدكتور أحمد خريس، هيئة (أبو ظبي) للسياحة والثقافة، كلمة، ٢٠١٣م.

٤ / ٣

فهم فرديناند دوسوسير وفقاً لمخطوطاته مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات مراجعة علمية نقدية



مدخل: فرائض تقدير الأبوة الروحية لرائد اللسانيات المعاصرة:

تبدو قضية الوفاء العلمي لرائد اللسانيات المعاصرة - بوصفها عملاً غريباً بامتياز - ماثلة في معاودة الحفاية بمنجز هذا الرائد الفذ من منظور عملي، يعيد فحص منجزه، وقراءته قراءة تستهدف إعادة البناء، وتستهدف الضبط، والتقويم لما شاع وانتشر من أفكاره اللسانية العابرة للاختصاصات.

وتعيد قضية الوفاء لهذا الرمز التذكير بما يشغله من مساحات في الوعي المعاصر، أحد أهم المؤسسين للسانيات والسيمياثيات، إن لم يكن أهمهم بإطلاق.

وفرديناند دوسوسير ١٨٥٧ - ١٩١٣ م رمز حقيقي للتغيير الجذري الذي يستند إلى خلفية معرفية مكتنزة، ومنهجية نقدية تملك القدرة على إحداث تحولات عميقة جداً من نوع الاكتشافات بقدر واضح، من أمرين ظاهرين بصورة مذهلة يبدوان فيما يلي:

أولاً: الإدارة الواعية للذات، واختيار المواقف، **والتأني** لحماية الاكتشافات العلمية من شغب دعاوى التأثير والتأثر.

ثانياً: الشجاعة العلمية القادرة على تطوير الأفكار، وتقويم ما يحتاج إلى تقويم، والمراجعة المستمرة للمقولات؛ سعياً إلى وضوحها، وعقلنتها، وصيانتها بسياج صلب من الأدلة، وتخليصها من الأفكار السابقة عليها.

وفي هذا الكتاب جملة من التطورات تستهدي بمخطوطات هذا الرائد، تستهدف الوفاء العظيم له بطريقة عملية إيجابية.

كتاب فهم فرديناند دوسوسير وفقاً لمخطوطاته: مادته، وانتمائه المعرفي، وقيمه الحضارية.

١ / ١ مادة الكتاب:

ضم هذا الكتاب المهم مقدمتين وستة فصول، كما يلي:

- مقدمة لويك دوبيكير المؤلف، أستاذ علم المصطلح وعلوم اللغة في جامعة باريس السوربون الجديدة، مؤسس الجمعية الفرنسية لعلم المصطلح، ورئيسها الحالي.
- وهذه المقدمة خص بها هذه الترجمة العربية، وحكى فيها جزءاً من معاناة تأمل مخطوطات دوسوسير، التي تمكن من خلالها من تعديل بعض أفكاره اللسانية، وتوضيح بعضها الآخر.
- مقدمة الكتاب العامة.
- الفصل الأول: كل ما في اللسان تاريخ.
- الفصل الثاني: اللسان .. نظام قيم قبل أي شيء آخر.
- الفصل الثالث: مقاربات اعتبارية الإشارة.
- الفصل الرابع: اللسان ووعي الأشخاص المتكلمين.
- الفصل الخامس: واقع اللسان: اجتماعي قبل أي شيء آخر.
- الفصل السادس: لا بد من أنها سيميائيات.

(٢ / ١) الانتفاء المعرفي للكتاب:

يفتح تأمل هذا الكتاب، والوعي بموقعه الفكري في طموح اللسانيات المعاصر الذي يوشك أن يكون انفلاتاً حقيقياً من مجموع السلطات المتصورة معرفياً - السبيل أمام فحص انتمائه المعرفي.

صحيح أن التصنيف الضيق يضعه في الصميم من حقل اللسانيات، لكن خطاب أهدافه، ووظائفه، ومنهجية معالجته لأفكار دوسوسير تنجرف به نحو حقول معرفية أخرى، يمكن رصدها فيما يلي:

أولاً: السيميائيات:

يمثل حقل علم العلامات (السيميائيات) الحقل المركزي الأوسع لمنجز دوسوسير، ومن ثم لكتاب لويك دوبيكير: فهم فرديناند دوسوسير وفقاً لمخطوطاته، يقول دوبيكير في خاتمة الكتاب (ص ٢٥٤): "في نهاية هذه المسيرة تظهر شيئاً فشيئاً ضرورة تحديد موقع الإشارة اللغوية بالمقارنة بأنواع أخرى من الإشارات (العلامات، والرموز؛ إلخ)، الأمر الذي يؤدي إلى الانفتاح على "علم لا وجود له في المجالات المعرفية": إنه السيميائيات؛ وهو علم الإشارات العام، وتحتل اللسانيات فيه مركزاً أساسياً".

ومن ثم يكون مركز منجز دوسوسير هو السيميائيات، وتمثل الإشارة اللغوية جزءاً من نظام إشارات أخرى أوسع وأشمل.

ثانياً: الفيلولوجيا:

يعيد هذا الكتاب الجديد الاعتبار للفيلولوجيا، ويمنحنا الثقة الكاملة في الخدمات المعرفية التي ما يزال يراها البحث الفيلولوجي.

لقد تأسست فكرته، حول استثمار مخطوطات فرديناند دوسوسير في إعادة فحص أفكاره اللسانية، وتدقيقها، ومراجعتها، وتحريرها، وبيان النقص الذي أحاط بنشرها من طريق تلاميذه: بالي وسيشيهاي وغيرهما.

ولا تخلو صفحة من صفحات هذا الكتاب من ظهور المؤشر اللغوي المائل في مفردة (مخطوطات دوسوسير)، الدالة على ما تقرره هنا.

إن كتاب لويك دوبيكير يقرر - في وضوح تام - أن زمان الفيلولوجيا ما يزال مستمراً، وأن الخدمات المعرفية التي تمنحها لعصرنا ما تزال كثيرة جداً، ومفيدة جداً في الوقت نفسه.

وقد نص دوبيكير على ما يدل على وعيه بقيمة الفيلولوجيا، وما أنتجته من إجراءات، من مثل تحقيق النصوص، وتأريخ المخطوطات.

ثالثاً: تاريخ اللسانيات الحديثة:

يوشك أن يكون هذا الكتاب فصلاً مهماً في تاريخ اللسانيات الحديثة؛ لأنه يتبع تاريخ تطور الأفكار اللسانية في منجز المؤسس الحقيقي للسانيات في العصر الحديث.

هذا الانتهاء المعرفي لكتاب دوبيكير تظهر علاماته في وعي مؤلفه من ملمحين دالين، هما:
أ. صناعة ملحق مهم يعالج تأريخ أفكار دوسوسير موزعة على السنوات، بدءاً بسنة مولده ١٨٥٧م، وانتهاء بوفاته ١٩١٣م، وعنوان ذلك الملحق: نبذة تاريخية فكرية عن حياة دوسوسير.

ب. صناعة ملحق آخر مهم يعالج تأريخ المدونات المخطوطة بيد دوسوسير، وتلك التي بيد طلابه، بدءاً بسنة صدور مؤلفه المركزي ١٩١٦م الذي وصفه جزئياً: ألبير رولينغر، وكتبه شارل بالي، وألبير سيشيهاي، وانتهاءً بنشر المخصص لدوسوسير ٢٠٠٣م، برعاية سيمون بوكيه.

وقد استقر في ترسيم حدود اللسانيات المعاصرة، النظر إلى تاريخ علم اللغة بوصفه فرعاً من اللسانيات، وواقعاً في الصميم من هذا الحقل المعرفي.

رابعاً: أنساق التأليف:

فحص هذا الكتاب يكشف عن استعادة نوع عريق من الأنساق التأليفية، كان فاشياً وشائعاً بصورة ظاهرة في تاريخ العلم في حضارة العرب، وهو نسق التأليف على منوال "الحاشية".

إن كتاب (فهم فرديناند دوسوسير وفقاً لمخطوطاته) للويك دوبيكير يعيد إحياء نسق الحاشية في تتبعه لنصوص دوسوسير، كما جاء في نسخ مخطوطاته المختلفة؛ شارحاً، ومعلقاً على مضامينها الفكرية اللسانية، ومرجعاً لما يظهر من تعارضات القراءة، ومدلاً على صحة استنباطاته، وترجيحاته بصورة تعيد للدارسين منهجيات بناء الحواشي التراثية؛ بما هي نسق من أشهر أنساق التأليف المتوارثة في كثير من الحضارات، ولا سيما حضارة العرب.

ومن النصوص الدالة جداً على ما نقرره هنا قول دوبيكير (ص ٤٦): "يجب التقيد بالعمل الممحص والدقيق؛ للدخول بمنهجية صارمة في تحليل مخطوطات دوسوسير ... من هذا يجب العودة دائماً إلى المخطوطات نفسها، وإلى قراءتها مئات المرات حتى الإرهاق. ويجب القيام بذلك ليس عبر تأمل محتواها فحسب، بل عبر استنطاق إخراج الصفحة أيضاً، أو ترتيب الكتابة، أو الإضافات، أو الشطب؛ فكل شيء له معنى".

إن إطالة النفس في تأمل النسخ الخطية، ودراسة مضامينها، ودراسة مسودات المخطوطات " والبقاء أقرب ما يمكن من سياق الجزء " الذي يشرحه المؤلف - كلها عمليات وإجراءات شديدة الاستقرارية في بناء المؤلفات من نسق الحواشي.

وكل ذلك يجعل كتاب لويك دوبيكير حاشية بالمعنى الحقيقي على المعلومات اللسانية التي حملتها مخطوطات دوسوسير، ومخطوطات طلابه التي دونوها وراءه!.

وربما فتح هذا الكتاب الباب أمام حقل جديد للإنسان من التأليفية المقارنة، لفرع من فروع دراسات الأدب المقارن بالمعنى الواسع لهذا الاصطلاح.

(١ / ٣) قيمة الكتاب:

إن هذا الكتاب - في ترجمته العربية - يعكس مجموعة من الملامح المهمة التي تكشف عن قيمة حقيقية ومجالات معرفية متنوعة، وهذه الملامح الكاشفة عن قيمته يمكن رصدتها فيما يلي:

أولاً: موقع منجز فرديناند دوسوسير ١٨٧٥ - ١٩١٣ م في اللسانيات المعاصرة، والسيمياثيات.

ثانياً: إعادة الاعتبار للمخطوطات التي اكتشفت بخط دوسوسير وخط طلابه.

ثالثاً: النتائج المهمة التي أفرزها تحليل مخطوطات دوسوسير في ضبط أفكاره اللسانية والسيمياثية، وفي الكشف عن التطورات المهمة في هذا الميدان.

رابعاً: المنهجية الدقيقة التي قامت على المعايير التالية:

أ. اعتماد مخطوطات دوسوسير ومخطوطات طلابه، وهو معيار مهم جداً، يعرف بجمع النسخ الخطية.

ب. تأريخ المخطوطات. والمخطوطات المؤرخة قيمة أساسية في رصد التطور التاريخي لأفكار دوسوسير اللسانية.

ج. تحليل الإضافات، والشطب، واعتماد المسودات في قراءة مضامين المخطوطات.

د. استصحاب السياق المصاحب للنصوص الأساسية في نظرية دوسوسير اللسانية.

هـ. مراعاة التعارضات، ومحاولة تفسيرها في ضوء القرائن والشواهد التاريخية والسياقية المختلفة والمطيفة بمجموع نصوص دوسوسير.

خامسًا: إعادة الاعتبار لعلم الفيلولوجيا، وعلم النشر النقدي للنصوص، أو ما يعرف في التقاليد العربية المعاصرة باسم تحقيق النصوص التراثية، يقول دوبيكير (ص ٢٥٣): "إن قراءة مخطوطات دوسوسير تقلب موازين عدد من وجهات النظر".

ويقول (ص ٢٥٣): "تسعى المقاربة المعتمدة هنا جاهدة إلى تتبع الترتيب الزمني للمخطوطات، مع المحاولة في أن تبقى قريبة قدر الإمكان من تطور فكر دوسوسير".

ومسألة الاعتماد الأساسي على المخطوطات، وتحقيق نصوصها، وقراءتها، وتحليلها، ومعالجة التعارضات الماثلة بين بعض النصوص، وتحليل الخطوط، والدرس الكوديولوجي/ المادي للمخطوطات، والإضافات الملحقة بعدد من النصوص، وتحليل الشطوب المختلفة، والمسودات - كل ذلك يعيد تقدير ما يمكن أن تسهم به الفيلولوجيا في خدمة الحقول المعرفية المختلفة في هذا الوقت من تاريخ العلم.

سادسًا: إعادة تأكيد تجاوز أنساق من التأليف، واستمرار القديم منها بجوار الأنساق التأليفية الجديدة، وهو ما يعني **عدم أطراح** أنساق بعينها بدعوى قدمها، وانتمائها لزمان بعيد.

سابعًا: تجلي القيمة البيداغوجية/ التعليمية؛ فقد ظهرت من تحليل نصوص **المخطوطات** وتفسيرها، وطردها تعارضها، روح بيداغوجية/ تعليمية حقيقية.

فقد كشف هذا العمل عن قيمة استحضار نسق الحاشية التأليفية؛ بوصفه النسق المناسب للغاية المرصودة الماثلة في مراجعة أفكار دوسوسير اللسانية في ضوء مخطوطاته المكتشفة، وفي ضوء مخطوطاته المؤرخة، والماثلة كذلك في ضبط هذه الأفكار اللسانية، وتدقيقها، ورصد تطورها التاريخي.

وهذه الغايات المنشودة لم تكن لتتحقق من دون توظيف لنسق الحاشية التأليفية؛ يها هو نسق يقوم على الإجراءات المنهجية التالية:

أ. تحقيق النصوص التي حملتها المخطوطات.

ب. تأريخ النصوص من خلال تأريخ المخطوطات.

ج. تقدير الإضافات وإضافات الإضافات.

د. تحليل المسودات، وتأمل الشطب.

هـ. تقدير السياقات المصاحبة.

و. جمع النصوص المتطابقة تطابقاً جزئياً، وملاحظة تحليل التعارضات والترجيح بينها.

ز. شرح نصوص دوسوسير، وبيان مضامينها، وتأويل ما يحتاج إلى تأويل.

ح. مراعاة المصطلحات المترادفة، وشبه المترادفة في منجز دوسوسير اللساني.

من مجموع هذه المحددات تتضح لنا قيمة كتاب لويك دوبيكير في مجال الكشف عن حقول النظرية اللسانية المعاصرة التي رادها فرديناند دوسوسير.

فضلاً عن المكانة العلمية التي يتمتع بها لويك دوبيكير؛ بوصفه المؤسس والرئيس للجمعية الفرنسية لعلم المصطلح.

٢- من الختام تبدأ الحكايات! خلاصات نتائج فحص مخطوطات دوسوسير:

إن قراءة كتاب: فهم فرديناند دوسوسير وفقاً لمخطوطاته، للويك دوبيكير - فضلاً عما منحه من اعتبار الفيلولوجيا - يمنحنا كثيراً جداً من التصويبات لكثير جداً من الآراء والأفكار اللسانية التي شاعت واستقرت منسوبة إلى مؤسس اللسانيات المعاصرة ورائدها.

وتمنحنا رؤية مترابطة لنظريته اللسانية المحددة، وهذا الهدف واضح تماماً في تحليلات دوبيكير وهو يقول (ص ٢٥٣): إن "المقاربة المعتمدة... تهدف إلى استخراج ترابط الأفكار التي قادت دوسوسير إلى نظرية محددة في اللسانيات العامة. هذه النظرية تظهر في النهاية في كل ترابطها، من دون أن يستطيع دوسوسير أن يكتبها في كتاب جميل؛ أي مستخرجة من مخطوطاته.

وفحص مخطوطات المؤسس تكشف عن حقائق أصيلة، تتعلق بمنجزه في تأسيس نظريته في اللسانيات العامة؛ بما هي جزء من علم السيميائيات.

وفيماء يلي رصد لما كشف عنه دوبيكير من خلال الترتيب الزمني للمخطوطات، وفحص

نصوصها المختلفة:

أولاً: تمثل الإشارة اللغوية (العلامات اللغوية) جزءاً من نظام من إشارات أخرى تحيط بفحصها السيميائيات .. واللغة مركز هذا النظام.

ثانياً: تكمن حقيقة الإشارة اللغوية في قابليتها للتطور (التحول)، وتنعكس تجليات هذا التطور في الصوت، وهي جماع مركب معقد من شكل ومعنى (قيمة)، الذي يكشف عنه التحليل الصرفي. "وليس من الممكن تحليل شكل دون معناه"، وأن الدال والمدلول متبادلان متوازيان، وهما معاً يكوّنان الواحد بالنسبة للآخر.

ثالثاً: رفض أي ارتكاز لنظرية دوسوسير اللسانية على النموذج الفيزيائي؛ ذلك أنه (ص ٢٥٥): "ليس للسان أي ركيزة في الأشياء؛ فهو ليس مادة".

رابعاً: تقع الاعتباطية - بنوعها الجزئية والكلية - في الصميم من نظرية دوسوسير؛ بل إنها "تكوّن قاعدته الأساسية".

خامساً: اللسان في مراجعات مخطوطات دوسوسير "ليس مجرد نظام". وقد ظل يشدد على البعد النفسي للوقائع اللغوية، وهو ما يكشف عن أهمية الوعي في إنتاج اللغة الإنسانية؛ وإن الشخص المتكلم هو الذي يربط الأشكال بالمعاني، وهو الذي يفسر باستمرار دور القيمة في اللسان".

وهو ما يعني أن اللسان هو أساس عمل علم النفس.

سادساً: تكشف قراءة مخطوطات دوسوسير عن حقيقة ساطعة، تقرر أن اللغة هي - في الواقع - مؤسسة، وهذه الحقيقة مرجعها للأهمية التي يوليها المؤسس للبعد الاجتماعي، عندما يقرر أن اللسان إذن شيء اجتماعي للغاية، وهو يتحقق في الكلام.

سابعاً: تكشف تحليلات المخطوطات عن حقيقة حاکمة لإنتاج المعنى؛ فهي تقرر أن المعنى ينتج من السياق اللغوي، والتفسير الذي يمنحه المتكلمون لهذا السياق اللغوي.

"وهكذا يلتقي داخل اللسان وخارجه في القيمة (المعنى)؛ القيمة بكونها نتاج اللغة بين الوحدات، هي أيضاً نتيجة التفسير الذي يعطيه الأشخاص المتكلمون لهذه الوحدات".

ثامناً: تكشف المخطوطات عن حقيقة أن السيميائيات هو العلم الواسع الذي يشمل دراسة العلاقات والرموز والمؤسسات، مثل الزواج والموضوعة؛ إلخ، وحتى دراسة

الأساطير". ويبقى للسانيات "وضع ذو أهمية كبيرة من منظور علم السيميائيات"، لدرجة يقرر معها أن "الواقعة اللغوية ليست لغوية إلا لأنها سيميائية؛ أي محددة في إشارة مكونة من دال ومدلول مرتبطين ببعضهما... ارتباطاً وثيقاً".

تاسعاً: إن فحص نصوص المخطوطات المؤرخة مفيد جداً في إعادة تنسيب الاكتشافات اللسانية بعد زمان من استقرار نسبتها لمن جاءوا بعد دوسوسير. لقد كشف تحليل هذه المخطوطات من استقرار النظر إلى الشعور بوصفه محدداً أصيلاً في تأسيس القيمة (المعنى). يقول دوبيكير (ص ٢٦٦): "كي يكون من الممكن أن تصنف الوقائع، وأن يحدد لكل واحدة منها مكانها الحقيقي في اللسان، يجب اعتبار ما يبدو أساسياً للشعور"، وهذا الشعور لا يأتي من فراغ.

عاشراً: تقود قراءة المخطوطات إلى حقيقة مهمة جداً، تتعلق باطراح دوسوسير للسانيات التعااقبية؛ فقد رمى جانباً اللسانيات التعااقبية بصورة متسعة.

إن دراسة الشكل غير منفصل عن المعنى هي الفرضية الصلبة في منهجية دراسة اللسان من منظور تزامني، وربما استدعى ذلك - أحياناً وفي بعض الأماكن - فكرة القيام بتحليل صرفي تاريخي؛ أي أن المعتمد هو الدراسة التزامنية، وكان المطروح بصورة ظاهرة هو الدراسة التعااقبية.

لقد كشف دوبيكير عن إحساس ظاهر ظل حاكماً في أفكار دوسوسير، يتعلق بالجهاز الاصطلاحي الذي كان سائداً للسانيات، وحاجته إلى الاصطلاح؛ مما يعني أن الأجهزة الاصطلاحية تمثل عائقاً في كثير من الأحيان، يمنع من تطوير كثير من الأفكار. يقول دوسوسير (ص ٢٦٩): "إن الحماقة المطلقة في المصطلحات السائدة وضرورة الإصلاح؛ وإظهار من أجل ذلك أي نوع من الأشياء هو اللسان، لا تنفك تفسد متعتي التاريخية".

وقد كان دوسوسير - من طرف آخر - مقنعاً ومنطقياً عندما استثمر في السيميائيات في برهنة السيميائيات؛ فقد كشف تحليل المخطوطات عن استثمار عدد من الصور لدعم البرهنة، وبناء محاور للتفكير اللساني بشكل مناسب، ولعل أشهر الصور التي استعملها دوسوسير في دعم التأسيس لنظريته في اللسانيات العامة ماثلة فيما يلي:

أ. صورة لعبة الشطرنج (النظام).

ب. صورة الورقة (العلاقة اللغوية بركنيها الدال والمدلول).

ج. صورة السفينة (التطور المستمر للسان).

إن هذه النقاط العشرة تمثل مقدمة لتحصيل المفاهيم الفكرية في تطور اللسانيات، من خلال مراجعة ما استقر منسوبًا لمؤسسها المعاصر فرديناند دوسوسير، وهي مقدمة أشبه بمقدمات الأعمال الدرامية التي تستدعي تقنية النكوص؛ لتفرغ لرواية الحكاية بتفاصيلها فيما بعد، وصولاً لمرحلة التنوير في هذا العمل الدرامي أو ذلك، وهي مرحلة تفسيرية بامتياز في كثير من الأحيان.

٣- اجتماعية اللسان في المركز:

قادت عمليات تفكيك دوركايم في الحقيقة إلى الكشف عن سهمة أفكاره عن الحقيقة الاجتماعية القاهرة في المنجز التأسيسي اللساني الذي فجّره دوسوسير، وهو ما عبر عنه لويك دوبيكير بعبارة: "واقع اللسان الاجتماعي قبل أي شيء آخر" (ص ١٩٣).

والحقيقة أن تأثير دوركايم يتجاوز حدود التأسيس إلى حدود التقنيات لدرجة يمكن أن نرى في الثنائيات الكافية في منجزه الاجتماعي، كما رصدها محمد حافظ دياب في مقدمته لترجمة كتاب: تفكيك دوركايم: نقد ما بعد بنوي، لجينيفر ليان (ص ٢١ - ٣١) حضورًا في الثنائيات الواقعة في منجز دوسوسير **كذلك**، في مثل: ثنائية الدال والمدلول، وثنائية اللسان والكلام، إلى غير ذلك من ثنائياته الشهيرة.

وتأسس مركزية اجتماعية اللسان - كما رصدها دوبيكير - في **التتابع الظاهر** لآراء دوسوسير في **هذا** الباب كما يلي:

٣ / ١ إن اللغة واللسان ليسا بشيئين طبيعيين، ويؤكد "أن اللسانيات لا يمكنها أن تكون علمًا طبيعيًا" [ص ١٩٣] في قفز شديد الظهور، بعيدًا عن النموذج الفيزيائي التفسيري.

وهذا الأمر مرجعه إلى الاقتناع بأن اللسانيات "تنطبق على أعمال إنسانية تتعلق بالفرد والجماعة".

٢ / ٣ اللسان مؤسسة / سلطة:

يظهر من تحليل مخطوطات دوسوسير أن اللغة مؤسسة لا علاقة طبيعية لها بالأشياء، يقول [ص ١٩٦]: "لكن اللغة والكتابة ليستا مرتكزتين على علاقة طبيعية للأشياء؛ أي ليس هناك أي علاقة في أي لحظة كانت بين صوت صفيري ما وشكل الحرف [ء]".

صحيح أن المقارنة بين مؤسسة اللغة والمؤسسات الأخرى تنتج قدرًا من التشابه، لكنها تركز على الفوارق والاختلاف؛ مما يجعل مؤسسة اللغة "مؤسسة بحتة"، والحاكم لهذه المؤسسة هو الاجتماع الإنساني؛ بحيث يصبح التفسير الظاهر لمؤسسة اللغة هو أن اللسان مؤسسة اجتماعية؛ فلا يوجد لسان إلا من خلال الكائنات الملموسة والجماعات. ولا توجد مؤسسة اجتماعية أخرى يمكن أن تضاهيه أو تكون مشابهة له [ص ١٩٩].

ويتضح مفهوم المؤسسة عند حضور مفاهيم أخرى كاشفة عنها هي:

أ. الاصطلاح ب. النظام ج. القطع

فاللغة اصطلاح اجتماعي؛ ومن ثم فاللسان إما اجتماعي وإما لا وجود له.

٣ / ٣ لا يمكن استبعاد الفردي:

يقرر دوسوسير حضور قدرة الفرد على استعمال لسان ما، وتحقيقه الفعلي في التبادل الاجتماعي. ومن هنا فإن ثمة واقعة فردية تكتسب القيمة عندما تصبح هذه الواقعة الفردية اجتماعية.

ومن جانب آخر، فإن إحدى العمليات الأساسية التي تربط بين اللسان والكلام تكمن في البعد النفسي للشخص المتكلم.

إن اللسان بمثابة خزان الأشكال التي يفكر فيها الذهن أو التي يعرفها [ص ٢٦٦].

أو هو مستودع الأشكال المسموعة والمستعملة ومعانيها، وهو مخزن تعمل فيه الذاكرة. ويصل الأمر بدوسوسير إلى أن يقرر ربط اللسان بما هو مؤسسة، واللسان بما هو نتيجة للعمليات النفسية، وينتج الكلام من استمرار عمليات التبادلات بين الأشخاص المتكلمين، والمعبر عن هذه التبادلات الدائمة هو القيمة، أو حاصل المعنى.

والذي يمنح هذه العمليات تجليها الخارجي هو ترابطها في "نظام" من الإشارات، وهو نظام القيم. وأساس القيمة مرجعه للقوة الاجتماعية المتولدة من الوسط الاجتماعي، أو على حد تعبير دوبيكير [ص ٢١٥]: "والواقع أن الجماعة هي التي تخلقها وتعطيها المعنى".

وهو ما يعني أن التنفيذ (اللغوي) يبقى فردياً، وأن ما يمنحه ميلاده واعتماده يبقى اجتماعياً، وهذا الجسم الاجتماعي هو الذي سيغلب شيئاً فشيئاً.

٤ / ٣ القيمة أو المعنى مولود من زواج الداخلي (الفردى) بالخارجي (الاجتماعي): تكشف تحليلات دوبيكير لمخطوطات دوسوسير أن القيمة أو المعنى تنتج من تفاعل حقيقي بين الفرد الذاتي، والجماعي الاجتماعي، وهو الأمر الصريح الذي يقرره دوبيكير [ص ٢٢٢] عندما يقول: "النتيجة النهائية هي أن القيمة تتكون من صلة الوصل بين الداخلي والخارجي، فهي بالفعل ما يربط بين الواحد بالآخر.

هذه القيمة لديها حياة مزدوجة، من حياتين:

أ. حياة أولى: تكمن في أن هذه القيم لا تفتأ تعمل الواحدة بالنسبة للأخرى.

ب. حياة أخرى: تكمن في أنها تتخلق ويعاد تخليقها على يد المجموعة.

إنها حقاً نتاج جماعي.

وبذلك نرى تمرّداً ظاهراً على النموذج الفيزيقي، فاللسان ليس مادة، ومن ثم فالقيمة ليست نتاج تحكّات المادة.

والمدهش أن يتفجر النقاش حول القيمة - بما هي نتاج اجتماعي - ليصل إلى حدود نفي المجاز، يقول دوبيكير [ص ٩٥]: "إن معنى كلمة ما يتكون من خلال تقابله مع كلمات أخرى ... ولا يمكن أن تكون هناك معانٍ مجازية".

ثم يزيد الأمر وضوحاً عندما يقرر أن "واقع تقابل الكلمات المتشابهة بحد ذاته هو الواقع الوحيد الذي يحدد صواب الاستعمالات المجازية .. إننا ننفي في الواقع كونها مجازية".

وهو ما يعني نسبية المعاني في اللسان.

ولعل هذه النقطة هي المدخل الحقيقي لما أقرره من أن فرديناند دوسوسير هو فاتحة الحدث الحدائثي في الثقافة الغربية المعاصرة؛ تأسيساً على طرحه لمقولة نسبية المعاني. وهي إحدى المقولات التأسيسية لغياب المرجعيات، وتجاوز المعاني، وعدم ثباتها.

وهذه النسبية حاکمة لكل أنواع الوثائق، وهي دليل إضافي لاستمرار تأكيد نفي النموذجين البيولوجي والفيزيائي. إن الوحدة في اللسان وحدة خاصة؛ إذ لا توجد وحدة مادية، فالوحدة اللغوية ليست كما هي الوحدة في علم الحيوان مثلاً.

وصعوبة تحديد المعنى الذي يوشك أن يكون "متاهة"، ربما يفسر لنا تقرير بلومفيلد - فيما بعد - حول عدم إمكان الوصف العلمي للمعنى .. إن بذرة هذا الشطط أو الانحراف واردة من الإيحاء العميق بأن الوحدة اللغوية ليست محددة جوهرياً، على الرغم من ترابط الوحدة والدلالة معاً.

إن الدور أو القيمة يظهر من المميز التصريفي لكل إشارة، وهذه جميعاً مرتبطة بهوية اللسان، وهو ما يجعل المعنى والقيمة المصطلحية مترادفين ترادفاً شبه تام.

وهذا التعيين متعدد الأبعاد ربما يسمح بالدعوة إلى التباحث حول التأثير الاعتقادي المسيحي في التأسيس العلمي للوحدة اللغوية وللقيمة والمعنى؛ بوصفها أشياء مترابطة ومختلفة معاً.

إن حضور فكرة الأفانيم في حقل العقيدة المسيحية المعرفي ألقى بظلاله على طرح قضية ترابط الإشارة والقيمة والمعنى؛ بوصفها مفاهيم مترابطة ومتخالفة أو متفارقة معاً.

٤ / ١ اعتبارية العلامة اللغوية: من الكلية إلى الجزئية:

إن عدم الربط الحتمي أو المادي أو الفيزيقي بين طرفي العلامة أو الإشارة اللغوية (الدال/ والمدلول) بات من الحقائق اللسانية المعاصرة التي نشرتها اللسانيات الحديثة، بتأثير دوسوسير الطاغوي، حتى بات الاقتراب منها بأي درجة من درجات التشكيك نوعاً من الجرأة على اليقينيّات.

والمدهش أن الغوص في تحليل مخطوطات دوسوسير - كما يقرر لوبك دوبيكير - أفضى إلى ذلك الاقتراب الذي كان بمثابة المحرمات أو الكبائر في الدرس اللساني المعاصر.

لقد كشف التحليل ظهور نوعين من الاعتباطية، هما:

أ. الاعتباطية الكلية.

ب. الاعتباطية الجزئية.

إن الاعتباطية تعني خاصية ما ليس لديه أي ربط ضروري، أو هي خاصية عنصر لغوي أو سيميائي يكون خاليًا من أي رابط ضروري. وفي هذا السياق تفرض صورة (الورقة) حضورها المقرب لحدود الوحدة اللغوية، المتكونة من (شكل / ومعنى)، وهذا التصور للوحدة اللغوية بما هو: (مجموعة صوتية + فكرة) غير قابلة للتقسيم في الحقيقة، وهو الفصل الذي إن تصورناه فقدت الكلمة وجودها.

وهذا التصور حاكم لعلم الصرف في اللسانيات السويسرية؛ بوصفه "العلم الذي يتناول وحدات الصوت المتطابقة مع الفكر؛ والذي يتناول تجمع هذه الوحدات" [ص ١٣٠].

إن الإشارات اللغوية تجمع من انصهار شكل ومعنى.

وهذا التصور يستدعي كذلك صورة (المنطاد) - بما هو شكل مقترح - للتعبير عن حقيقة الإشارة اللغوية بمكونيها؛ فالشكل هو (الدال) وهو غلاف المنطاد، والمعنى (المدلول) هو (الهيدروجين) الذي يطير بالمنطاد.

وأظهر ما تنتجه الإشارة اللغوية هو النظر إليها من منظار الاعتباطية، وهو ما يعبر عنه دوبيكير استنادًا لفحص المخطوطات بقوله: [ص ١٤٠]: "إن المعنى لا يبرز خارج الكلمات، وهو ما يعني أن المعنى اعتباطي، واصطلاحى ومستقل، يقول دوسوسير في مسودة إحدى مخطوطاته: "إن قوة الإشارات تكمن في طبيعتها الاصطلاحية، وفي طبيعتها الاعتباطية، وفي طبيعتها المستقلة عن الحقائق التي تدل عليها".

ويخشى دوبيكير من سوء فهمه عن دوسوسير، فيقرر أن الاعتباطية مفهوم تحيط به مجموعة من التحذيرات، هي:

أ. الاعتباطية لا تعني منح الحرية للفرد في اختيار عناصر اللسان؛ فهو خاضع للنظام.

ب. إرث الماضي مفروض على المجتمع؛ بسبب وقائع التطور، ويقرر أن العلاقة

الاعتباطية تظهر في علاقات، هي:

١. علاقة الإشارة بالشيء.

٢. علاقة الإشارة بالفكرة من حيث هي عنصر من التفكير.

٣. العلاقة الداخلية للإشارة بين الشكل والفكرة.

٤. د. العلاقة بين الصوت والإشارة الخطية (الكتابية).

وقد كشف دوبيكير عن مجال جديد يسميه بحدود الاعتباطية، ويقرر أن الاعتباطية تسود كل مكان، إلا أنه يرى أن المرسل هو من يمنح العناصر اللغوية القيمة والمعنى الواضح؛ مما يعوّض عن الانطباعية بشكل خاص لدى الشخص المتكلم [ص ١٥٠]، كما أن البعد الاجتماعي يقوم بتعويض هيمنة الاعتباطية، وهو الأمر الذي يصل باللسانيات السوسيرية بعد اكتشاف مخطوطات الرائد، إلى أن تقرر أن الاعتباطية "محددة"؛ بسبب ترابط عناصر اللسان. وهذه المناقشة أنتجت أمرين، يمكن التعبير عنهما بما يلي:

أولاً: اعتباطية نسبية.

ثانياً: اعتباطية مطلقة.

ومما يخفف من هيمنة الاعتباطية ما يعرف بالارتباط التعاضدي / الارتباطي، أو التعاضد النظامي، سواء صنعته التداعي في الذهن، أو صنعه تقارب السلاسل الصوتية بين بعض الكلمات.

كما أن وجود بعض عناصر التبرير أو الارتباط بنظام ناتج التاريخ - يخفف من الاعتباطية.

والترفة بين نظامين من أنظمة الاعتباطية - هما: الاعتباطية المطلقة والاعتباطية النسبية المحددة - إنجاز حقيقي للكشف عن مخطوطات دوسوسير بامتياز.

خاتمة:

تناولت هذه المراجعة العلمية النقدية لكتاب (فهم فرديناند دوسوسير وفقاً لمخطوطاته) لويك دوبيكير؛ إيماناً بأن المراجعات العلمية أعمال علمية مركبة، تستهدف التحليل، وقد كشفت عن حزمة من النتائج المهمة، نجملها فيما يلي:

أولاً: استمرار الحفاوة بدرس الفيلولوجيا، واعتماده في الأكاديميات المرموقة، وإعلان نهوضه بمطالب العلم في العصر الراهن.

ثانياً: كشفت هذه المراجعة عن بقاء النسق التأليفي، المتمثل في نسق *التحشية* على النصوص الرائدة؛ فهذا الكتاب مثال للحواشي التي ما تزال تعمل عملها في التصنيف المعاصر.

ثالثاً: قاد تحليل مخطوطات دوسوسير إلى ضبط مبدأ اعتبارية الإشارة، وتقسيمها قسمين:
أ. الاعتبارية الكلية المطلقة.
ب. الاعتبارية النسبية المحددة.

رابعاً: كشف تحليل الكتاب لمخطوطات دوسوسير عن إسهامه المركزي في اللسانيات الحديثة، بحيث يمكن أن نرى بعض آراء بلومفيلد عن عدم إمكان الوصفي العلمي نوعاً من استثمار ما قرره دوسوسير عن صعوبة الإحاطة بالقيمة أو المعنى.

خامساً: تجاوز تأثير دوسوسير ميدان اللسانيات إلى ميادين معرفية كثيرة، وظهر من خلال سطوة الاختلافات، وعدم ثبات القيمة أنه ربما كان واحداً من آباء الحداثة المعاصرين في الغرب.

سادساً: كشف تحليل *المخطوطات* عن نوع من *معاودة التفكير* في كثير من الأفكار اللسانية، كان يمارسه دوسوسير إلى قبيل رحيله.

سابعاً: كشف تحليل مخطوطات دوسوسير عن حضور قوي لاستثمار الأمثلة؛ بوصفها وسيلة بيداغوجوية (تعليمية) وحجاجية إقناعية، لم تفقد قوتها مع مرور الزمن، وهو الأمر الذي يظهر في الأمثلة التوضيحية المتمثلة في: لعبة الشطرنج، والمنطاد، والورقة، والسفينة، وقطعة القماش، والجسد والروح، والهواء، والماء؛ إلخ.

ثامناً: ظهرت حفاوة لويك دوبيكير بتطبيقات تحقيق نصوص دوسوسير وترميم بعضها؛ للوصول إلى قراءة صحيحة لأفكاره، وهو ما يعني ضرورة العناية بالأثر النقدي للنصوص في الميادين المختلفة.

المراجع:

- تفكيك دوركايم، نقد ما بعد بنيوي، ترجمة: محمود أحمد عبد الله، مراجعة: محمود الكردي، تقديم: حافظ دياب، المركز القومي للترجمة، القاهرة (رقم ٢٠٨٥) ٢٠١٣ م.
- فهم فرديناند دوسوسير وفقاً لمخطوطاته، للويك دوبيكير: مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات، ترجمة: ريبا بركة، مراجعة: بسام بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠١٥ م.

٥/٣

المرجع في علم المخطوط العربي مراجعة علمية نقدية



مدخل:

تعد المراجعات العلمية النقدية - "بما تحتوي عليه من جهد تحليلي تركيبى - أعمالاً علمية في حد ذاتها"^(١)؛ فضلاً عما تقدمه إلى مجالها المعرفي؛ من تعميق وتطوير لبحوثه وقضاياها ومسائله.

وهذه المقالة نوع مراجعة علمية لكتاب: المرجع في علم المخطوط العربي، لآدم جاسك، ترجمة الأستاذ: مراد تدغوت، ومراجعة الدكتور: فيصل الحفيان، وإصدار معهد المخطوطات العربية، بالقاهرة ١٤٣٧هـ = ٢٠١٦م × ٥٠٢ ص.

والمنجز في هذا الباب قليل جداً؛ إن على مستوى الأدبيات الأساسية المتمثلة في الأعمال المرجعية في مصطلحية علم المخطوط العربي، وإن على مستويات المراجعات العلمية النقدية لهذه الأدبيات الاصطلاحية.

إن مراجعة المنجز في هذين المسارين تكشف عن فقر المكتبة العربية، فلا يوجد من الأدبيات المرجعية/ المعجمية الخادمة لمصطلحية علم المخطوطات سوى ما يلي:

أ. الترجمة العربية لكتاب آدم جاسك: تقاليد المخطوط العربي^(٢).

ب. معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي)، للدكتور أحمد شوقي بنين^(٣).

ج. نحو معجم تاريخي لمصطلح ونصوص صناعة المخطوط العربي، لإبراهيم شيوخ^(٤).

ولا يوجد من أدبيات المراجعات العلمية النقدية في المكتبة العربية سوى ما يلي:
 أ. معاجم مصطلحات علم المخطوط العربي، وقيمتها الحضارية، للدكتور خالد فهمي^(٥).

ب. قراءة في معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديلوجي، للدكتور أحمد شوقي بنين، للدكتور عبد الكريم العوفي^(٦)).

وتعالج هذه المقالة أمرها في المطالب التالية:

١. المرجع في علم المخطوط العربي: مادته/ وانتمائه المعرفي/ وقيمته.

٢. المرجع في علم المخطوط العربي: بناؤه ومنهجه.

١. البنية الكبرى.

٢. البنية الصغرى.

٣. المرجع في علم المخطوط العربي: المصادر والتوثيق.

٤. المرجع في علم المخطوط العربي: مقالة في خطاب الوظائف.

٥. المرجع في علم المخطوط العربي: ملاحظات نقدية واستدراكات.

وفيما يلي معالجة لهذه المطالب على الولاء والترتيب.

١/ المرجع في علم المخطوط العربي: مادته/ وانتمائه المعرفي/ وقيمته:

(١.١) مادة الكتاب:

جاء هذا الكتاب في (٥٠٢ ص) في النسخة المترجمة إلى العربية، وتكسرت على:

أ. مقدمة المؤلف، مسبوقه بقائمة للرموز والأشكال، ومقدمة للمراجع، وتصدير لمدير عام المنظمة.

ب. متن الكتاب، مقسماً على حروف المعجم العربي بترتيبها المشرقي (أ، ب، ت، ث؛ إلخ)، في ثمانية وعشرين حرفاً.

ج. ملاحق الكتاب، وهي أربعة ملاحق: (الاختصارات العامة/ أشكال الحروف العربية الرئيسية من خلال النصوص المملوكية والعثمانية عن فن الخط/ الدليل البليوجرافي/ وصف المخطوط).

د. الرسومات البيانية (التقويم الإسلامي / المسيحي / الحقب الإسلامية الرئيسة / الأسر الحاكمة الإسلامية الرئيسة).

هـ. قاموس مصطلحات إنجليزي عربي (صنعه المترجم).

و. المصادر والمراجع: (العربية / الأجنبية).

وسوف يرد في المقالة الثانية هنا تحليل لهذه المادة من منظور التصنيف في البحث المعجمي والموسوعي.

والملاحظ أن هناك بعض الاختلافات بين نسختي الأصل والترجمة، فقد تركزت هذه الاختلافات في الأبعاد التالية:

أولاً: التصرف: لقد أسقط المترجم ملحق الآيات القرآنية، وقال (ص / ٤٣٩): "صنع المؤلف خمسة ملاحق، منها: ملحق خاص بالسور القرآنية مرتبة ألفبائياً ... وقد رأينا الاستغناء عنه لعدم فائدته".

وهذا التصرف مستغرب من جهتين، هما:

أ. طبيعة المجال المعرفي لنص الكتاب (المخطوط العرب / التراث)، وهو مجال لا يجتفي بالكشافات والملاحق.

ب. طبيعة الملحق الذي أسقطه المترجم من نسخة الترجمة؛ ذلك أن الاعتماد على الكتاب العزيز مسألة مركزية في هذا العلم. ولعلي أذكر المترجم الكريم بأن آدم جاسك يقرر أن الحضارة الإسلامية هي: "حضارة الكتب"، يقول في [تقاليد المخطوط العربي: البليوجرافية (ص / ١٥)]: "الحضارة العربية الإسلامية حضارة كتاب. الكتاب فيها ذو قداسة خاصة، اكتسبها من الدين الإسلامي ذاته، وتحديدًا من كتاب هذا الدين (القرآن الكريم)، الذي لا ينافسه كتاب آخر لدى العرب المسلمين!"

ثانياً: الإهمال: لقد أهمل المترجم ترجمة بعض العناصر من واجهة الكتاب، وهذه العناصر تبعاً للنسخة الإنجليزية المعتمدة الترجمة هي:

١. صفحة الشكر والامتنان = (قبل المقدمة). Acknowledgement، وهو تقليد علمي

في التأليف شائع في الغرب؛ انطلاقاً من أخلاق البحث العلمي.

وكان بالإمكان إلحاقه بآخر المقدمة، إن لم ير المترجم فائدة من إفراده، واستقلاله.

٢. قائمة الكتابة الصوتية = (بعد المقدمة) transliteration table.

٣. ملاحظات أو تعليق على التمثيل الصوتي = (بعد المقدمة) Note on transcriptions.

٤. الرسوم والخطوط (الموضحات) = (بعد المقدمة) illustrations and credits.

إن هذه العناصر التي أهملت في الترجمة العربية مهمة جداً لمستعملي هذا المرجع، وهي ذات وظائف تمكن القارئ من الإحاطة بمجموعة أشياء، كما أنها مهمة في تحليل أنساق التأليف الغربي المعاصر، الذي يحتفي بالقارئ، ويحتفي بمنظور المستعمل الذي يحقق تيسيرات كثيرة.

(٢.١) الانتماء المعرفي للكتاب:

ينتمي هذا الكتاب - شأن كثير من الكتب الغنية عند فحص انتمائها المعرفي - إلى مجموعة من الانتماءات المعرفية، يمكن رصدها كما يلي:

أ. النوع التصنيفي:

جاءت الترجمة وقد حملت عنوان: (المرجع) والمرجع مصطلح علوي عام، يطلق على أوعية المعلومات، أو هو جنس يندرج تحته أنواع متعددة.

وهذا الكتاب يكشف - عند فحصه - عن انتمائه التصنيفي إلى قطاع "المعاجم الموسوعية"؛ فهو معجم موسوعي، بدليل النظر إلى:

أ. بنائه وترتيبه، كما سيتضح في المقالة الثانية هنا.

ب. الغرض والوظيفة؛ إذ هو يستهدف إضاءة المداخل والتعليق عليها من منظور يستهدف التعليم والثقافة.

ج. استعمال الموضحات البصرية؛ من الرسوم والخطوط في التعليق على المداخل.

د. طول مادة التعليق على المداخل.

كما يكشف تحليل خطاب المقدمة عن انتمائه إلى نوع "الأدلة"، فهو "دليل للقارئ"، وهذا المصطلح هو المكافئ الأولى استعمالاً في الترجمة العربية لمصطلح (Avadeumecum for readers) الذي جاء عنواناً جانبياً في الأصل الإنجليزي.

ب. الانتماءات المعرفية:

يصلح هذا المعجم أن ينتمي إلى الحقول المعرفية التالية:

أولاً: علم المخطوط العربي: وهو الانتماء المعرفي الأساسي؛ بدليل عنوان الكتاب = (Arabic Manuscripts)، وبدليل خطاب المقدمة والمحتوى جميعاً.

ثانياً: علم الخطوط القديمة: وهو الانتماء الموازي لعلم المخطوط العربي، كما قرر آدم جاسك نفسه في المقدمة، حيث قال (ص/ ١٩): إنه دليل يتضمن ظواهر من علم المخطوطات العربية وعلم خطوطها القديمة.

وهو صالح لأن ينتمي كذلك إلى مجموعة انتماءات أخرى فرعية تالية، من مثل:

أ. التاريخ الحضاري والثقافي العربي الإسلامي.

ب. الفنون التراثية العربية الإسلامية.

ج. أنظمة التأليف العربية التراثية.

(٣.١) قسمة الكتاب:

يستمد هذا المعجم الموسوعي أهميته وقيّمته من عدة أمور، هي:

أولاً: قلة أدبيات المجال المعرفي الذي ينتمي إليه؛ فالمكتبة العربية تعاني فقراً حقيقياً في باب الأعمال المعجمية والمرجعية المختصة بمصطلحية علم المخطوط العربي.

ثانياً: طبيعة المؤلف (آدم جاسك)، المختص في هذا المجال، الذي أسهم في خدمته بأعمال ممتازة، عرف بعضها طريقه إلى اللسان العربي، على ما نجده في:

أ. بحثه عن: الكيبكيكج، الذي ترجمه المرحوم الأستاذ عصام الشنطي (٧).

ب. تقاليد المخطوط العربي: معجم مصطلحات وببليوجرافية، الذي نقله إلى العربية مراد تدغوت، ومحمود محمد زكي.

ثالثاً: النسق التأليفي للمعجم الموسوعي هذا، وسهولة التعامل معه؛ إذ هو مرتب وفق النظام الألفبائي، وما يحتوي عليه من رسومات وخطوط أو موضحات بصرية تعين على تحصيل مادته.

رابعاً: تمتعه بالتدقيق والإحالة إلى المصادر المعتمدة في الحقل المعرفي، وهذه الاستشهادات المرجعية تحقق عددًا من الوظائف المهمة معرفياً.

خامسًا: صدوره عن معهد علمي عريق في العناية بشئون المخطوطات العربية دراسة وفهرسة وترتيبًا؛ إلخ.

إن هذه الأبعاد تجعل الحفاية بترجمة هذا الكتاب - من باب تقدير قيمته - أمرًا واجبًا، تسهم به في توطين العلم بمسائل هذا الحقل في الثقافة العربية؛ مما يسهم - تبعًا - في تعميق دراستها، وتطويرها.

٢/ المرجع في علم المخطوط العربي: بناؤه ومنهجه:

بنى آدم جاسك هذا المعجم الموسوعي / أو هذا الدليل على المشهور في برامج التصنيف المعجمي؛ بما هو فرع أصيل من فروع البحث المعجمي والموسوعي. وقد جاء هذا المعجم الموسوعي وقد انتظمته بنيات كبرى، وصغرى، شكلتا بناءه ومنهجه.

وقد جاءت البنية الكبرى في هذا المعجم الموسوعي في ثلاثة أقسام متكاملة، هي:

(١.٢) واجهة المعجم.

(٢.٢) متن المعجم.

(٣.٢) ملاحق المعجم.

وفيما يلي تحليل لمكونات كل قسم من هذه الأقسام.

(١.٢) واجهة المعجم:

تمثل الواجهة front matter أول ما يواجه عين المستعمل، وهذه الواجهة أو المقدمة هي التي تنهض بالوفاء بالعناصر التالية:

أ. بيان مكونات المعجم ومحتوياته.

ب. إرشادات الاستعمال.

ج. الغرض من تأليف المعجم، وبيان وظائفه.

د. بيان الرموز والاختصارات.

هـ. منهج ترتيب المداخل.

وهذه العناصر متفاوتة في الأدبيات النظرية، على ما نجده في:

كتاب هارتمان وجريجوري جيمس (ص / ٦٠)

dictionary of lexicography, London, 1983، وكتاب د. أحمد مختار عمر [صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، ١٩٨٨ م (ص ١٠٥)].

وقد تضمنت واجهة هذا المعجم العناصر التالية:

أ. بيان طبيعة الانتماء المعرفي للمعجم (في مصطلحية علم المخطوط العربي).

ب. قائمة بالرموز والاختصارات.

ج. الغرض من المعجم / الدليل (ص / ١٩): "ولكنني وضعته ليكون وسيلة لمساعدة الطلاب والباحثين".

د. بيان منهج ترتيب المداخل (ص / ٢٠): "ومن أجل إراحة القارئ وتيسير الوصول إلى المادة العلمية بسرعة، فإنني قررت أن أرتب مادة الكتاب من المصطلحات والمفاهيم ألفبائياً".

هـ. بيان مميزات المعجم وخصائصه، من مثل اشتماله على نماذج من اللوحات والأشكال التوضيحية؛ إلخ (ص / ٢٠).

وبيان ببعض مصادر هذا المعجم (ص / ٢٠) يقول: "تأسس المصطلحات العربية التقنية الواردة هنا على كتابي المذكور آنفاً: "تقاليد المخطوط العربي" ... وملحقه ... فكلاهما مجتمعان مع هذا الكتاب الحالي".

وقد أدخلت الترجمة العربية بترجمة بعض مكونات واجهة هذا المعجم، كما سبق أن قررت!

(٢.٢) متن المعجم:

متن المعجم أو جسمه هو الجزء الأساسي الذي ينصرف معنى المعجم إليه عند الإطلاق، وهو الجزء الذي يتكون من مكونين مركزيين، هما:

أ- مداخل المعجم (مصطلحاته).

ب- التعليقات على المداخل (الشروح والتعريفات).

(أ.٢.٢) مداخل المعجم وترتيبها:

وقد جاء المعجم بعد ترجمته في (٢٨) فصلاً على عدد حروف المعجم العربية، بدءاً بالألف، وانتهاءً بالياء، على ترتيب المشاركة. ويبدو عدم احترام هذا الترتيب للمداخل الفرعية المنضوية تحت مدخل علوي (ص ٢٦٤).

وقد رتبت المداخل / المصطلحات ترتيباً ألفبائياً مشرقياً جذعياً؛ أي وفق منطوق المصطلح في الاستعمال العلمي في حقل علم المخطوط العربي، من دون اللجوء إلى تطبيقات التجريد والرد إلى الجذور، مع احترام "ال" في بنية المداخل الداخلية، وعدم احترامها في البداية، مع اضطراب، وهو ترتيب روعي فيه أمران:
أولاً: منهج تصنيف صاحبه الأساسي.

ثانياً: طبيعة بعض المصطلحات التي دخلت إلى هذه المصطلحية من طريق الاقتراض من اللغات الأجنبية.

هذا فضلاً عن إرادة تحقيق التيسير على المستعملين، وهو أثر من آثار ما يعرف بتطبيقات منظور المستعمل، الذي يحرص على توفير الوقت، وتوفير الجهد معاً.
وقد بلغت كثافة مداخل هذا المعجم (٣٥٠) مصطلحاً، كما جاء في مقدمة المراجع (ص/ ١٠) الذي يقول: "بلغ عدد المصطلحات والمداخل خمسين وثلاثمئة مصطلح، وهو كم كبير، يدل على التتبع والاستقصاء للغة علم المخطوط العربي".

(ب.٢.٢) التعليق على المداخل وشروح المصطلحات:

يمثل التعليق على المداخل وشروح المصطلحات الجزء المتمم لتصور متن المعجم، وهو الجزء الذي ينهض بتقديم المعلومات التي تشكل ماهيات المصطلحات، أو التصورات عنها.

وجاء ترتيب معلومات ما تحت المداخل في الغالب وفقاً لما يلي:

أ. الإحالة إلى المصطلحات المتداخلة مع المدخل موضع التعليق عليه.

ب. بناء التعليق في صورة مقالة موجزة كثيفة، تتضمن ما يلي:

- معلومات عن تاريخ المدخل، وتطور ظهور مفهومه.

- تعريف المدخل، ببيان سماته الدلالية الشارحة والمميزة له.

- بيان مكونات المدخل إن كان من المواد التي تتكون من عناصر، ومكونات.
- بيان الوضع الراهن للمدخل موضع التعريف.
- إلحاق رسومات أو صور موضحة للتعريف القولي.
- توثيق معلومات ما تحت كل مدخل في داخل المتن في النسخة الإنجليزية، ونقول المترجم في الهوامش السفلية front notes في الترجمة العربية!

ملاحظ:

وقف حديث آدم جاسك عن منهج ترتيب المداخل عند حدود أنها مرتبة وفق النظام الألفبائي، وكذلك وقف حديث المراجع للترجمة العربية عند حدود قوله: (ص / ١١ / أ): "إعادة ترتيب المادة بحسب الألفبائية العربية"، وهو الترتيب الجذعي الذي راعى منطوق المصطلحات في الاستعمال، من دون اللجوء إلى تقنيات الرد على الجذور أو التجريد.

وهو ما يفهم منه احترام توالي حروف المعجم العربية، من دون النظر إلى صنف المصطلح من منظور الأنماط الشكلية، بمعنى أن غض النظر عن نمط المصطلح شكلياً، جاء على صورة اختزالية اختصارية أو كلمة بسيطة أو مركب معقد.

وإن كان الأمر كذلك فقد لوحظ نوع ترتيب يخالف هذا المنهج، من مثل:

ورود (ربع تجليد، ص ٢٣٩ / قبل الربعات والصناديق، ص ٢٣٩)، وتطبيقات النظام الألفبائي تقضي بورود: الربعات والصناديق قبل: ربع تجليد!

وورود المدخل (الصفحتان المتقابلتان المزخرفتان، ص ٢٧٤ / قبل المدخل: الصفحتان المتقابلتان، ص / ٢٧٤) والصواب العكس!

كما لوحظ اضطراب في التعامل مع "ال" التي للتعريف في ترتيب المداخل؛ إذ كان الواضح عدم اعتبارها إن وقعت في أول المدخل، وهو ما يفسر وقوع المداخل التالية في فصل الدال المهملة: الدس / الدلالات / والدفعة / والدواة (ص ٢٣٥).

ولكن إن وقعت في درج المصطلح، فإن التعامل معها جاء مضطرباً، آخذاً الشكلين

التاليين:

أ. عدم الاعتبار؛ أي إسقاطها من اعتبارات الترتيب، وهو ما يفسر لنا ورود المداخل التالية على الولاء والتتابع (ص / ٢٩٦):

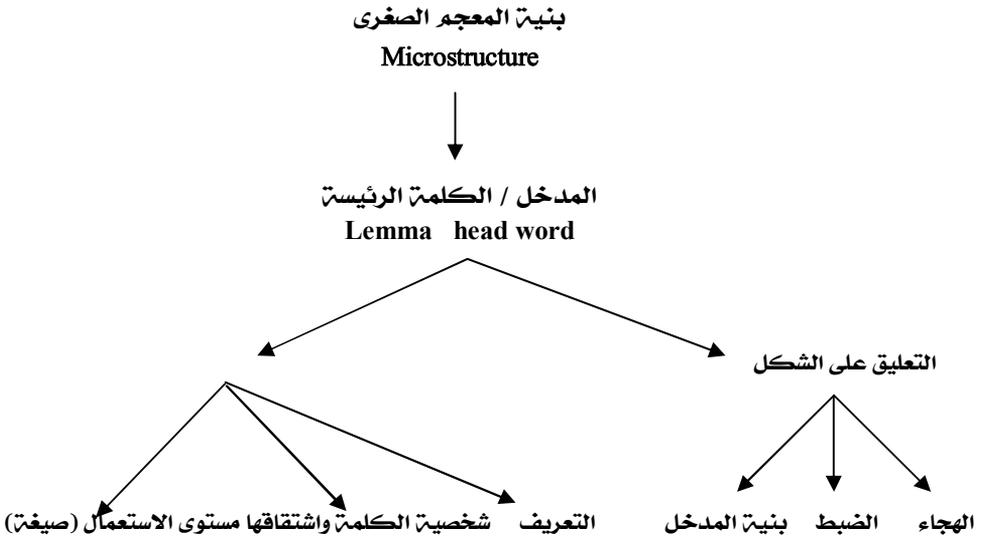
- علم تاريخ الكتب / علم التعمية / علم حفريات الكتاب؛ إذ لو اعتبرت "ال" في الترتيب لتقدم المدخل (علم التعمية) على المدخل (علم تاريخ الكتب)، فلما لم تُعتبر (ال) في الترتيب تأخر مدخل: علم التعمية عن مدخل: علم تاريخ.

ب- الاعتبار؛ أي حسابها عند الترتيب، وهو ما يفسر لنا ترتيب المداخل التالية (٢٨٧):

- علامات السقط / وعلامات الضبط / وعلامات حروف العطف؛ إذ لو لم تعتبر في الترتيب، لتغير الترتيب عند قصد إسقاطها من الاعتبار كما يلي:

- علامات حروف العطف / وعلامات السقط / وعلامات الضبط!

أما البنية الصغرى، فيقصد بها معلومات التعليق على المداخل، وهي تبعاً لما ذكره هارتمان وجريجوري جيمس في معجمها عن مصطلحات صناعة المعجم Dictionary of lexicography (ص ٩٤).



وقد تفاوتت العناية بمجموع هذه المعلومات من تعليق لآخر.

أما معلومات التعليق على الشكل، فقد اطردت العناية بالمعلومات التالية:

أولاً: الهجاء، أو هجاء المداخل، وهو ما نهض به تطبيق تقنية التمثيل الصوتي transcription أمام كل عدد من المداخل، وهي تقنية تعين على النطق الصحيح للمداخل، كما في (خط الحواشي وخط الديواني، ص ٢٠٤) على سبيل المثال، وهذه الطريقة نهضت بمعلومات الهجاء والضبط معاً.

ثانياً: ونظراً للطبيعة الموسوعية لهذا المعجم/ الدليل من جانب، ولسبق العناية بمعلومات البنية (الصرفية) في تقاليد المخطوط العربي: معجم المصطلحات، فلم يُعن بها في هذا العمل المرجعي، على اعتبار أن العملية: التقاليد/ المراجع، بمثابة عمل واحد موسع فيما يبدو! أما معلومات التعليق على المعنى فقد جاءت مكنتزة وافية إلى حد كبير، تضمنت ما يلي:

أولاً: تعريف المداخل.

وقد استعمل آدم جاسك في الغالب نوعين من التعريفات والشروح، وهما:

أ- طريقة الشرح بالمحكم، وهي طريقة تنهض بشرح المداخل، بجمع سماتها الدلالية الفارقة والمميزة لمدخل عن الآخر.

ب- طريقة الشرح بالموضحات البصرية؛ من رسوم وخطوط وصور.

ثانياً: معلومات التأثيل etymology:

لقد انشغل المعجم/ الدليل - في بعض الأحيان - ببيان معلومات التأثيل لعدد من المداخل، تكشف عن تطور دلالات استعمالها، على ما نرى مثلاً في تأثيل المدخل (حرد المتن = colophon)، حيث كشف أنها تطورت من معنى: المقاتلين البواسل الذي لا يتوقفون في المعارك عن القتال حتى تضع الحرب أوزارها (ص/١٦٤)، "ثم أجريت عليها تعديلات أخيرة، وصارت تستخدم في وصف الكلمات التي تكون في نهاية الكتب!"

[وانظر كذلك: كبيكج، ص ٣٠١].

ثالثاً: معلومات مستوى الاستعمال usage able:

كان مع تداخل عدد من الانتهات المعرفية التي تحيط بمصطلحية علم المخطوط العربي، وتنوع فروعه كذلك، من مثل: علم الخطوط القديمة، وعلم الختوم، وعلم الزخرفة - أن يحرص المعجم/ الدليل في كثير من الأحيان على النص في التعليق على المداخل على معلومات مستوى الاستعمال، التي تعين على تحصيل دلالات المدخل موضع التعليق، بكلمة مفتاحية كاشفة عن الانتهات المعرفية الدقيق للمدخل في أثناء تعريفه وشرحه، أو من خلال الإحالات المجاورة للمدخل، فمثلاً تعين الانتهات المعرفية للمدخل (اللسان = flap) إلى الانتهات المعرفية الفرعية المتعلقة بتفسير الكتب، من خلال مؤشرين هما: (ص ٣٦٦):

١. مؤشر الإحالات المجاورة؛ حيث أحال آدم جاسك في بداية التعليق على مدخلي: تجليد الكتب/ وأغلفة الكتب.

٢. مؤشر قيود التعريف والشرح؛ حيث استعمل القيود التالية في التعريف: (الغلاف/ والتجليد/ وخزم/ وسير جلدي)!

وقد اطردت معلومات هذا النوع من التعليق (أقصد التعليق على المعنى) بصورة واضحة؛ لأنها المسئولة عن النهوض بتعريف المداخل، وتعيين ماهياتها، وبناء التصورات عنها.

وهو ما كان مغايراً لمعالجة معلومات التعليق على الشكل التي جاءت غير مطردة، ولا مستوعبة لمداخل المعجم/ الدليل جميعاً.

(٣.٢) ملاحق المعجم:

ضم هذا المعجم - في أصله الإنجليزي - خمسة ملاحق، تقلصت إلى أربعة في النسخة المترجمة إلى العربية، هي:

أ. الملحق الأول: اختصارات عامة غير مصنفة في المخطوطات العربية.

ب. الملحق الثاني: أشكال الحروف العربية الرئيسية، من خلال النصوص المملوكية والعثمانية عن فن الخط.

ج. الملحق الثالث: الدليل البليوجرافي.

د. الملحق الرابع: وصف المخطوط.

وقد أسقط المترجم - كما تقدم ذكره - الملحق الخامس الخاص بآيات الذكر الحكيم، وزاد ملحقاً أو كشافاً لمصطلحات المعجم (إنجليزي/ عربي). وأهمية هذه الملاحق واضحة؛ إذ تعمق مادة المعجم، وتوضح كثيراً من المسائل المتعاقبة معها.

(٣) المرجع في علم المخطوط العربي: المصادر والتوثيق:

كان مما أثبتته مراجع الترجمة العربية وعدّه من مميزات المعجم/ الدليل - وهو كذلك - التزام التوثيق، يقول (ص ١٠): "اتسمت المادة العلمية بالتوثيق والإحالة على المصادر والمراجع".

وهي سمة ترقى بقيمة المعجم/ الدليل ولا شك. وقد جاء منهج التوثيق في النسخة الإنجليزية في داخل المتن في سياق التعليق على المداخل، وفصلها المترجم في الهوامش السفلية بعد نهاية التعليق على كل مدخل، بالمكونات التالية:

أ. اسم المؤلف.

ب. سنة طبع المصدر/ المرجع.

ج. المؤشر المكافئ لموضع الاستشهادات المرجعية (أرقام الصفحات).

وفي أحيان أخرى أقل كثافة ترد الاستشهادات المرجعية وفقاً لما يلي:

أ. عنوان المصدر/ المرجع.

ب. الطبعة.

ج. المؤشر المكاني (أرقام الصفحات).

وقد تنوعت مصادر هذا العمل المرجعي، وتوزعت على المجموعات التالية:

أولاً: معاجم مصطلحات علم المخطوط العربي السابقة عليه؛ ككتاب: تقاليد المخطوط العربي، ومعجم مصطلحات المخطوط العربي، لأحمد شوقي بنين، وكتاب موزيرل: مصطلحات علم المخطوط Vocabulaire codicologique.

ثانياً: كتب علوم المخطوط العربي التراثية والحديثة المختلفة؛ من تجليد، ووراقة، وصناعة الكتابة، والأقلام والأحبار.

ثالثاً: كتب أخرى متنوعة من مكملات التأليف؛ من كتب التاريخ، والفهارس، واللغة.

وقد نهضت هذه المصادر والمراجع بعدد من الوظائف التالية:

أ. الوظيفة البنائية التأسيسية؛ أي بناء المعجم/ الدليل، وتكوين مادته، من المداخل والشروح والتعليقات عليها.

ب. الوظيفة الاستدراكية؛ أي تكملة ما جاء ناقصاً غير تام فيما سبقه من أعمال مرجعية.

ج. الوظيفة التصحيحية؛ أي تصويب ما كان مستقراً ينظر إليه على أنه من حقائق الحقل المعرفي، ثم اتضح مع وجود الاكتشافات والنماذج عدم صحتها؛ مما استدعى تصحيحها.

د. الوظيفة التدعيمية، التوضيحية، وهو ما قامت به المصادر والمراجع التي من نوع المجموعات الفنية (الكتالوجات)، ومصادر الرسوم والخطوط والصور؛ حيث دعمت الشروح اللغوية أو القولية ووضّحتها.

٤. المرجع في علم المخطوط العربي : مقالة في خطاب الوظائف :

بيّن آدم جاسك في فقرة من مقدمته لهذا المعجم/ الدليل بعض الغايات التي قصد إلى تحقيقها، عندما قال (ص ١٩): "وبعد هذا كله، من الواضح أن هذا الكتاب (المرجع في علم المخطوط العربي) يمكن عده - في أحسن الأحوال - ملخصاً عاماً لمختلف العناصر والظواهر التي تعنى بها دراسات المخطوط العربي. إن التصور الذي وضع عند تجميع مادة هذا الكتاب، لم يكن يهدف إلى أن يكون دليلاً شاملاً لظواهر علم المخطوطات العربية (codicological)، وعلم خطوطها القديمة (palaeographical)، ولكنني وضعته ليكون وسيلة لمساعدة الطلاب والباحثين الذين غالباً ما تتناهم الحيرة أو الرهبة - في بعض الأحيان - من هذا العالم الغامض من المخطوطات واللغة التقنية المستخدمة فيه".

وتحليل مادة هذا المعجم/ الدليل تكشف عن توحيه تحقيق مجموعة من الوظائف، يمكن رصد أظهرها فيما يلي:

أولاً: الوظيفة المعرفية:

إن هذا المعجم/ الدليل - بنص صانعه - يستهدف خدمة المعرفة في حقل علم المخطوط العربي، بتحرير مفاهيمه، وبيان معلوماته، وتطويرها، وهو بهذا يسهم في تعميق العلم بحقائق هذا الحقل المعرفي، ومسائله، وتطويرها، وتفسير كثير من النصوص التي وردت إلينا في الأدبيات التراثية المتداخلة مع علوم المخطوط العربي، ولاسيما مع وجود الرسومات والموضحات البصرية التي تسهم في توضيح كثير من الحقائق التي كانت غامضة أو ملتبسة.

ثانياً: الوظيفة التأريخية:

إن عناية هذا المعجم/ الدليل بالتأريخ لكثير من المفاهيم والتصورات وتطورها في الحياة العلمية العربية الإسلامية تحقق الوظيفة التأريخية، التي تكشف عن المراحل التي مرت بها كثير من التقنيات في حقل هذا العلم، وما تعرضت له كثير من هذه التقنيات من تطورات وتعديلات.

وهو من هذا الجانب يعد معجماً موسوعياً ذا صبغة تاريخية؛ بسبب عنايته بتتبع تاريخ كثير من المفاهيم وتطوراتها على امتداد التاريخ منذ ظهور المفهوم حتى استقراره بعد مراحل تاريخية عديدة.

ثالثاً: الوظيفة الحضارية:

يقدم هذا المعجم/ الدليل - من خلال عنايته المتجاوزة - عددًا من المعلومات التي تسهم في خدمة الوظيفة الحضارية، التي طالت المستويات والمجالات التالية:

- أ. مجال الأدوات الكتابية (الأقلام/ المحابر/ والأوعية المادية وغيرها).
- ب. مجال الفنون والزخرفة والتزيين والرسوم وأدواتها وألوانها وموادها المستعملة فيها، وأشكالها وأنظمتها المختلفة.
- ج. مجال الخطوط المختلفة.
- د. مجال أدوات التفسير والتجليد، وطرقه المختلفة.

إن هذا المعجم/ الدليل يكشف عن تعانق ثلاثة ملامح ظاهرة في صناعة المخطوط العربي؛ بما هو مجلّي للتطور الحضاري الذي حققه العربي المسلم على امتداد التاريخ، وهي الملامح التالية:

- أ. القوة والصلابة والمتانة التي تمتع بها المخطوط في الغالب.
- ب. المنفعة، والفائدة التي قصدها الصانع القديم لمستعمل المخطوط.
- ج. الجمال الذي أحاط بصناعة المخطوط العربي من طريق التزيين والزخرفة والرسوم؛ إلخ.

وهذه الملامح الثلاثة ناتج طبيعي للتصور الإسلامي للحياة الذي يحرص عليها جميعًا.
رابعًا: الوظيفة اللسانية:

يعد هذا المعجم/ الدليل - بما ضمه من مصطلحات - نموذجًا جيدًا يعكس مرونة اللسان العربي، واستجابته لمتطلبات العلوم في الحقول المختلفة، سواء على مستوى الترميز الداخلي الذي يستجيب للتوليد بالطرق المختلفة، أو على مستوى الترميز الخارجي بالاقتران من اللغات الأجنبية، ثم تعريب ما يقترضه اللسان العربي.

وهو ما تجلّى في ظهور مصدرين لسانيين، أسهما في تكوين مصطلحية علم المخطوط العربي، هما:

- أ. المصدر اللساني العربي (المصادر الأثيلة).
 - ب. المصدر اللساني الأعجمي (المصادر الدخيلة).
- كما تجلّى أمر هذه المرونة والاستجابة في تنوع أنماط المصطلح الكوديولوجي من المنظور الشكلي على الأنماط التالية:

- أ. النمط الاختزالي (المختصرات) مثل: م = متن.
- ب. النمط البسيط (المصطلح/ الكلمة الواحدة)، مثل: الجمع، الورقة؛ إلخ.
- ج. النمط المركب/ المعقد، بأشكاله المختلفة، سواء كان من نمط المركبات الإضافية/ أو الوصفية أو العطفية، أو المركبات الإسنادية؛ مثل: رواية الكتاب، والألفبائية العربية، والاختصارات ورموزها، والوقف: بباباته وحججه؛ إلخ.

خامسًا: الوظيفة التعليمية:

وهذه الوظيفة تأتي من طبيعة هذا العمل المرجعي؛ بما هو وسيلة مساعدة للطلاب على تحصيل حقائق العلم، ومسائله، وتصوراته، وهي الوظيفة التي صرح آدم جاسك باستهدافها في مقدمته (ص ١٩)، كما مر بنا.

سادسًا: الوظيفة القومية:

ويقصد بها ما يسهم به هذا المعجم/ الدليل في توطين العلم بحقائق هذا العلم ومسائله في الثقافة الوطنية أو القومية، ودعم تمكين اللسان العربي في المجالات العلمية المختصة.

(٥) المرجع في علم المخطوط العربي: ملاحظات نقدية واستدراكات:

إن فحص هذا المعجم الموسوعي/ دليل القارئ، يكشف عن مجموعة من الملاحظات النقدية والاستدراكات التي تستهدف تقويمه، وتعميق مادته معًا:

(١.٥) وفيما يلي رصد لما كشف عنه تحليل مادته، وفحصها من ملاحظ:

أولًا: تردد المترجم الكريم في ترجمة النوع التصنيفي للكتاب، فعلى حين جاء على الغلاف: المرجع في علم المخطوط العربي، تردد في المقدمة غير مرة فاستعمل مصطلح (الدليل) (ص ١٩/س ٢١).

والأولى ترجمة العنوان بالدليل، فهو: Avademecum for readers

ثانيًا: قررت الترجمة التزام وضع الوصف بالكريم بعد كل ورود للفظ القرآن، وضع الصلاة على النبي ﷺ بعد كل ذكر له؛ وهو ما لم يطرد، يقول المراجع (ص ١٢): "وإلى ذلك جرت إضافة صفة "الكريم" للقرآن، و(الصلاة) عند ذكر النبي ﷺ".

وهو ما لم يكن مثلًا في (ص ٢٤): "علم رسم كتابة القرآن في المصاحف"، و"علم رموز أقوال النبي وإشاراته!"

ثالثًا: ترجم المترجم الكريم نص آدم جاسك (ص/xi):

and recourse to such sister disciplines as epigraphy inscription on hard surface, diplomatic(the study of documents including epistolography and papyrology)"

بما يكافئه فقال: (ص ١٨): "والاستعانة بتخصصات مكاملة، مثل تخصص النقوش (النقوش على الأسطح الصلبة) والمراسلات الدبلوماسية (دراسة) الوثائق، بما في ذلك: فن كتابة الرسائل، وعلم البرديات)". ولعل مقصود آدم جاسك بتعبير diplomatic هو "الوثائق"، وليس المراسلات الدبلوماسية!
وهذه مجرد أمثلة لما يحتاج إلى مراجعة، وتعليق.

(٢.٥) الاستدراكات:

إن كثافة المداخل - التي بلغت (٣٥٠) مدخل - تكشف عن الغنى الحقيقي الذي تمتع به هذا المعجم/ الدليل، مع تقدير العمر الزمني القصير لنشأة علم المخطوط العربي في العصر الحديث.

وقد كان هذا المعجم/ الدليل في حاجة إلى صناعة ملحق يستدرك ما فاته من المصطلحات التي تقع في الصميم من حقل الكوديكولوجي، ومما أخل به هذا المعجم - وكان يلزم أن ينهض به - ملحق للمستدركات، كما يلي:

أ. خلو المعجم من بعض المداخل الموسوعية المتعلقة بعناوين بعض الكتب المهمة، من مثل: أدب الكتاب، وكتاب الكتاب، وصناعة الكتاب، وصبح الأعشى؛ إلخ. ولاسيما والمعجم ذو سمة موسوعية، اعتنى بعدد من المداخل من نمط الأسماء الأعلام، كابن مقلة (ص ٣٩٣)!

ب. أما بعد = (فصل الخطاب)، وهي العبارة التي يَختَمُ بها استهلال النصوص التراثية، ويتنقل بعدها الكاتب إلى معالجة موضوع كتابه.

ج. البري (بري القلم)، وهو إعداد القلم، وتجهيزه للكتابة، عن طريق ضبط سنه بسكين معروفة.

د. سجية الرسم (طبيعة الكاتب في كتابته، وهي طريقة الكاتب المؤلف في كتابته، وهي تفيد في فحص الكتب المزورة، وبيان أصالتها في النسبة، ويمكن أن تضاف وسيلة لبيان توثيق نسبة المخطوطات إلى أصحابها، إن ورد دليل يقرر أنهم كتبوها بخطوطهم.

هـ. فصل الخطاب (= انظر: أما بعد).

و. فقر منتخبة: نصوص مقتبسة من نص آخر.

ز. المنظومة: نوع من التصنيف، يدون المعارف في صورة نظامية، يغلب أن تكون على وزن الرجز.

ح. النسخة المجددة: وهي النسخة الناقصة التي يكتبها ناسخ، ويكملها ناسخ غيره.

ط. النسخة المورثة.

ي. النسخة اليتيمة.

وثمة مداخل أخرى يمكن إلحاقها بهذا المستدرک، من مثل:

تطين الكتاب (عند ختمه)/ والتعليقة.

خاتمة:

وبعد، فهذه مراجعة علمية نقدية استهدفت الحفاية بترجمة هذا العمل المرجعي المهم إلى العربية.

واستهدفت كذلك تحية المترجم والمراجع والمعهد العلمي العريق الذي أصدره.

وقد كشفت هذه المراجعة عن عدد من النتائج، من مثل:

أولاً: استجابة اللسان العربي لحمل مفاهيم هذا الحقل، بتنمية لغته التقنية.

ثانياً: وعي آدم جاسك العميق بحقائق هذا الحقل المعرفي، وإرادته تطوير مساراته، وخدمة البحث فيه.

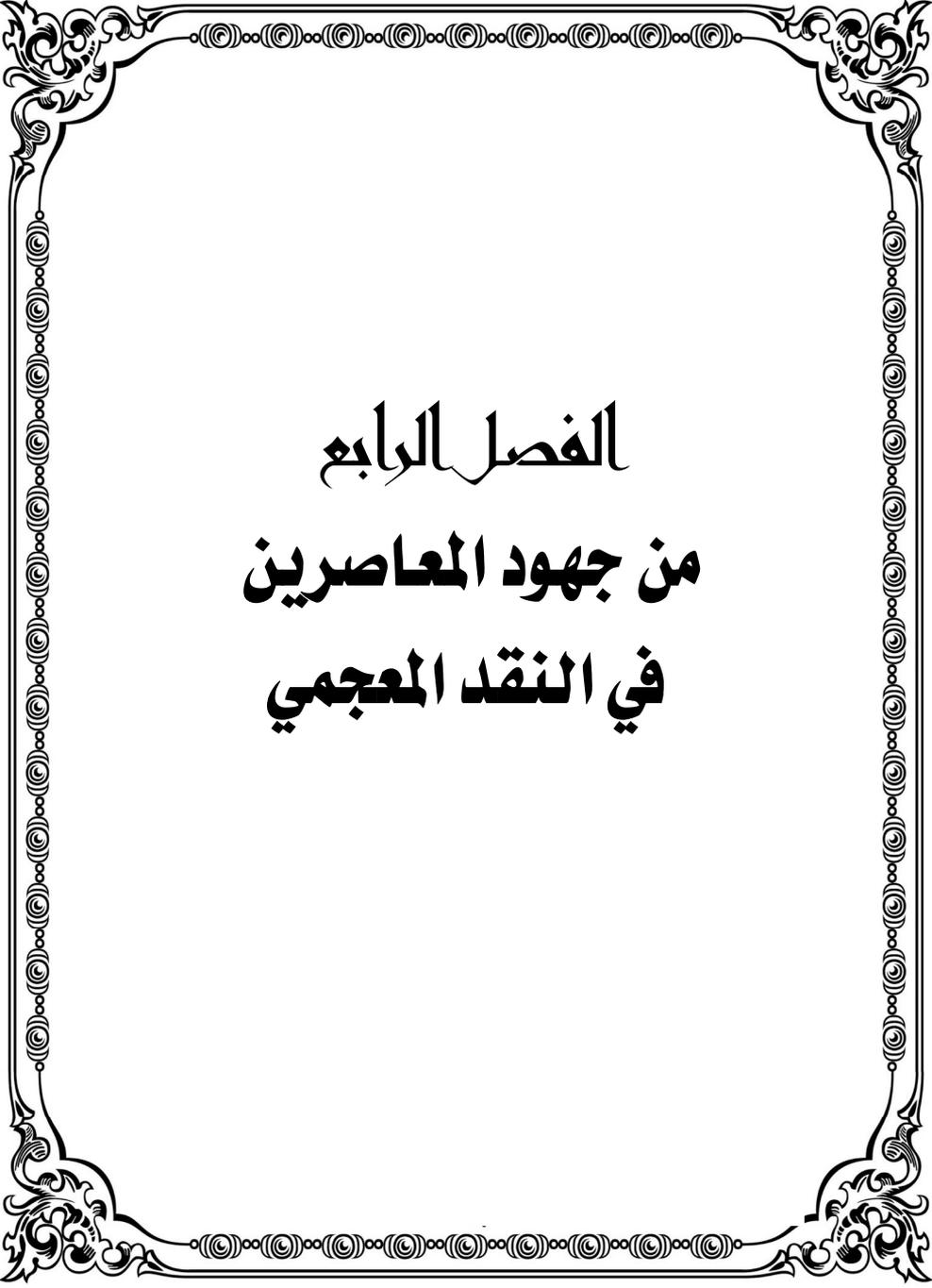
ثالثاً: تمتع هذا العمل بعدد موفور من شروط صناعة المعجم الحديث؛ من تضمنه واجهة، وملاحق.

رابعاً: ظهرت تنوع الوظائف التي يمكن استثمار المعجم/ الدليل؛ من أجل تحقيقها، وتوطين العلم بهذا الحقل في الثقافة العربية المعاصرة.

خالص التحية للمعهد العلمي العريق الذي نهض بعبء هذا الإصدار المهم، الذي سيسهم في خدمة هذا الحقل المعرفي الخطير.

الهوامش والمراجع:

١. المراجعات العلمية ودورها في تحول المعلومات إلى معرفة، ضمن دراسات عربية في المكتبات والمعلومات العدد (٢) مايو سنة ١٩٩٨م، مج ٣ (١١/١).
٢. تقاليد المخطوط العربي: (معجم المصطلحات)، ترجمة: مراد تدغوت، ومراجعة الدكتور فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، ٢٠١٠م (٣٧١ ص).
٣. طبعة الخزانة الحسنية، الرباط، المغرب، (ط٣)، سنة ٢٠٠٥م.
٤. نشر ضمن أعمال مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي الثالث، لندن، ١٤١٨ هـ = ١٩٩٩م، بعنوان: (صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية).
٥. نشرت أولاً في مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، ع (٥٣٢)، ثم أعيد نشرها في كتاب (آفاق جديدة في المعجمية العربية الإسلامية، للدكتور خالد فهمي، دار النشر للجامعات، القاهرة، ١٤٣٦ هـ = ٢٠١٥م، (ص ص ١١٠-١٢٠).
٦. نشرت في مجلة (جذور) ع ٤٢، النادي الأدبي الثقافي، بجدة، ١٤٣٧ هـ = يناير ٢٠١٦م، (ص ص ٦٣-١٠٠).



الفصل الرابع
من جهود المعاصرين
في النقد المعجمي

١/٤

الهوية الحاضرة!

إسهام الدكتور إبراهيم عوض في النقد المعجمي:
دراسة استقرائية تحليلية نقدية

(١) مدخل: إبراهيم عوض والنقد المعجمي:

مداخل أولية:

(١/١) يُعدُّ الدكتور إبراهيم عوض (و ١٩٤٨م) واحداً من العلماء الذين يمثلون امتداداً حقيقياً لمفهوم "العلماء الموسوعيين" بحق، وهو الامتداد الذي صنعه في نفسه مجموعة عوامل ظاهرة، هي:

أولاً: الاستعداد النفسي والعقلي المرتبط بالثقافة والقراءة ارتباطاً عضويّاً أصيلاً، يرى فيها سبيلاً لتحقيق إنسانية الإنسان، وطريقاً لترقيه ونجاته.

ثانياً: الانتماء الحقيقي لثقافة الأمة العربية والإسلامية، التي يميزها هذا النظر الموسوعي؛ بسبب من مركزية التأثير الذي أحدثه الكتاب العزيز في العقل العربي المسلم على امتداد التاريخ، عندما تحول به إلى ربط الأرض بالسماء، ودمج العناية بجانب الإنسانية جميعاً في بعديها الروحي والمادي معاً.

ثالثاً: الاختصاص المهني؛ بما هو أستاذ في العربية، وعلوم العربية كل متكامل متماسك. والنقد الأدبي على التعيين خزينة جامعة لحقائق كثير من الحقول المعرفية المنضوية تحت علوم العربية.

وقد عملت هذه الثلاثة العوامل عملها في شخصية الدكتور إبراهيم عوض العلمية، وتجلت ثمراتها في الاتجاهات التالية:

أولاً: دراسة قضايا النقد الأدبي:

وهو الحقل الأبرز في تحليل منجز إبراهيم عوض العلمي، افتتح به تكوينه الأكاديمي والوظيفي.

وهو منجز متوزع على الأجناس الأدبية المتنوعة؛ نثرًا وشعرًا، آخذة برقاب التنظير والتطبيق معًا.

ثانيًا: دراسة الأدب:

وهو الحقل الذي لا ينفصل عن سابقه، وللدكتور إبراهيم عوض سهمته في هذا الباب، تحيط ببحوث التاريخ الأدبي، وتحليل النصوص الأدبية المتنوعة.

ثالثًا: دراسة اللسانيات:

إن تحليل منجز إبراهيم عوض يكشف عن لساني بامتياز، وهو الأمر الذي يدعمه توزع إسهامه على الحقول الفرعية المنضوية تحت حقل اللسانيات، أو دراسة اللغة؛ بما هو علم موضوعي منهجي، كما يلي:

أ. وجود كثير من الدراسات التي تنتمي إلى حقول الفيلولوجيا (فقه اللغة)، أو دراسة النصوص المبكرة، وأساليبها، وخصائص العقل الذي أنتجها، واستثمارها في الكشف عن طبيعة العصر الذي وصلت إلينا منه.

وهو ما يمكن أن نقرر معه أن إبراهيم عوض فيلولوجي، يملك خصائص عقل الفيلولوجيين.

ب. وجود كثير من الدراسات الأسلوبية التي تفحص النصوص والمنجز القولي؛ باعتبار تحليل مستوياته اللغوية الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية، وصولاً إلى الكشف عن خصائصه وسماته الأسلوبية، إن بهدف التشخيص الأسلوبي، وإن بهدف بيان الثابت من المنسوب من النصوص إلى أصحابها.

ج. وجود كثير من الدراسات التي تنتمي إلى البحث المعجمي، ولاسيما في حقل النقد المعجمي، المتلبث بفحص المشكلات الثقافية في عدد من الأعمال المرجعية الموزعة على فرعي: المعجمات والموسوعات معًا.

والنقد المعجمي فرع من فروع البحث المعجمي، المرتبط كذلك باللسانيات الاجتماعية.
د. الدراسات الإسلامية التأسيسية والنقدية معاً: وفي كثير منها يلوذ بالحقيقة اللغوية لتأسيس القول في مشكلاتها، وقضاياها.
هـ. دراسات الترجمة:

إن منجز إبراهيم عوض في حقل الترجمة من الإنجليزية والفرنسية إلى العربية تعييناً يستثير الدهشة والانتباه؛ لعمقه وتنوعه.
وهو في كثير مما يقدمه في هذا الحقل يتمتع بروح نقدية ظاهرة، وهو منجز موزع على مسارين كبيرين، هما:

أولاً: النقل؛ أي العناية بترجمة عدد من النصوص (الكتب/ والدراسات)، ونقلها إلى العربية.

ثانياً: النقد؛ أي العناية بنقد عدد من الترجمات، وبيان المشكلات التي تورط فيها مترجموها (ناقلوها) إلى العربية، من الوجهة اللغوية، والثقافية جميعاً.
ودراسات النقد اللساني، وأقصد به ما أسهم به في الرد على عدد من الدراسات المتممة إلى دراسة لغة العرب.

وهذا البحث يسعى إلى فحص سهمة هذا اللساني المعاصر في ميدان النقد المعجمي، تعييناً.

(ب) منجز إبراهيم عوض في النقد المعجمي: مقالة في المادة وانتهائها المعرفي:

(ب/ ١) المادة:

أنجز الدكتور إبراهيم عوض عددًا من الدراسات في النقد المعجمي، يمكن رصدها وبيان توثيقها فيما يلي:

أ. ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م/ النزعة النصرانية في قاموس المنجد [دار الفاروق، الطائف، المملكة العربية السعودية ٤٩].

ب. ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م/ الإفصاح في فقه اللغة، لموسى والصعيدى، [ضمن كتابه: من ذخائر المكتبة العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، ص ص ٢٥١ - ٢٧٢].

ج. ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م / معجم البلدان، لياقوت الحموي، [ضمن كتابه: من ذخائر المكتبة العربية، ص ص ١٥٥ - ١٨٦].

د. ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م / موسوعة المستشرقين، لعبد الرحمن بدوي، [ضمن كتابه: من ذخائر المكتبة العربية، ص ص ٢٧٣ - ٣٠٢].

هـ. نظرات إسلامية في الموسوعة العربية الميسرة، [المكتبة السوداوية، جدة، المملكة العربية السعودية، ٩٩ ص].

و. ١٤١٩ هـ = ١٩٩٨ م / دائرة المعارف الإسلامية الاستشرافية: أضراليل، وأباطيل، [مكتبة البلد الأمين، القاهرة، ٢٨٦ ص].

(ب / ٢) الانتماء المعرفي للمادة:

تمثل هذه الدراسات حدود ما أنجزه الدكتور إبراهيم عوض في ميادين النقد المعجمي. وفحص هذه المادة من طريق تحليل عنواناتها، وخطاب مقدماتها يكشف عن صلاحية انتائها لعدد من المجالات المعرفية المنضوية جميعاً تحت حقل اللسانيات الاجتماعية، والمعجمية معاً، وفيما يلي بيان موجز لهذه الانتماءات المعرفية التي تحيط بهذه المادة.

أولاً: مجال دراسة المشكلات الثقافية في المعجمات المعاصرة:

تنتمي كثير من هذه الدراسات - ولاسيما الدراسات (أ؛ ه؛ و) - إلى مجال فرعي من ميادين النقد المعجمي، هو المشكلات الثقافية في المعجمات المعاصرة، وهو حقل فرعي تندر الدراسات التي تمثله وتخدمه في الثقافة العربية المعاصرة، ولاسيما من جانب اللسانيين العرب المعاصرين.

وتحليل منجز إبراهيم عوض في هذا الباب المعرفي كاشف عن تجاوزه للتصور الأنثروبولوجي للثقافة، الذي يرى فيها تركيباً معقداً، يحتوي على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق، والقوانين، والتقاليد، والأعراف، والعادات، الإنسانية - إلى نطاق أوسع، يتضمن اللغة والخصائص الروحية والعقلية والوجدانية، ومحددات الهوية، إلى غير ذلك^(١).

والحق أن النقطة الأبرز في نقد إبراهيم عوض هذه المعجمات من المنظور الثقافي كانت تتعلق بالقضية الدينية؛ اعتقاداً وعبادة وتشريعاً؛ إلخ، وهو نقد معجمي يكشف عن وعي بالحقل المعرفي، والنوع التصنيفي للأعمال المرجعية المنقودة، يقول في مقدمة كتابه [النزعة النصرانية في قاموس المنجد (ص / ٧)]: "المنجد قاموس معروف، ويشيع بين الطلاب اقتناؤه؛ لأنه معجم عصري، وفيه صور ملونة كثيرة... لاحظت في بعض مما كنت أراجعه أو يلفت نظري من مواد مسحة نصرانية غريبة على معجم لغوي تاريخي، فقام في نفسي أن أراجعه مراجعة شاملة".

وتحليل هذا النقل كاشف عن وعي بقضايا مهمة، تقع في الصميم من النقد المعجمي من المنظور الثقافي؛ ذلك أن هذا النص يكشف عما يلي:

أ. الوعي بالنوع التصنيفي للعمل المرجعي (قاموس المنجد)؛ بما هو: معجم للطلاب، يتميز بعدد من المواضع التي تجعل منه معجماً عصرياً؛ بسبب من توظيف الموضحات البصرية، بما هي طرق مساعدة من طرق شرح المعنى في المعجمية المعاصرة.

ب. الوعي بطبيعة العمل العلمي، المتمثل في: المراجعة الشاملة، والمراجعة مصطلح من المصطلحات المستعملة في النقد المعجمي.

ج. الوعي بطبيعة ما يمثله المعجم بشكل عام؛ بما هو جزء مهم من تاريخ الثقافة من جانب، وبما هو عمل يعنى بجوهر الثقافة، على حد تعبير هارتمان، الذي يقول في [المعاجم عبر الثقافات: دراسات في المعجمية، ترجمة الدكتور محمد حلمي هليل، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ٢٠٠٤م (ص ٥٩)]: "إن المعاجم تعنى بجوهر الثقافة" (٢).

ثانياً: مجال النقد المعجمي:

يتضح من تحليل خطاب مقدمات هذه الدراسات التي تمثل منجز الدكتور إبراهيم عوض أنها تنتمي إلى مجال النقد المعجمي من منظور التصنيف، ومخالفته، ومن منظور المستعمل كذلك.

لقد استرعى انتباهه مثلاً أن عددًا من الأعمال المرجعية (المعجمات) / والموسوعات) التي كتب في مراجعتها ونقدها خالفت المستهدف من نوعها التصنيفي، وخالفت المتوقع مما يرومه مستعملوها من الوظائف التي نهضت للوفاء بها.

لقد كشف عن أن معجم المنجد - مثلاً - بما هو معجم مدرسي، مصمم للطلاب، وهو بذلك يتغيا خدمة قضايا التحصيل المدرسي، وترقية المستوى التعليمي بما يتيح من معلومات تساعد على تحسين التحصيل الدراسي = خالف هذه الوظيفة والغاية بما توجه به إلى معالجة معلومات تصب في اتجاه خدمة التنصير، وخدمة الأفكار النصرانية.

وهذا الوعي بمحددات النوع التصنيفي للمعاجم، ونقد ما يصادمه من تجليات التطبيق العملي في متن المعجم ومعلومات التعليق على المداخل / أو الكلمات - يمثل نوعاً من الضبط المعياري لعناصر النقد المعجمي، يبتعد به عن الممارسات الصحافية والانطباعية التي تغلب على ممارسات النقد المعجمي في الغالب.

وقد أمكن رصد ثلاثة محاور توزع عليها منجز إبراهيم عوض في النقد المعجمي، وهي:
أ. نقد المعجمات اللغوية (معاجم الألفاظ اللغوية)، كما في (أ؛ ب) مما تعلق بنقد القاموس (المنجد)، ونقد الإفصاح في اللغة.

ب. نقد الموسوعات العامة كما في (هـ)، (و) مما تعلق بنقد الموسوعة العربية الميسرة، ودائرة المعارف الاستشراقية (المختصرة).

ج. نقد الموسوعات المختصة كما في (د)؛ مما يتعلق بنقد موسوعة المستشرقين.
وفحص عنوانات كثير من هذه الدراسات يكشف عن حضور مؤشر لغوي دال على النقد، من مثل: نظرات، وأباطيل وأضاليل؛ إلخ.

ثالثاً: مجال الثقافة العربية الإسلامية:

إن تحليل محتويات هذه الدراسات التي أنجزها الدكتور إبراهيم عوض، ورد الانحرافات التي أحاطت بها تربط هذه الدراسات وتشدها لتنتمي إلى حقل دراسات الثقافة العربية الإسلامية.

رابعاً: مجال دراسات الهوية وعلم القومية:

إن فحص كثافة العناية برد التحريفات والانحرافات التي جاءت محيطة بمعلومات ما تحت المداخل الاعتقادية والدينية والعبادية والتشريعية والأعلام الإسلامية والتاريخ الإسلامي، تحكم بانتماء هذه الدراسات النقدية إلى حقل دراسات الهوية الإسلامية، وعلم القومية، الذي يستهدف حماية محددات القومية الإسلامية.

وليس من شك لدينا في قابلية هذه الدراسات لاتساع جغرافية انتبائها المعرفية، وتمدها، ولكن هذه الأربعة الانتبئات هي أظهر ما يكشف عنه تحليل هذه الدراسات من عنواناتها وخطاب مقدماتها، وتحليل المعلومات المنقودة وفق الحقول المعرفية الإسلامية، والعلاقة بين المعجم والهوية، أو بين المعجم ورؤية العالم، من القضايا التي تقع في الصميم من البحث المعجمي؛ يقول الدكتور حسن حمزة: "إن المعجم هو المكان الطبيعي الذي يعكس نظرة العالم إلى اللغة، وهو يعكس أيضاً اللغة وتطور أهلها" (٣).

(١) النقد المعجمي في منجز إبراهيم عوض:

دراسة في المجالات:

تتنوع مجالات النقد المعجمي في منجز الدكتور إبراهيم عوض في هذه الميادين، وهو تنوع تابع لمعايير تقسيم هذه المجالات، تبعاً لأنواع الأعمال المرجعية مشغلة الانتقاد من جانب، وتبعاً لمنهج الرد على الانحرافات العلمية التي تورط فيها صانعو هذه الأعمال المرجعية، وتصنيفها عند انتقادها من جانب آخر.

وهو ما يستتبع معالجة هذا المطلب وفقاً لما يلي:

١.٢ مجالات النقد المعجمي تبعاً للنوع التصنيفي للأعمال المرجعية المتقدمة.

٢.٢ مجالات النقد المعجمي تبعاً لمنهجية الرد والانتقاد.

٣.٢ مجالات النقد المعجمي تبعاً لأصول الصناعة المعجمية.

وفيما يلي بيان ذلك، وتحليله:

(١.٢) مجالات النقد المعجمي تبعاً للنوع التصنيفي للأعمال المرجعية المتقدمة:

سبق هنا بيان أقسام الأعمال المرجعية، وتوزعها على ثلاثة أنواع تصنيفية، هي:

أ. المعاجم اللغوية العامة.

ب. المعاجم اللغوية المختصة أو النوعية.

ج. الموسوعات العامة والمختصة.

وقد كشف فحص الوعي بهذه الأعمال المرجعية عن إدراك ظاهر بطبيعة انتماءاتها التصنيفية. والتصنيف المعجمي واحد من أهم أعمدة البحث المعجمي، كما يقرر هارتمان في كتابه: المعاجم عبر الثقافات (ص / ٦٠)؛ حيث يقول إن أحد أهم التخصصات: "في البحث المعجمي هو التصنيف النوعي للمعاجم dictionary typology، ويعنى بطرق تصنيف تشكيلة واسعة من المعاجم التي نجدها في العالم".

وقد ظهر من تحليل منجز إبراهيم عوض في النقد المعجمي نوع وعي حقيقي بتصنيف الأعمال المرجعية من المعجمات والموسوعات التي نهض بنقدها، أو نقد المشكلات الثقافية التي وردت في التعليق على بعض مداخلها.

وتحليل خطابات المقدمات لمفردات منجزه في النقد المعجمي يدعم ذلك الذي نقرره في حقه، وفيما يلي من نصوص دالة على ذلك، نوردها ثم نحللها:

(أ) يقول الدكتور إبراهيم عوض في [النزعة النصرانية في قاموس المنجد (ص ٩٧): "المنجد قاموس... ويشيع بين الطلاب اقتناؤه؛ لأنه معجم عصري"، ويقول: "المنجد هو قاموس"، ويقول (ص ١٠): "المنجد إذن معجم"، ويقول (ص ١٥): "وقد اعتمد المعجم...". [وانظر: ص ١٣ / ٢٠؛ ٣ / ٣٢؛ ٨ / ٣٤؛ ١١ / ٣٦؛ ١٦ / ٣٧؛ ٥ / ٣٩؛ ٩ / ٤٣؛ ١٩ / ٤٣ / ١٣ - ١٥؛ ٤٧؛ ٣ / ٤٨ / ٨]، وغير ذلك من المواضع التي يشيع فيها استعمال: مصطلحي المعجم والقاموس في التعبير عن: المنجد.

- ويقول في الفصل الذي عقده لنقد الإفصاح لحسين يوسف موسى، وعبد الفتاح الصعيدي في [من ذخائر المكتبة العربية، ص ٢٥١]: "والمعجم الذي نعرض له بالتحليل

والنقد في هذا الفصل هو: معجم "الإفصاح في فقه اللغة" للأستاذين المصريين المعاصرين: حسين يوسف موسى، وعبد الفتاح الصعيدي. وقد كان الأول مفتشاً أول بالتعليم الثانوي، أما الثاني فكان عضواً بمجمع اللغة بالقاهرة".

- ويقول (ص ٢٥١): "وقد صدر هذا المعجم لأول مرة عام ١٩٢٩م (١٣٤٨هـ)". ويقول: "الإفصاح في فقه اللغة) من ذلك النوع من المعاجم المرتب حسب الموضوعات، وهو مقسم إلى ثلاثة وعشرين باباً تغطي الموضوعات الموجودة في دنيا البشر".

وقد تكرر استعمال مصطلح المعجم في التعبير والمعالجة النقدية لمسائل هذا العمل المرجعي في كثير من المواضع في هذا الفصل [انظر: ص ٢٥٣ / ١٥ - ١٩ - ٢٠؛ ٢٥٤ / ٢٥٥؛ ٣ - ١٦؛ ٢٥٧ / ٢٥٨؛ ٦ / ٢٦٣؛ ١٠ / ٢٦٩؛ ٢ / ٢٧٢؛ ٤]، وغير ذلك من المواضع.

من هذه النصوص يتضح وعي إبراهيم عوض الظاهر بالطبيعة التصنيفية للمعجمين؛ المنجد والإفصاح في فقه اللغة، بما هما معجمان لغويان عامان.

ولم تقف حدود علامات الوعي بالطبيعة التصنيفية لهذين المعجمين اللغويين عند حدود الاعتراف في التعبير عن انتهائهما التصنيفي، وإنما تجاوزت هذه الحدود إلى علامات أخرى شديدة الأهمية، من مثل:

أولاً: الربط بين معجم الإفصاح وتاريخ المعجمية العربية التراثية العريقة، وتطور التصنيف في المعجمات الموضوعية، وهو ما يعني استثمار معلومات التأريخ المعجمي للصنف الخاص بالموضوعات في بيان نوع هذا المعجم، وعراقة منهجه، واتصاله بتراث ممتد بلغ الذروة في نموذج: المخصص، لعلي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي (ت ٤٥٨هـ).

ثانياً: استثمار تقنيات الصناعة المعجمية؛ بما يكشف عن وعيه بطبيعة هذين العاملين المرجعيين؛ بما هما معجمان لغويان من مثل: طرق الترتيب للمداخل، وطرق شرح المعنى، ومعلومات التعليق على أبنية المداخل من جهتي الشكل والمعنى.

(ب) وفيما يتعلق بوعي إبراهيم عوض بتصنيف بعض الأعمال المرجعية ضمن المعجمات المختصة أو النوعية نورد له النقول التالية:

- يقول: (ذخائر المكتبة العربية، ص ١٦٠): "وقد سمي ياقوت كتابه: معجم البلدان، وهو اختصار في التسمية، وإلا فالكتاب ليس مقصوراً على ذكر البلدان وحدها".

ويقول (ص ١٦١): "إنه يقدم للقارئ مفاتيح المصطلحات والألفاظ الفنية التي يكثر ورودها في المعجم؛ كالبريد، والفرسخ والميل والكورة والريستاق والصلح والسلم والقوة والخراج... وهي كما ترى مصطلحات جغرافية وإدارية وفقهية".

ومن هذه النصوص يتضح لنا أن الدكتور إبراهيم عوض يصنف معجم البلدان ضمن المعاجم المختصة، التي تعنى بالألفاظ الفنية الجغرافية في الأساس، وما يدور في فلكها من مصطلحات مقترضة من المجالات الإدارية والفقهية، مما انتقلت إلى مجال المصطلحية الجغرافية في التراث العلمي الجغرافي العربي الإسلامي.

وهذا التصنيف هو أظهر الانتماءات المعرفية بمقياس كثافة ترديد لفظ "معجم" في المعالجة التصنيفية النقدية لهذا العمل المرجعي.

ولكن الملاحظ أنه أحياناً يستعمل مصطلحاً آخر هو "الموسوعة" يصف به هذا العمل في مثل قوله: (ص ١٦٢ - ١٦٣): "وقد سماه ياقوت... معجم البلدان على سبيل الاختصار، ويقول إن هذه التسمية مطابقة لمعناه (١ / ١٥)". وهو ما يتابعه فيه كراتشكوفسكي (تاريخ الأدب الجغرافي ١ / ٣٤٠): وهذا الذي يقول ياقوت ظلم لنفسه وغمط من حيث لا يدري لجهده الجبار في هذا الموسوعة العملاقة... فمن الواضح أن مراد "البلدان" لا يشكل إلا جزءاً واحداً من مواد المعجم، لقد اقتصر ياقوت في تسمية معجمه على أول شيء ذكره من محتويات هذا المعجم، وهو "البلدان".

وهذا نوع من التردد في تصنيف هذا المعجم المرجعي، يبدو مقبولاً، وله ما يسوغه، وهو في الحقيقة عمل ينتمي تصنيفياً إلى المعجمات الموسوعية المختصة، فهو معجم بمعيار الترتيب والوظيفة، وهو موسوعة بمعيار المادة والمعلومات، وهو مختص بمعيار الميدان والمجال المعرفي، وبمعيار الوظيفة التي استهدفت التعليم والثقافة.

ج. وقد ظهر وعي إبراهيم عوض من جانب أخير بقطاع آخر من الأعمال المرجعية المتميزة من المعجمات، وهو الموسوعات العامة والمختصة.

وقد تناولت سهمته في البحث المعجمي والموسوعي معالجة الموسوعات التالية في ثلاث دراسات، هي:

أولاً: ١٩٩٣م: موسوعة المستشرقين، لعبد الرحمن بدوي.

ثانياً: ١٩٩٥م: نظرات إسلامية في الموسوعة العربية الميسرة.

ثالثاً: دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية: أضاليل وأباطيل.

صحيح أن هذه الأعمال الثلاثة تابعت ما سمي به أصحاب الموسوعات أعمالهم في الغالب وهو التسميات التي استعملت مصطلحي:

١. الموسوعة ٢. دائرة المعارف.

وهما مصطلحان مترادفان ظهرا في مراحل تاريخية معاصرة؛ ترجمة للمصطلح الأوربي "encyclopedia" .. ولكن الدكتور إبراهيم عوض خالف هذا المبدأ في عنوان دراسته الأخيرة عندما استعمل: دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية، بدلاً من العنوان الذي نشر به العمل المرجعي المختصر لها، وقد نشره الدكتور راشد البراوي بعنوان: الموسوعة الإسلامية الميسرة، يقول (١ / أ) من تقديم الترجمة العربية، للموسوعة الإسلامية الميسرة، إشراف: جب، وكالمركز، ترجمة: د. راشد البراوي، (الهيئة العامة المصرية للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠١٣م): "أخرجت الهيئة المختصة دائرة معارف مصغرة عن الإسلام، وهي التي تقدمها بعنوان: الموسوعة الإسلامية الميسرة".

وقد استقر العرف العلمي على استعمال مصطلح الموسوعة، ربما لاعتبارات لغوية (كلمة في مقابل كلمتين في دائرة المعارف)، والشيوع والانتشار، ووضوح الدلالة.

وقد كشف تحليل خطاب مقدمات هذه الدراسات الثلاثة وعي الدكتور إبراهيم عوض بالبعد التصنيفي لهذه الأعمال المرجعية الثلاثة، وهو انتهاؤها جميعاً إلى نوع العمل المرجعي المعروف باسم الموسوعة.

ومن أقواله الكاشفة عن ذلك الوعي، ما يلي:

(من ذخائر المكتبة العربية، ص ٢٧٣): "وتحتوي موسوعة المستشرقين على تراجم لمئتي مستشرق ونيف من جنسيات مختلفة". وقد تكرر استعمال هذا المصطلح في مواضع كثيرة من دراسة الدكتور إبراهيم عوض كما في (ص ٢٧٤ / ٢٧٤؛ ٢٧٤ / ٢٧٤؛ ٢٧٤ / ٢٧٤)، وغير ذلك من المواضع.

ويقول في (نظرات إسلامية في الموسوعة العربية الميسرة، ص ٧): "تعريف بالموسوعة العربية الميسرة هي: موسوعة في مجلد واحد ضخمة". وقد تكرر منه ذلك الوصف العلمي في مواضع كثيرة من (٨ / ١٣؛ ٣ / ١٣؛ ٢ / ١٥؛ ٦ / ٤٩؛ ٨ / ٨٠؛ ١ / ٨٣؛ ١١ / ٨٥؛ ٢ / ٨٥)، وغير ذلك من المواضع.

ويقول في (دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية: أضاليل وأباطيل، ص ٥): "أصدر المستشرقون ... موسوعة كاملة عن الإسلام؛ ديناً، وتاريخاً، وحضارة وآداباً وعلومًا واقتصادًا وسياسية وأعلامًا، تسمى في العربية بدائرة المعارف الإسلامية ... وبعد صدورهما بفترة بدا لهم أن يتنخلوا من بين موادها التي تغطي كل أوجه الحضارة الإسلامية الخاصة بالدين وعلومه وأعلامه، ثم أصدروا ذلك في مجلد واحد بعنوان:

(shorter *encyclopaedia* of Islam)

يجد القارئ خلاصة الفكر الاستشراقي فيما يخص ديننا ورجاله".

ثم يقول: وقد ترجمها إلى العربية الدكتور راشد البراوي: وأصدرها ... باسم: الموسوعة الإسلامية الميسرة".

وقد تكرر استعمال مصطلحها الموسوعة، ودائرة المعارف في دراسة الدكتور إبراهيم عوض في مواضع كثيرة، من مثل: (ص ٦ / ٥؛ ص ٢١ / ٣؛ ١٠١ / ٩؛ ١٨٧ / ٢)، وغير ذلك من المواضع.

وهذه النقول تعكس إدراك الدكتور إبراهيم عوض الظاهر لطبيعة هذه الأعمال المرجعية في انتمائها إلى نوع الموسوعات العامة، أو النوعية المختصة بمجال معرفي بعينه.

وهو ما يحملنا على الاعتراف بأن الدكتور إبراهيم عوض واحد من أسماء معدودة تنتمي إلى مجال خدمة البحث العلمي المعجمي الموسوعي، من ناحية الوعي بالنطاقات التصنيفية التي تدرك فروق ما بين الأعمال المرجعية المنتمية إلى المعجمات من جانب، والتي تنتمي إلى الموسوعات من جانب آخر.

وبات واضحاً أن منجزه في النقد المعجمي والموسوعي قائم على الوعي بما يلي:

أولاً: التفريق بين الأنواع المتميزة من الأعمال المرجعية.

وتوزعها على نوعين، هما:

أ. المعجمات. ب. الموسوعات.

ثانياً: التفريق بين ما يعالج مداخل لغوية (ألفاظ/ كلمات)، وما يعالج مداخل علمية، وهو ما أنتج وعيه بمعاجم لغوية وغير لغوية.

ثالثاً: التفريق بين ما يتناول ميداناً مختصاً اصطلاحياً، وما يتناول ميادين أخرى عامة غير فنية أو اصطلاحية، وهو ما أفرز وعياً بالأنواع التصنيفية التالية:

أ. معاجم عامة.

ب. معاجم مختصة.

ج. موسوعات عامة.

د. موسوعات نوعية مختصة.

رابعاً: ظهور نوع إدراك مستتر لم يستعلن صراحة باختلاف الوظائف في توزعها على التصنيفات المختلفة للأعمال المرجعية؛ فقد ظهر من تحليل دراسات الدكتور إبراهيم عوض نوع وعي بأن وظيفة المعجمات هي مساعدة الباحثين والمستعملين؛ بما هي أعمال مرجعية تستهدف مساعدة المستعملين، وأن وظيفة الموسوعات هي التعليم والتثقيف، وهو الأمر الذي نلمحه من طول التعليقات التي ترد تحت مداخلها، مقارنة بقصر التعليقات تحت مداخل المعجمات.

(٢.٢) مجالات النقد المعجمي في منجز إبراهيم عوض من منظور منهجية الرد والانتقاد
(المنهجية الموضوعية):

إن فحص منجز إبراهيم عوض في النقد المعجمي والموسوعي، يكشف عن تبنيه منهجين ظاهرين في معالجته النقدية لما تعرض له من أعمال مرجعية معجمية وموسوعية، وهاتان المنهجيتان الغالبتان، هما:

أ. منهجية النقد الموسوعي (المعرفي).

ب. منهجية النقد المتابع (الشكلي / البنائي).

وفيما يلي بيان ذلك، والتدليل عليه.

(٢.٢.أ) منهجية النقد الموسوعي (المعرفي):

إن فحص الأعمال التالية يكشف عن الدخول إلى نقد عدد من الأعمال المرجعية المعجمية والموسوعية من باب بيان الأخطاء والانحرافات التي وقعت فيها، والتنبه عليها بعد ترتيب هذه الانتقادات وتبينها وفق المجالات والميادين والعلوم.

١. النزعة النصرانية في قاموس المنجد.

٢. نظرات إسلامية في الموسوعة الميسرة.

٣. دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية: أضاليل وأباطيل.

إن هذه المنهجية النقدية التي تنبع من جمع الانتقادات وترتيبها وفق المجالات والموضوعات ترعى منظور المستعمل، وتسعى إلى صيانة هويته، وحمايتها من طريق كشف الانحرافات والأخطاء المعرفية التي وردت في الأعمال المرجعية موضع النقد والرد.

وقد مثل موضوع (الإيمان) أو (العقيدة) الركيزة الأساسية في انتقادات إبراهيم عوض لما ورد في هذه الأعمال الثلاثة.

وهو الأمر الذي يكشف عن مركزية الفكرة الإيمانية الاعتقادية في تصور بناء الهوية المميزة للعقل المسلم أو الشخصية المسلمة من غيرها من العقول أو الشخصيات الأخرى.

وهو أمر يستند - كذلك - إلى إدراك واع للوزن النسبي لقضية الإيمان/ والاعتقاد؛ بما هي أصل أصول بناء التصورات "والأيديولوجيات"، وتأسيس رؤية مائزة للوجود والعالم.

وهو ما نلمس أدلة عليه في نقده العام للنزعة النصرانية في قاموس المنجد، وقد طالت انتقاداته الحقول المعرفية الفرعية التالية: أولاً: الإطار النظري؛ حيث ظهر وعيه بطبيعة العمل المرجعي، وأنه (ص ١): "إذن معجم نصراني، وهو من ثمة يمثل الرأي النصراني، ويعكس المشاعر النصرانية، ويعطي الصدارة دائماً لكل ما هو نصراني!" وهو ما يجعل سهمة إبراهيم عوض هذه واقعة في الصميم من دراسات المشكلات الثقافية في المعجمية المعاصرة.

ثانياً: الإطار التطبيقي؛ حيث غطت مراجعة إبراهيم عوض النقدية لقاموس المنجد النطاقات الفرعية المعرفية التطبيقية التالية:

١. شيوع الروح النصرانية في المعجم، لتصل إلى حدود التحرير؛ حيث لاحظ غياب البسمة عن المعجم، في حين لاحظ حلول البسمة وفق الصيغة النصرانية، بأقانيهما الثلاثة، وغياب وصف القرآن بالكريم، وغياب الصلاة على النبي، ﷺ، وغياب الترضي عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ (ص ١٠-١١).

٢. غياب المداخل المرتبطة بالمعرفة الإسلامية، من مثل: الحديث النبوي/ وأعلام المحدثين/ وكتب الصحاح، في مقابل الإفراط في إيراد المداخل المرتبطة بالنصرانية واليهودية.

٣. اعتماد الشواهد المعجمية من الكتاب المقدس، وهو خروج عجيب على نظرية الاستشهاد المعجمي في الدرس اللساني العربي القديم والحديث معاً، ولاسيما أن الكتاب المقدس في أصله "غير عربي"!

٤. شيوع الروح العنصرية وغير العلمية في معلومات التعليق على المداخل (ص ٢٠)؛ بقصدين ظاهرين:

أ. تبرئة التصورات النصرانية من كل معنى أو تصور غير عقلي أو منطقي.

ب. السكوت عن المعلومات التي من شأنها بيان صحة التصور الإسلامي، كما لاحظ إبراهيم عوض في التعليق على مدخل (الفارقليط/ البارقليط) قول (ص/ ٤١): "والملاحظ

أنه لم ينص (أي محرر المعجم) على معناها عند المسلمين، الذين يقدمون الدلائل اللغوية والتاريخية على أنها تعني النبي محمد ﷺ!

ومن هذه العناصر يتضح أن النقد المعجمي الذي ركز على فضح الانحرافات والأخطاء التي وردت في قاموس المنجد، استهدف كشف ما كان من النخبة النصرانية في العصر الحديث من استثمار للمعجم المدرسي؛ بما هو مرجع مساعد ومهم في التحصيل الدراسي، وبناء التصورات الثقافية - في بناء تصورات اعتقادية ضارة بالإيمان الإسلامي.

وهو ما يعكس أن تاريخ المعجمية العربية المعاصرة في جانبه غير المسلم يحتاج إلى فحص وتحليل؛ ففي ضوء المنظور الثقافي في النقد المعجمي يتضح أن منجز إبراهيم عوض في النقد المعجمي نهض وقام لدواعٍ وطنية وقومية وعربية!

ولا يقف الأمر في منجز إبراهيم عوض في النقد المعجمي من منظور موضوعي ومعرفي عند حدود انتقاد النزعة النصرانية في قاموس المنجد، ولكنه تجاوزه إلى الأعمال المرجعية الأكثر ارتباطاً بوظيفة التعليم والتثقيف، وهي الموسوعات أو دوائر المعارف، سواء كانت عربية، أو غير عربية.

ففي دراسته النقدية (نظرات إسلامية في الموسوعة العربية الميسرة) طالت انتقاداته وردوده على الانحرافات والأخطاء العلمية النطاقين التاليين:

أولاً: النطاق التنظيري؛ حيث ظهر وعيه بما يدعم الروح غير العلمية الكامنة في ثنايا العمل يقول (ص / ٧): "وقد أسهمت مؤسسة فورد الأمريكية بمعظم النفقات التي تطلبها إخراج هذه الموسوعة، كما قامت على طبعها مؤسسة فرانكلين الأمريكية، واعتمد محررو الموسوعة - إلى حد كبير - على "موسوعة مكولومبيا فاينكنج دسك/

The Columbia Viking Desk encyclopedia، وعلى إدارة تحريرها والعلماء الذين حرروها وأشرفوا عليها؛ أي أن أمريكا وراء هذا العمل بأموالها وتوجيهها".

وهو أمر يعيد التذكير بما كشفت عنه "ساندرز" من دور المخابرات الأمريكية في توجيه الشأن الثقافي؛ على مستوى الأفكار والمؤسسات والإصدارات في العالم العربي، في كتابها: (من دفع أجر الزمار؟!)

ثانيًا: النطاق العملي / التطبيقي؛ حيث قسم ردوده وانتقاداته لما ورد في هذه الموسوعة من انحرافات وأخطاء تقسيماً موضوعياً معرفياً، ضم المجالات التالية:

- أ. الأنبياء (ص ص ١٣ - ٢٥).
- ب. الأديان وكتبها وأصحابها (ص ص ٢٥ - ٤٠).
- ج. الغيبات (ص ص ٤٠ - ٤٨).
- د. مسائل الفقه (ص ص ٤٨ - ٥٩٩).
- هـ. النواحي الاجتماعية والسياسية (ص ص ٦ - ٦٤٩).
- و. التاريخ والجغرافيا (٦٤ - ٧٨).
- ز. تراجم الأشخاص (٧٨ - ٩٤).
- ح. متفرقات (٩٤ - ٩٩).

وتأمل هذه المباحث يكشف عن ارتفاع الوزن النسبي لما يتعلق بالدين بالمعنى الاصطلاحي الضيق، حيث شغل برد الانحرافات الواردة عن معلومات الباحث (أ؛ب؛ج؛د).

وفي الوقت نفسه شُغل بأمر العناية بقضية الإيمان / والاعتقاد على الأوزان النسبية، حيث عاجلتها المباحث الثلاثة الأولى (أ؛ب؛ج) بنسبة مئوية تقترب من ٥٦٪ تقريباً من حجم الدراسة النقدية لهذه الموسوعة العربية الميسرة.

وقد تناولت انتقادات الدكتور إبراهيم عوض المسائل التالية:

١. غياب مداخل كثيرة خاصة بعدد من الأنبياء، ولاسيما الأنبياء العرب، فيما عدا النبي الخاتم ﷺ (ص / ١٧).
٢. تبني تصورات أهل الكتاب في عدد من المداخل الخاصة بالأنبياء، وانتشار مداخل للوعاظ والمتصوفة النصارى (ص ١٣)، وشيوع الروح الكتابية التي ترى في الأنبياء أشخاصاً عاديين غير معصومين، تنسب لهم جوانب قائمة من الحياة (ص ١٥).

٣. تبني اعتقادات النصرارى من دون عزو أو نسبة ذلك لهم وحدهم، ولاسيما فيما يخالف عقيدة المسلمين، كما نرى في عقيدة الصلب عندهم (ص ٢٤)، يقول: "على أن العقيدة النصرانية في صلب المسيح عليه السلام ماثوثة في عدد غير قليل من المواد التي تحتوي عليها الموسوعة، دون أن ينص على أن ذلك هو ما يعتقدُه النصرارى، أو يورد رأى الإسلام فيه".

وبتحليل بقية الفصول الأخرى التي تنتقد ما ورد في هذه الموسوعة من معلومات التعليق على الأديان وكتبها وأصحابها، والغيبات، ومسائل الفقه، نجد أن الموسوعة خالفت الحقيقة في كثير من المداخل الدينية، ومن ذلك:

١. نسبة التوحيد إلى الأديان الثلاثة السماوية الكبرى: اليهودية والنصرانية والإسلام، من أن اليهودية والنصرانية زعمتا أن الله تعالى ولدًا.

٢. إيراد المزاعم التي تقرر النقاء العرقي لليهود، ونقاء شريعتهم!

وهي أساطير شائعة يروجها اليهود عن أنفسهم، لم يكن يليق بالموسوعة العربية إيرادها.

٣. إيراد الزعم بأن التوراة هي كتاب الله المنزل على موسى، كما قرر القرآن، وهو أمر غريب غير صحيح؛ ذلك أن القرآن حين يذكر التوراة فإنه يقصد تلك التوراة التي أنزلت على موسى قبل أن تتلاعب بنصوصها وتفسيراتها أيدي الهوى والتوظيف اليهودية!"

وفحص انتقادات الدكتور إبراهيم عوض فحصًا هادئًا نخرج بنتيجة مفادها عدم خلوصها للرد على المعلومات المغلوطة والمنحرفة والناقصة فقط، وإنما يتجاوزها إلى نقد بعض مسائل المنهجية المتعلقة بالصناعة، أو نظرية المعجم وبناء الموسوعات، ومن ذلك:

١. انتقادات تورط الموسوعة في ملامح من التشتت الموسوعي، نتج من توزيع معلومات القضية الواحدة على مداخل متباعدة من دون تطبيقات التماسك المفهومي أو المعجمي، يقول (ص ٥٧): "إن تجزئة الموضوع (الواحد) ... وتوزيعه على أنحاء الكتاب هو من العيوب!"

٢. انتقاد عدم الدقة في صياغة التعليقات على عدد من المداخل، يقول (ص / ٥٨): "على أن عدم الدقة في صياغة الأحكام الفقهية موجود هنا".

ومن المدهش المثير للإعجاب ظهور الوعي بأن هذا النقد لانحرافات هذه الموسوعة يولد من الرحم العلمي الحريص على تصحيح المعلومات؛ طلباً لعافية العقل العربي المسلم المعاصر، كما يولد من الرحم المهني الذي يدرك طبيعة الوظائف المنوطة بتحقيقها بالموسوعة؛ بما هي عمل مرجعي يتغيا تحقيق التعليم والتثقيف.

كما يولد من رحم الهوية الحاضرة يقول (ص ٩٩): "إن هذه الردود والانتقادات تستهدف تنقية هذه الموسوعة من "الثقوب والثغرات في جدار صمودنا الروحي والفكري والنفسي!" وبمثل هذه الروح الإيمانية/ العلمية توجه الدكتور إبراهيم عوض إلى نقد الانحرافات والأخطاء التي وقعت في الموسوعة الإسلامية الميسرة في كتابه (دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية: أضراليل وأباطيل).

وهذا العمل أصرح من سابقه في بيان الحرص على الهوية الإيمانية والثقافية التي تتهددها هذه الموسوعة الاستشراقية، وهذا الحكم وارد من الضميمة الإيضاحية في العنوان المتمثلة في (أضراليل وأباطيل).

وقد توزعت الردود والانتقادات التي علقها الدكتور إبراهيم عوض على الموضوعات والحقول المعرفية التالية:

أ. القرآن الكريم.

ب. محمد ﷺ.

ج. العقيدة.

د. الأمور الفقهية.

هـ. التاريخ.

و. المسائل اللغوية.

ز. ترجمة النصوص القرآنية والتعليق عليها في الموسوعة.

وتحليل الكثافة المادية للحقول المعرفية مشغلة الردود والانتقادات يدعم ما ظهر في العملين المرجعيين السابقين، من تعالي الوزن النسبي للعناية بمحددات الهوية الإسلامية.

فقد شغلت العناية بحقول الدين بالمعنى الواسع خمسة مباحث من إجمالي سبعة مباحث هي (أ؛ ب؛ ج؛ د؛ ز)، بنسبة مئوية تقترب من ٥٥٪ تقريبًا.

وتأمل هذه الترتيب الموضوعي يخرج بنتيجة مفادها الحرص الشديد على الأصول المؤسسة للإيمان الإسلامي، فالقرآن الكريم والنبي ﷺ والعقيدة أصول كلية مؤسسة للتصور الإسلامي.

كما أن تحليل هذا البناء المنهجي للردود والانتقادات يكشف عن وعي مستقر بما جاءنا من نظرية تصنيف العلوم في الحضارة العلمية عند المسلمين، التي تقسم العلوم على أقسام: منها قسم للعلوم الشرعية، بما هي علوم غايات، وهو القسم الذي انضوت تحته المباحث: (أ؛ ب؛ ج؛ د) وقسم للعلوم العربية؛ بما هي علوم آلات، وهو القسم الذي انضوت تحته المباحثان (ه؛ و).

وقد كان المنطق المعرفي (الإبستمولوجي) يقتضي ضم الانتقادات والردود التي علقها إبراهيم عوض على ترجمة النصوص القرآنية والتعليق عليها في الموسوعة إلى المبحث الأول المختص بالردود على الانحرافات التي وقعت من الموسوعة نحو الكتاب العزيز؛ أي كان الواجب أن يرد المبحث (ز) بعد المبحث (أ) ملحقًا له، أو تكمله لمسائله!

وقد جاءت الردود في هذه الدراسة النقدية لهذه الموسوعة الاستشراقية موزعة على نطاقين، هما:

أولاً: النطاق التنظيري الذي يكشف عن الوعي بطبيعة الانتماء المعرفي لهذا العمل المرجعي؛ بما هو موسوعة تستهدف العبث بمحددات الثقافة للهوية الإسلامية.

يقول (ص / ٥): "وقد عكفت على هذا الكتاب (الموسوعة) أقرؤه، وأتمعن فيه، فهالني ما يسوده من **انحراف** عن المنهج العلمي، و**عداوة بارزة** للإسلام، ورسوله وكتابه، وعقائده، وشرائعه، ورغبة حارقة في تلطيح كل شيء فيه، ولم أجد مرة أحدًا من كتاب الموسوعة (ومحرريها) قد تحدث عن ديننا ورسولنا وقرآنا بشيء من رحابة الصدر وسعة الأفق ...

وقد دفعني ذلك كله إلى **الكتابة** عن هذه الموسوعة، **وتبيين ما فيها من انحراف** عن منهج البحث العلمي، وإلقاء الضوء على الأخطاء الرهيبة والتناقضات الخطيرة التي تطفح بها، وتنبه القارئ إلى النوايا البشعة التي تكمن خلف ذلك!"

ثانياً: النطاق التطبيقي / العملي، وهو النطاق الذي غطى الانتقادات والردود العلمية للأخطاء والانحرافات التي وقعت في المعلومات التي أوردتها الموسوعة في سياق التعليق على معاني المداخل المختلفة.

وهي الانتقادات والردود التي جمعها الدكتور إبراهيم عوض، ورتبها مفهوماً تبعاً للحقول المعرفية التي ترعى العلوم الشرعية والعربية، كما مر بيانه هنا.

وقد تناولت هذه الردود والانتقادات القضايا والمسائل العلمية التالية:

ففيما يتعلق بالدفاع عن الكتاب العزيز يقرر الدكتور إبراهيم عوض في مواجهة بوهل:

١. رد دعوى تطور القرآن الكريم، وتغير صياغته مع الزمن، وهي دعوى ساقطة نبه عليها الكتاب العزيز في قوله: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَّايَ نَفْسِي ۗ إِنِّي أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [يونس: ١٥].

٢. إسقاط دعوى وجود ألفاظ يهودية ونصرانية في سورة الفاتحة! بتحليل تراكيب السورة الجليلة في مقابل الأفكار اليهودية والنصرانية، ذلك أن ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مثلاً تصور إسلامي، في مواجهة تصور يهودي يرى في الله تعالى إلهاً لبني إسرائيل فقط، وأن ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ فكرة إسلامية خالصة في مواجهة "صمت العهد القديم في الآخرة والحساب والثواب العقاب" (ص / ١٦).

٣. إسقاط دعوى أن القرآن الكريم يؤسس لديانة غير رهيبة ولا رقيقة بالاستشهاد بآيات كثيرة من الأنجيل مملوءة "بالشتائم والعبارات الخشنة التي نسبها العهد الجديد لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حقاً أو باطلاً" (ص / ١٧).

إن المنطق العقلي والإيماني لا يسوي بين المؤمنين والمجرمين!

وفي مواجهة بوهل كذلك محرر المدخل الخاص بمحمد ﷺ، يقرر ما يلي - رداً وانتقاداً ودفاعاً وبياناً للحقيقة العلمية المفترى عليها:

١. دفع اتهام مصادر السيرة النبوية بلا دليل، وقد بين الدكتور إبراهيم عوض تناقضاً منهجياً من بوهل، الذي رد هذه المصادر العلمية، واتهمها وهو في الوقت نفسه يعتمدها في

بناء مادة ما يكتبه؛ يقول (ص / ٢١): "إن هذا الكاتب الذي رفض تلك المصادر هو نفسه الذي تكرر رجوعه لها، واعتماده عليها، وإحالة إليها على مدى مقاله!"

٢. إسقاط دعوى وثنية النبي ﷺ قبل بعثته، ولو كان لواجهه مشركو العرب عند انتقاله لدعوتهم إلى الإسلام، وبعض الشعائر المنسوبة إلى الوثنية مما كان يارسها رسول الله ﷺ قبل البعثة ليست من الوثنية في شيء؛ كالذبح، فهي شعيرة من لدن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٣. إسقاط دعوي تأثر النبي ﷺ فكرياً بأهل الكتاب، وهي تهمة عاصرت زمان التنزيل، وتكفل الكتاب العزيز بهدمها.

٤. إسقاط دعوى الأساس السياسي فقط الذي حكم هجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، يقول (ص ٤١): "إن الاتفاق الذي تم بينهم (أهل المدينة) وبينه عَلَيْهِ السَّلَامُ قائم على أساس ديني لا سياسي". ويشير في الهامش: إلى أنه سبق منه رفض الملك والزعامة في بدء دعوته في مكة المكرمة!

٥. إسقاط دعوى عدم الاتصال بالمقوقس عظيم القبط في مصر، بذكر آثار هذا الاتصال المائل في إهدائه: مارية القبطية وأختها سيرين إلى رسول الله ﷺ، وزوجها وإنجابها في المدينة، إبراهيم من مارية من رسول الله ﷺ وعبد الرحمن من سيرين من حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفيما يتعلق بما ورد في هذه الموسوعة من أخطاء وانحرافات تتعلق بالعميقة يذكر الدكتور إبراهيم عوض في الرد عليها وانتقادها ما يلي:

١. إثبات معرفة العرب الجاهلين للملائكة في مواجهة إنكار الموسوعة لذلك؛ بنصوص من الكتاب العزيز، والشعر الجاهلي لشعراء؛ كعلقمة بن عبدة، وأمّية بن أبي الصلت، والأعشى ميمون بن خنيس.

٢. إسقاط دعوى وجود تناقضات بين أسماء الله الحسنى!، بالإحالة إلى طبيعة اللغة المعبرة عن هذه الدلالات، وإرادة الكشف عن أسماؤه سبحانه.

٣. إسقاط دعوى تأثر القرآن الكريم - في وصفه للجنة - بها في النصرانية من تصاوير، بتحليل فيلولوجي ولغوي معاً، يكشف فيه عن أن تصاوير النصراري تظهر الملائكة ذوي أجنحة والكتاب العزيز يتكلم عن أهل الجنة من المؤمنين!

٤. إسقاط دعوى سيادة عقيدة الجبر في نهاية حياة النبي ﷺ، بالاستناد إلى تزايد الطاعة والعمل الصالح والجهاد، يقول (ص / ٩٧): "وكيف تكون عقيدة المسلمين الأوائل هي الجبرية المطلقة، وقد تحدوا مجتمعهم وقبائلهم وشقوا لأنفسهم طريقاً مستقلاً يعلو على ظروف القهر والتعذيب العنيفة القاسية التي واجهتهم ... وفرضوا شخصيتهم على التاريخ الإنساني، وغيروا مجراه؟!".

إن فحص هذه الدراسة النقدية للمشكلات الثقافية والمعرفية التي تورط فيها محرو هذه الموسوعة الاستشراقية المختصرة، يكشف عن مجموعة من الملامح المهمة للغاية، هي:

١. الانطلاق من إرادة صيانة هوية العقل المسلم المعاصر، برد هذه الانحرافات والأخطاء الواقعة في ميادين الإيمان والاعتقاد، وأصوله المؤسسة من الكتاب العزيز، وشخصية النبي ﷺ، والأحكام الفقهية التي جاء بها للعالمين.

٢. تأسيس الردود والانتقادات في كثير من فصول هذه الدراسة على أساس فيلولوجي ولساني ظاهر جداً.

وهو الأمر الذي يظهر معه وعي إبراهيم عوض بسهمة اللسانيات أو العلوم اللغوية في دفع اتهامات الاستشراق ضد العلم الإسلامي، من جانب، كما يظهر معه الوعي بدوران المعرفة الإسلامية حول الكتاب العزيز؛ بما هو المصدر والمرجعية الحاكمة للتصور الإسلامي للوجود والعالم، والكتاب العزيز في أصل النظر إليه: "معجزة لغوية"، كما قرر علماء علوم القرآن المعاصرون، من مثل: محمد عبد الله دراز، ومحمد أبي زهرة، وغيرهما.

٣. وقوع تداخل في معالجة الردود، مع تبني الترتيب الموضوعي المعرفي؛ ففي الفصل الخاص بدفع تخليطات الموسوعة في مسائل الفقه، وقعت مسائل اعتقادية بالأساس، من مثل

الكلام عن التوحيد في (ص ١٢٧)؛ يقول: "ويحاول كاتب مادة "شبية" غمز توحيد المسلمين الذي اشتهروا به". وفكرة التوحيد تنتمي معرفياً إلى باب الاعتقاد والإيمان.

٤. وضوح المنهجية الدقيقة في تتبع هذه الانحرافات بالعودة إلى النص الأصلي (غير المترجم)، وهو ما كشف عما يلي:

أ. سقوط نصوص لم يترجمها المترجم العربي الدكتور راشد البراوي.

ب. تغييرات بالزيادة والنقصان والتبديل بلا مسوغ في أحيان كثيرة.

٢,٢ ب. منهجية النقد المعجمي والموسوعي المتابع (الشكلي/ البنائي):

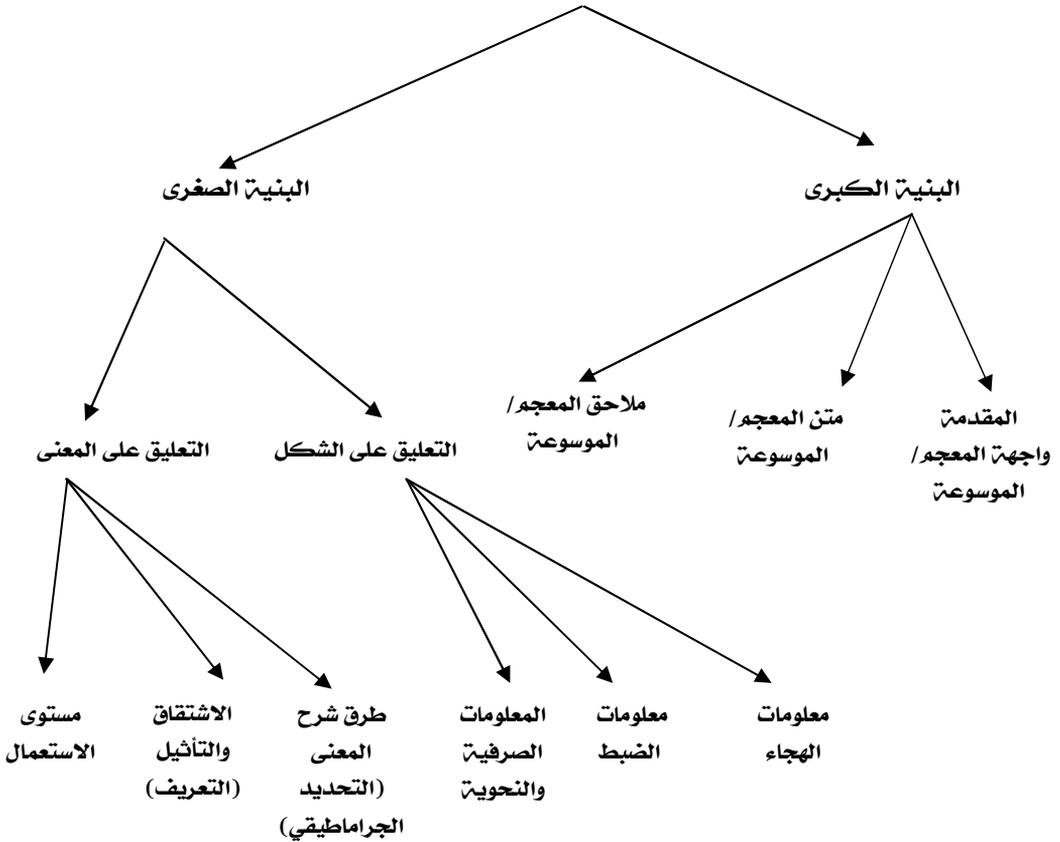
(المنهجية الشكلية):

ثمة مجموعة أخرى من بحوث منجز إبراهيم عوض اتبعت المنهجية الشكلية في رد عدد من الأعمال المرجعية من نوع المعجمات والموسوعات.

ويقصد بالمنهجية الشكلية في نقد الأعمال المرجعية متابعة نقدها وفقاً لبنائها، أو وفقاً لنقد المعلومات بحسب ورودها في البنية الكبرى للعمل المرجعي، ثم بحسب ورودها في البنية الصغرى للعمل نفسه.

وبنية أي عمل مرجعي - ولاسيما المعجم والموسوعة - تتأسس على نوعين يوضحهما المخطط التالي:

بنية المعجم / الموسوعة



[هذا المخطط مستوحى من كتاب هارتمان: Dictionary of lexicography, p 92- 94].

وقد طبق إبراهيم عوض هذه المنهجية في النقد المعجمي / والموسوعي في الأعمال التالية:

١. معجم البلدان، لياقوت الحموي في كتابه [من ذخائر المكتبة العربية، ص ١٥٥ -

[١٨٦].

٢. الإفصاح في فقه اللغة، لموسى والصعيدي [من ذخائر المكتبة العربية، ص ٢٥١ -

[٢٧٢].

٣. موسوعة المستشرقين، لعبد الرحمن بدوي [من ذخائر المكتبة العربية، ص ص ٢٧٣ - ٣٠٦].

لقد سبق منا هنا في المقالة (١.٢) - التي استقلت بفحص وعي إبراهيم عوض بالنوع التصنيفي للأعمال المرجعية - بيان إدراك إبراهيم عوض بانتهاء هذه الأعمال المرجعية إلى: المعاجم المختصة (النوعية) كما في (١)، والمعاجم اللغوية العامة كما في (٢)، والموسوعات المختصة النوعية كما في (٣).

وسنركز في هذه المقالة على بيان حدود الوعي بالنقد المعجمي تبعاً للمنهجية الشكلية المستصحة لمفهوم بنية العمل المرجعي في مستوييها الموزعين على البنية الكبرى (الهيكلي)، والبنية الصغرى (المحتوى).

(أ) ومن تحليل نقد إبراهيم عوض لمعجم البلدان نلمح ما يلي:

١. فحص مقدمة معجم البلدان (١٥٨).
٢. فحص الأبواب التمهيدية (ص ١٥٨)، ولم يسمها معاً بواجهة المعجم، وهما قسم واحد تبعاً لمفهوم البنية الكبرى.
٣. صلب المعجم نفسه (متن المعجم) (ص ١٥٨)؛ يقول: "يتألف (معجم البلدان) من: مقدمة، وخمسة أبواب تمهيدية، ثم صلب المعجم نفسه".

وهذه العناصر هي مكونات ما يعرف في المعجمية باسم عناصر البنية الكبرى، والمقدمة والأبواب التمهيدية تمثل واجهة المعجم front matter، وبها عالجت بعض الفصول التمهيدية ما استقل فيما بعد حديثاً في الملاحق. وصلب المعجم هو متنه المكون من المداخل وما تحتها من معلومات، وتنهض بالتعليق عليها من جهتي الشكل والمعنى، والصلب middle matter.

وقد أخلص إبراهيم عوض في دراسته لهذا المعجم للوجهة الوصفية، من دون عرضها على الأصول المستقرة اللازم تحقيقها كما تقرر المعجمية الحديثة، وهو ما يفسر غياب الروح النقدية لما غاب من معلومات المقدمة، من مثل:

١. إرشادات الاستعمال.

٢. خصائص المعجم ومميزاته.

٣. طريقة جمع المادة.

وقد توقف إبراهيم عوض أمام منهج ترتيب مداخل معجم البلدان، فبين أن الترتيب الخارجي جاء ألفبائياً، ونبه إلى أنه ترتيب ألفبائي جذعي steam؛ أي وفق منطوق المداخل واستعمالها من دون التجريد أو الرد إلى الجذور، كما بين أن الترتيب الداخلي - أي في داخل كل فصل / أو حرف هجائي - جاء ألفبائياً يراعي الحروف الثواني والثالث؛ إلخ.

يقول إبراهيم عوض (ص / ١٦٣): "والمعجم مرتب على الألفباء ... ولكنه يقدم الواو على الهاء ... وقد قام الترتيب على الحرف الأول، فالحرف الثاني، فالثالث، وهكذا ... كما روعي فيه إبقاء الكلمة على ما هي عليه، دون محاولة لتجريدها من أحرف الزيادة".

وهو ما يفسره بالسهولة والتيسير على المستعمل، وهو ما يعرف في المعجمية الحديثة برعاية منظور المستعمل user perspective.

ويتوقف الدكتور إبراهيم عوض أمام ما يلي من معلومات البنية الصغرى، دون توزيعها على نوعيها: التعليق على الشكل، والتعليق على المعنى:

١. معلومات الضبط (ص ١٦٦).

٢. معلومات صرفية (ص ١٦٦).

٣. معلومات المعنى من التعريف، والاستشهادات، ومستوى الاستعمال، في بيان فروق المعنى في اللغة وميدان الجغرافيا (ص / ١٦٧).

٤. المعلومات الموسوعية (ص ١٨١) من عادات، وأعراف، وأسماء أطعمة، ونباتات؛ إلخ.

ويلاحظ على المعالجة النقدية لهذا المعجم أنها جاءت انطباعية (ذوقية)، غير خاضعة لتنظيم؛ بسبب من عدم استصحاب الأصول المستقرة في المعجمية لما ينبغي أن يكون عليه المعجم في بنيته الكبرى والصغرى.

وعلى الرغم من هذه الانطباعية (الذوقية)، فإن نقده جاء - في كثير من مواضعه - محكماً؛ بسبب من المكانة العلمية المرموقة التي يتمتع بها، والثقافة الموسوعية التي يجوزها.

وقد أنتجت هذه الانطباعية في النقد الملامح التالية:

١. غياب التنظيم لمفردات النقد، وعدم توزيعها على نوعي البنيتين؛ الكبرى والصغرى.
٢. غياب استعمال المصطلحات الفنية المستقرة في علم المعجمية، فلم يظهر استعمال مصطلحات: الترتيب الجذعي (للترتيب التي يعتمد منطوق المداخل من دون ردها للجذور)، ولا ظهر: التعريف، أو طرق شرح المعنى، أو مستوى الاستعمال، أو التأثيل، وغير ذلك.

٣. غياب معالجة مسائل مهمة تندرج تحت البنية الصغرى، من مثل معلومات التأثيل etymology.

٤. غياب تفاصيل مهمة في بيان منهج ترتيب المداخل في كل فصل، من مثل عدم النص على اعتبار ياقوت لكلمات من مثل: ابن وأم في أبنية المداخل عند ترتيبها، وهو ما يفسر لنا مثل ورود المداخل التالية في باب الألف (٧٩ / ١) ابن ماما / وابن مدي، و (٢٥٣ / ١) أم سحل / وأم صبار، وغير ذلك.

وعدم وضوح منهجية ترتيب المداخل البسيطة (من كلمة واحدة)، والمركبة (أكثر من كلمة) عند تشابه الحروف.

وهو ما أنتج نوعاً من اضطراب الترتيب لم ينبه عليه، من مثل ورود مدخل (أمر) [١ / ٢٥٢] بعد (أم رحم)، والصواب أن يكون قبل (الأمرء) وبعد (أمديزة)؛ وكذلك كان ينبغي وقوع (بلخ) بعد (بلج) وقبل (بلخان) [١ / ٤٧٩].
وهذه مسائل في غاية الأهمية في النقد المعجمي؛ لأنها تتعلق بمنهجية الترتيب ورعاية المستعملين.

(ب) أما تحليل دراسة إبراهيم عوض لمعجم الإفصاح في فقه اللغة، فيكشف عما يلي:

١. الوعي بالجنس التصنيفي لهذا المعجم، يقول (ص / ٢٥١): "والإفصاح في فقه اللغة من ذلك النوع من المعاجم المرتب حسب الموضوعات". وهو وعي يحيط بامتداده التراثي، ويقول: "ومنها (أي من المعاجم) في لغتنا ... (المرتبة حسب الموضوعات)".

٢. ثمة ما يشير - من وجه خفي - إلى ارتباط هذا المنهج في الترتيب برؤية العقل العربي للعالم؛ يقول (ص ٢٥١): "وهو مقسم إلى ثلاثة وعشرين بابًا تغطي الموضوعات الموجودة في دنيا البشر". ثم يقول (ص ٢٥٣): "فها نحن نرى أن "الإفصاح" يغطي كل ما في دنيا البشر من: إنسان، وحيوان، ونبات، وجماد، وما يتصل بكل جنس من هذه الأجناس".

٣. الوعي بالامتداد التراثي لهذه المنهجية في تاريخ المعجمية العربية؛ يقول (ص ٢٥٣): "وليس الإفصاح هو أول معجم يرتب الكلمات حسب موضوعاتها؛ فإن المعاجم التي من هذا القبيل جد قديمة في المكتبة العربية ... بدأت على هيئة كتب صغيرة، يضم كل منها الكلمات المتصلة بموضوع واحد من الموضوعات، ثم انتهت بالمعاجم التي على شاكلة الإفصاح ... وقد بلغت ذروتها في معجم (المخصص) (لا الخصائص كما ذكر الدكتور إبراهيم عوض، في س ٢١٨؛ ٢١٨ سهواً)، وسبق قلم فيما يبدو لابن سيده الأندلسي" (ت ٤٥٨هـ).

٤. وقد تناولت معالجة هذا المعجم الجوانب التالية:

أ. مصادر جمع المادة (المخصص، لابن سيده، القاموس المحيط، للفيروزآبادي، وفقه اللغة للثعالبي، ومختار الصحاح للرازي، والمصباح المنير للفيومي، واللسان لابن منظور، وأساس البلاغة للزنجشيري، ومبادئ اللغة للإسكافي).

ب. أهمية المعجم (التصنيف المفهومي للموجودات، وأسائها).

والحق أن هذه العناصر جزء من مكونات واجهة المعجم، وكان الأجدر من الناحية المنهجية النقدية بيان ذلك.

٥. تابع الدكتور إبراهيم عوض الدارسين الذين رأوا في الإفصاح مجرد تلخيص أو تهذيب لمعجم المخصص لابن سيده، والحق أن معجم الإفصاح أقرب في بنائه لمعجم الغريب المصنف، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (سنة ٢٢٤هـ)، ففي حين جاء الإفصاح في ثلاثة وعشرين بابًا افتتحها ببيان خلق الإنسان، فإن معجم الغريب المصنف جاء في خمسة وعشرين (٢٥) بابًا، افتتحها كذلك بباب خلق الإنسان!

٦. جاءت معالجة معلومات التعليق على الشكل (من الضبط والهجاء والمعلومات الصرفية) مشتتة، غير خاضعة لنظام أو ترتيب ما.

٧. جاءت معالجة معلومات التعليق على المعنى (من طرق شرح المعنى، والتأثيل والعلاقات الدلالية، ولاسيما الترادف) مشتتة كذلك، لم ينتظمها منهج ولا تنظيم ما (ص ٢٦٢).

وقد أحسن الدكتور إبراهيم عوض في رصد الاضطرابات التي أحاطت بمعالجة طرق شرح المعنى، والتقط عيوب التعريفات التالية:

- أ. غموض التعريفات (ص ٢٦٤).
- ب. عدم تحديد بعض التعريفات (ص ٢٦٣).
- ج. خطأ بعض التعريفات (ص ٢٦٥).
- د. تضارب في بعض التعريفات (ص ٢٦٥).
- هـ. الوقوع في الدور وهو تفسير كلمة بكلمة، ثم تفسير الكلمة الأخرى بالكلمة السابقة (الجسيمة بالبدينة، والبدينة = الجسيمة)، وهو ما سباه "مصادرة على المطلوب" (ص ٢٦٦).
٨. النزوع من منحى أخلاقي في نقد هذا المعجم، يقول (ص ٢٣٠): "إنني لم أذكر هذه المآخذ لأقلل من شأن الكتاب؛ فالحقيقة أنه كتاب على جانب عظيم من الأهمية ... ولكنني فعلت ذلك رغبة مني في أن يكون أقرب شيء إلى الكمال".

ويلاحظ على نقد الدكتور إبراهيم عوض لهذا المعجم ما يلي:

١. الوفاء في نقده للبناء المنهجي (مقدمة/ وصلباً).
٢. استغراق الانتقادات، للمنهج الترتيبي، والوظائف المعجمية الموزعة على وظائف الشكل (الصيغة من ضبط ومعلومات صرفية)، ووظائف المعنى (من تعريفات تعييناً).
٣. الوعي بامتداده التصنيفي في التراث المعجمي العربي.
٤. عدم الانتظام والترتيب في إيراد الانتقادات والمآخذ مرتبة وفقاً لأصول المعجمية، والأولى إيرادها وفقاً للمنهجية التالية:
- أ. الانتقادات الموجهة لواجهة المعجم، المصادر، المنهج، إرشادات الاستعمال، والخصائص، والأهمية، والدوافع؛ إلخ.

ب. الانتقادات الموجهة لمتن المعجم، ترتيب الأبواب خارجياً، وترتيب الكلمات في كل باب، طرق شرح المعنى، والتعريفات (الأساسية) والمساعدة، وهي الموضحات البصرية من الصور والرسوم، ومعلومات الشكل: من الضبط/ والهجاء، والمعلومات الصرفية والنحوية ومعلومات الاشتقاق والتأثيل، والعلاقات الدلالية، ومستوى الاستعمال، والمعلومات الموسوعية، والشواهد المعجمية.

(ج) ومن تحليل نقد إبراهيم عوض لموسوعة المستشرقين، يتضح ما يلي:

يكشف تحليل نقد إبراهيم عوض لموسوعة المستشرقين، لعبد الرحمن بدوي عن وعي يتوزع على محورين، هما:

١. النطاق التنظيري الذي يدرك النوع التصنيفي لهذا العمل المرجعي؛ بما هو موسوعة نوعية/ مختصة، أو فنية تتعلق بالترجمة لعدد من المستشرقين، وبيان منجزهم في خدمة العلم العربي الإسلامي، بوصف الاستشراق مؤسسة مستقلة متميزة، لها سماتها وخصائصها؛ يقول (ص ٢٧٣): "وتحتوي موسوعة المستشرقين على تراجم لمئتي مستشرق ونيّف من جنسيات مختلفة".

والأعلام أو مداخل الموسوعة نوعان، هما:

أ. أعلام المستشرقين من العلماء.

ب. أعلام الهيئات والمؤسسات والجمعيات الاستشراقية.

٢. النطاق التطبيقي/ النقدي العلمي للموسوعة، وهو النقد الذي تابع فيه إبراهيم

عوض بناء الموسوعة وهيكلها، المقسم على ما يلي:

أ. واجهة الموسوعة (المقدمة).

ب. صلب الموسوعة (المتن).

أ. ملاحق الموسوعة.

وقد علق الدكتور إبراهيم مجموعة من الملاحظات المنهجية، تمثل حدود نقده لها، يقول:

(ص ٢٧٤): "ومن الملاحظات المنهجية على موسوعة الدكتور بدوي، أن طول التراجم

يختلف من مستشرق لآخر على غير أساس واضح".

فهذه ملاحظة نقدية ربما تعكس غياب المنهج الحاكم وراء تصميم مداخل الموسوعة، ومكونات التعليق على المداخل، وغياب اطراد ظهور معلومات بعينها في كل تعليق.

٣. تتمتع هذه الموسوعة بجاذبية أعلى مقارنة بعمل الدكتور نجيب العقيلي (المستشرقون)؛ يقول: (ص ٢٧٤): "ومع هذا فإن ما كتبه الدكتور بدوي أشد جاذبية". ويفسر سر هذه الجاذبية فيقول: "ذلك أنه مزج في كثير من الحالات المعلومات التي يقدمها لنا عن المستشرقين بذكرياته معهم، فضلاً عن اقتباساته الكثيرة مما كتبه عن أنفسهم، أو كتبه زملاؤهم من المستشرقين عنهم".

وهذه ميزة مهمة لهذه الموسوعة منحتها قدرًا من الحيوية؛ راجعة لطبيعة بعض مصادر جمع مادتها، وهو مصدر اللقاء أو المقابلة والذكريات الشخصية لصانعيه أو لبعض من عايشوا المترجم لهم، أصحاب المداخل.

٤. غياب المعيار الحكام وراء اختيار مداخل الموسوعة، يقول: "لكن هؤلاء الذين خصص لهم د. بدوي مواد في موسوعته هم مجرد عينة". ثم يقرر أنه لم يجد جوابًا عن غياب هذا المعيار.

٥. غياب المقدمة؛ بما هي عنصر تأسيسي من منظور البنية الكبرى لهذا العمل المرجعي، يقول: "إنه لم يمهد لموسوعته بمقدمة!"

٦. استنبط الدكتور إبراهيم عوض منهج ترتيب الموسوعة، فقال (ص ٢٧٥): "وقد رتب د. بدوي المستشرقين الذين ترجم لهم على أساس هجائي، مراعيًا في ذلك ألقابهم، لا أسماءهم الأولى، بغض النظر عن جنسياتهم، مع إهمال ألقاب التشريف والنبل من مثل: دي De أو فون von.

٧. نقد طريقة د. بدوي في كتابة أسماء المترجم لهم، وهو أمر يدخل في نقد البنية الصغرى، من جانبها الشكلي المتعلق بمعلومات الهجاء (ص ٢٦٧).

٨. بيان معلومات النشأة وعلاقات القرابة لكل من ترجم لهم، وهي بذلك تمثل معلومات التعليق على المعنى، بالإضافة لما تولاه من مناصب ووظائف، وما أنجزه من دراسات وترجمات وتحقيقات.

٩. يكشف الدكتور إبراهيم عوض عن إعجاب الدكتور بدوي بالمستشرقين بشكل ظاهر؛ يقول (ص ٢٨٧): "وهذا الإعجاب الحاد بالمستشرقين بوجه عام يتبدى في المقارنات المتكررة التي يعقدها د. بدوي بين الحين والآخر بين عملهم وعمل نظرائهم في اللغة العربية وآدابها!"

١٠. بيان تمتع الدكتور بدوي بروح نقدية، لا تمنعه "من أن ينتقد علم بعضهم حيناً انتقاداً عامّاً، دون تحديد لأحد منهم معين، وحيناً انتقاداً موجهاً لمستشرق بعينه (ص ٢٨٩).

١١. تورط الموسوعة في الاستطراد (ص ٣٠٠).

١٢. ذكر بعض المصادر والمراجع، للاستزادة، وهو نوع تأثر بها يلزم من محجري الموسوعات عند تحريرهم بعض المداخل في عمل موسوعي ما.

ويلاحظ على نقد إبراهيم عوض لهذه الموسوعة ما يلي:

١. الانطباعية والذوقية.

٢. عدم التنظيم؛ أي عدم توزيع الانتقادات على عناصر الموسوعة المختلفة.

٣. عدم الاستغراق، فلم يشر مثلاً إلى ورود صور شخصية لعدد من المترجم لهم، ونماذج من خطوطهم ومصورات لبعض أعمالهم العلمية، وهذه أمور مهمة جداً في الأعمال المرجعية التي تعنى بتراجم الأعلام.

(٣) معايير النقد المعجمي وضوابطه في منجز إبراهيم عوض:

إن فحص سهمة إبراهيم عوض في نقد المعجمات اللغوية والمختصة، والموسوعات العامة والمختصة، يكشف عن حضور مجموعة من المعايير والضوابط الحاكمة، وهي ما أمكن جمعها فيما يلي:

أولاً: المعيار الثقافي (محددات الهوية):

كان المعيار الثقافي حاضرًا بامتياز في جزء من منجز إبراهيم عوض في النقد المعجمي والموسوعي، وهو ما تجلّى في عدد من الدراسات التي تبنت المنهج الموضوعي / المعرفي في إيراد الردود والانتقادات.

وكانت محددات الهوية الإيمانية والاعتقادية والدينية - بوجه عام - هي المعيار الحكام خلف ردوده وانتقاداته لهذه الأعمال المرجعية.

وقد أزره في هذا المعيار اعتماد المصادر الأصلية من الكتاب العزيز والسنة المشرفة، في الرد على الانحرافات والأخطاء، وتمتع تطبيق هذا المعيار الثقافي بذكاء علمي واضح، وحرص على كشف التناقضات الجوهرية فيما ورد في هذه الأعمال المرجعية المختلفة.

ثانياً: المعيار المنهجي:

كما تبين من تحليل منجز إبراهيم عوض في الردود والانتقادات التي وجهها من خلال ما نقله من معجمات وموسوعات تطبيق معيار منهجي واضح الملامح، توزعت على ما يلي:

١. الوعي بالنوع التصنيفي للأعمال المرجعية، وهي:

أ. معاجم لغوية عامة.

ب. معاجم مختصة فنية.

ج. موسوعات عامة.

د. موسوعات نوعية مختصة.

٢. الوعي بالوظائف المتمايزة لهذه الأنواع التصنيفية، فقد ظهر - بشكل شبه واضح -

إدراك ما يلي:

أ. وظيفة المعجم؛ بما هي عمل مساعد.

ب. وظيفة الموسوعة؛ بما هي عمل للتعليم والتثقيف.

٣. الوعي بترتيب النقد لمعلومات المعاجم والموسوعات، ومناهج ترتيب مداخلها على الوعي بأجناسها التصنيفية.

٤. الوعي بشكل عام غائم بالبنية الكبرى لهذه الأعمال المرجعية، ظهرت في كل عمل أو

غاب بعض عناصر عن بعض الأعمال، وتمثلت مكونات هذه البنية فيما يلي:

أ. المقدمات (واجهته العمل المرجعي) من العنوان، والمقدمات، وما تضمنه من الأهمية،

والمصادر، ودوافع التصنيف والوظائف، إلخ.

ب. صلب العمل (متن المعجم / الموسوعة)، بمدخله، ومعلومات ما تحت هذه المدخل، ومنهج ترتيبها، والغرض من وراء هذا النظام أو غيره.

ج. الملاحق.

٥. الوعي بشكل عام غائم بمكونات البنية الصغرى من دون النص على قسميها: التعليق على الشكل، والتعليق على المعنى.

وهو ما انعكس في نقد الضبط والهجاء، والتعريفات الناقصة المعيبة؛ إلخ.

ثالثاً: المعيار الاستعمالي:

لم يرغب عن منجز الدكتور إبراهيم عوض الوعي بأن الأعمال المرجعية هي أعمال متوجهة لمستعمل نوعي بطبيعة الحال، وهذا المستعمل أنواع، يجمعها ما يلي:

أ. مستعمل متعلم دارس، يلجأ للعمل المرجعي بما هو عمل معين ومساعد، يتوصل من خلاله إلى تحسين التحصيل، وتحسين الإدراك، وهو الأمر الأظهر في مستعملي المعجمات اللغوية والاصطلاحية.

ب. مستعمل مثقف دارس مختص، يلجأ للعمل المرجعي بما هو عمل ينهض بالتعليم والتثقيف بصورة كثيفة، ونسبة مكتملة، يستعمله المستعمل لتكوين تصور كلي عام إجمالي عن مسألة من المسائل المعرفية، ويمنحه هذا العمل المرجعي الوسيلة للاستزادة المستقبلية، ويعينه على تحقيقها، وهو الأمر الذي يظهر من طبيعة الموسوعات.

وقد تجلّى تحكيم هذا المعيار الاستعمالي في نقد إبراهيم عوض للمعجمات والموسوعات من الجوانب التالية:

أ. مميزات أنظمة ترتيب المدخل في الأعمال التي درسها ونقدتها، وبيان الترتيب الخارجي والداخلي للمدخل.

ب. بيان الدوافع التي ظهرت خلف بعض هذه الأعمال المرجعية.

ج. الرد على ما من شأنه التشويش على عقل المستعملين، وتهديد تصوراتهم الاعتقادية والإيمانية والفكرية.

د. بيان الأخطاء التي أحاطت بالمعلومات المختلفة الموزعة على التعليق على الشكل والمعنى، من جهات الضبط والهجاء والمعلومات الصرفية، وطرق شرح المعنى، وعيوب التعريفات والعلاقات الدلالية، وغيرها.

صحيح أن كثيرًا من هذه الانتقادات جاءت غير مطردة ولا منتظمة، لكنها كشفت عن حضور مائز وإدراك واع لمنظور المستعمل، وهو المنظور الذي أظهر وعي إبراهيم عوض بضرورة أن ينتج عنه التيسير على المستعملين.

(٤) وظائف النقد المعجمي والموسوعي في منجز إبراهيم عوض ومقاصده:

كشفت فحص سهمة الدكتور إبراهيم عوض في النقد المعجمي والموسوعي استهدافه مجموعة من الوظائف والمقاصد المهمة للغاية، يمكن بيانها فيما يلي:

(١.٤) الوظائف:

أما الوظائف التي استهدفها النقد المعجمي والموسوعي فيمكن إجمالها فيما يلي:

١. الوظيفة الدينية التي استهدف نقده المعجمي من خلالها خدمة حياة القضية الإيمانية والاعتقادية بوجه خاص، والقضية الدينية والعبادية بشكل عام، وهذه الوظيفة عامة في منجزه في النقد المعجمي جميعًا، وبصورة أدق في الجزء الذي اتبع المنهجية الموضوعية/المعرفية.

٢. الوظيفة المعرفية؛ فقد استهدف نقده المعجمي بيان التخليلات والأخطاء والأغلاط والانحرافات والتناقضات العلمية التي وردت في هذه الأعمال المرجعية العربية والاستشراقية، وردّها بالأدلة والبراهين والاستشهادات والمناقشات والتحليلات المختلفة.

٣. الوظيفة المنهجية:

إن هذه الدراسات تمثل درسًا بالغ القيمة في احترام المنهجية؛ قراءة للأصل، وتحليله، وعرض معلوماته المغلوطة على المصادر الأصيلة، ومناقشة تناقضاتها والاستشهاد على عوارها، واستخراج النتائج في النهاية.

وهو درس منهجي يستصحب النوع التصنيفي، وإجراءاته المنهجية، ويستصحب الأغراض، والوظائف، وخطاب المصادر.

٥. الوظيفة اللسانية:

لقد برز من المعالجة النقدية التي مارسها الدكتور إبراهيم عوض تجاه هذه الأعمال المرجعية (المعجمات / الموسوعات) وعلوم اللسان، أثر في بناء العقل المسلم المعاصر، وأثرها في نقد الانحرافات والأخطاء والأغاليط، والكشف عن التناقضات؛ مما يجعل الوظيفة اللسانية من الوظائف التأسيسية في دراسات النقد المعجمي، الذي يستهدف ضبط المحصول الثقافي والمعرفي.

وهي الوظيفة التي تتجلى من فحص المعلومات الموزعة على المستويات اللغوية المختلفة: صوتياً و صرفياً ونحوياً ودلالياً وأسلوبياً، وترجمياً.

٦. الوظيفة التعليمية:

حرص منجز إبراهيم عوض في النقد المعجمي على استهداف خدمة الوظيفة التعليمية، وحياطة مستعملي قطاع هذه الأعمال المرجعية - ولاسيما المعجمات وبعضها مدرسي - من الأخطاء والانحرافات العلمية.

وهو حرص يستهدف خدمة تحسين العملية التعليمية، وتحسين تحصيل الطلاب الدراسي بتنقية هذه الأعمال المرجعية المساعدة.

٧. الوظيفة الحضارية:

لقد كشف النقد المعجمي الذي مارسه الدكتور إبراهيم عوض على هذه المجموعة من المعجمات والموسوعات عن منزلة العقل العربي، والعلم العربي، والمنجزات الحضارية العربية على امتداد عطاء الإنسان العربي المسلم.

وكشف كذلك عن استهداف هذه الحضارة من قبل خصومها وأعدائها تعويقاً، ومنعاً من نهضتها.

٨. الوظيفة القومية:

عبر الدكتور إبراهيم عوض - أكثر من مرة - عن ضرورة التصدي لمحاولات أعداء الأمة، سواء من داخلها (المنصرين)، أو خارجها (المستعمرين والمستشرقين)، بطريق عملي

ينهض بصناعة أعمال مرجعية (معجمية وموسوعية) ترعى قيم العلم الإسلامي، وتصورات الدين الإسلامي الإيانية والاعتقادية والفقهية والأخلاقية.

وعَدَّ هذه الدعوة فريضة قومية ووطنية، وقد تكرر منه ذلك؛ يقول في نهاية كتابه: (النزعة النصرانية في قاموس المنجد، ص ٤٩): "إنني أهيب بالدول العربية التي أفاء الله عليها من خزائنه وكرمه أن تتبنى (المنجد الإسلامي)، وعيب أن يكون العرب بهذا العدد وهذه الإمكانيات، ثم لا يكون لهم (منجد) جميل يتلافى أخطاء (المنجد النصراني) وضيق أفقه، وتعصبه الذميم!"

ويقول في خاتمة (نظرات إسلامية في الموسوعة العربية الميسرة، ص ٩٩): "إن من الواجب على الأموال العربية والخبرة العربية أن تتعاونوا معًا - متسلحتين بالإيمان بالله والإخلاص للعلم - على صنع موسوعة ليس فيها هذه الثقوب والثغرات في جدار صمودنا الروحي والفكري والنفسي؛ موسوعة تضع الحق في نصابه، ولا تخضع لضغوط التمويل والتوجيه الغربيين!"

(٢.٤) المقاصد:

إن تحليل عنوانات دراسات إبراهيم عوض في النقد المعجمي والموسوعي، وتحليل خطاب مقدماته، وبنية معلوماتها - بما هي جميعًا مسالك كاشفة عن مجموعة من المقاصد - يكشف عن حضور مجموعة كبيرة من المقاصد الشرعية، يمكن استثمارها واستلهاها من هذا المنجز العلمي، وفيما يلي دلالة على هذه المقاصد من تحليل هذه المسالك المتنوعة:

١. تحقيق مقصد حفظ إيمان المسلم المعاصر وعقيدته، وهو مقصد حاضر في الأعمال جميعًا، ولا سيما في: النزعة النصرانية في قاموس المنجد، ونظرات إسلامية في الموسوعة العربية الميسرة، ودوائر المعارف الإسلامية الاستشراقية: أضاليل وأباطيل.

وحفظ ما يحقق ذلك؛ من صيانة الوحي والكتاب والسنة، من تخليطات المخلطين، والدفاع عنه.

٢. توشي تحقيق مقصد حفظ صحة عبادات المسلم المعاصر، ببيان الانحرافات التي وقعت في هذه الأعمال المرجعية التي تصدى للرد عليها، ولا سيما في أبواب الفقه ومسائله؛ مما يعين على إقامة التكليف.

٣. توخي تحقيق مقصد حفظ العقل المسلم المعاصر، بصيانه من تسرب الأخطاء العلمية إلى تكوينه، وفضح التناقضات المعرفية التي وقعت في هذه الأعمال، وإقامة الدليل واستصحاب الشواهد على صحة الردود، وتهافت الأقوال الخاطئة؛ مما يعين على استقرار العقل المسلم المعاصر، ومنع اضطرابه.

٤. توخي تحقيق مقصد تقويم الخلل، ببيان الأخطاء والانحرافات والأغلاط والتناقضات العلمية التي أحاطت بعلوم الشريعة والعربية.

٥. توخي تحقيق مقصد التيسير على المسلمين المعاصرين، ببيان ما يمكن أن يضرهم في معتقداتهم، وتكوينهم العلمي، ورفع الحرج والمشقة عن لا يستطيع دفع هذه التحريفات والانحرافات والتخليطات؛ إلخ.

٦. استهداف تحقيق مقصد الضبط العلمي، وتحقيق المسائل العلمية بدفع التناقضات والانحرافات التي أوردتها هذه الأعمال المرجعية، وإقامة الدليل على صحة الردود والانتقادات.

٧. توخي تحقيق مقصد خدمة العمران بخدمة العلم، وتنقيته من التحريفات والانحرافات والأخطاء، ودعم المنهج العلمي المستقيم.

٨. استهداف تحقيق مقصد وحدة عقل الأمة؛ ذلك أن تصحيح هذه الأخطاء والانحرافات من شأنه أن يحقق نوعاً من الوحدة الفكرية والعقلية، تعين على نشر أجواء الوثام الفكري.

٩. استهداف تحقيق مقصد نفع الخلق من طلاب العلم، ورعايتهم بما يحقق استقرارهم المعرفي، واستواءهم النفسي، ومطاردة محددات الاضطراب والقلق، من جراء ما يصادم عقله واعتقاده من هذه الأخطاء. ومقصد الرحمة بالخلق هذه بعض تجلياته العلمية.

١٠. توخي تحقيق مقصد طلب الأجر والثواب بما ينفع الناس، وقيم وعيهم، ويضبط تفكيرهم.

١١. استهداف تحقيق مقصد الوفاء لعطاء علماء الأمة السابقين، الذين نهضوا في مراحل زمنية سابقة بواجب الدفاع عن الله تعالى، والدفاع عن رسوله ﷺ.

خاتمة:

عالج هذا البحث سهمة الدكتور إبراهيم عوض في نقد المعجمات والموسوعات من منظور الهوية الحاضرة.

وقد جاء في أربعة مطالب هي:

١. المدخل: إبراهيم عوض والنقد المعجمي: مداخل أولية، عرض لمنجزه في الباب وانتهائه المعرفية.

٢. النقد المعجمي في منجز إبراهيم عوض: دراسة في المجالات. ونتج من درسه وعيه بما يلي:

أ. تنوع النوع التصنيفي للأعمال المرجعية (معجمات / وموسوعات).

ب. تنوع وظائف تبعاً لتنوع الأنواع التصنيفية.

ج. حضور مجموعة من المعايير والضوابط حكمت منجزه النقدي للمعجمات والموسوعات.

٣. معايير النقد المعجمي في منجز إبراهيم عوض.

٤. وظائف النقد المعجمي في منجز إبراهيم عوض ومقاصده.

وكانت أهم النتائج التي خرج بها هذا البحث هي كما يلي:

١. يعد إبراهيم عوض واحداً من اللسانيين المهنيين المختصين الذي أثروا باب النقد المعجمي والموسوعي برصيد كبير من الدراسات من منظور ثقافي / وصناعي، يراعي أصول صناعة المعجم.

٢. توزعت سهمة إبراهيم عوض في النقد المعجمي الموسوعي على محورين:

أ. محور النقد المعرفي (الثقافي)، الذي استهدف فضح الأخطاء والانحرافات الفكرية في ميادين مختلفة.

ب. محور النقد المنهجي، الذي استهدف بيان الأخطاء التي وقع فيها أصحاب هذه المعجمات والموسوعات.

٣. كان معيار صيانة الهوية هو أعلى المعايير التي حكمت منجز إبراهيم عوض في نقد المعجمات والموسوعات.

٤. لم يرغب عن وعي إبراهيم عوض أن البحث المعجمي يتجاوز محور النقد إلى محورين آخرين
آخرينظت هما:

أ. محور التأريخ المعجمي، كما ظهر مثلاً في تعليقه المطول في كتاب (من ذخائر المكتبة العربية، ص ٢٥٣): "إن المعاجم التي من هذا القبيل و(الموضوعات) جد قديمة في المكتبة العربية... وقد بدأت على هيئة كتب صغيرة، يضم كل منها الكلمات المتصلة بموضوع واحد من الموضوعات، ثم انتهت بالمعاجم التي على شاکلة الإفصاح". وهذا تعليق يقع في الصميم من التأريخ المعجمي؛ بما هو واحد من أعمدة البحث المعجمي.

ب. محور التصنيف المعجمي، وتنوعه باعتباريات مختلفة، وهو ما يظهر مثلاً من التعليق المطول [من ذخائر المكتبة العربية (ص ٢٥١)]؛ حيث يقول: "المعاجم في اللغات الحية العريقة كثيرة متنوعة؛ منها: الأحادي اللغة والثنائي اللغة... والثلاثي اللغة كذلك. ومنها المعاجم العامة، والمعاجم الخاصة بعلم من العلوم، أو فن من الفنون، ومنها المعاجم المبسطة (الموسعة) والمعاجم الوجيزة. ومنها معاجم... الفصحى، معاجم اللهجات، ومنها... المعاجم المرتبة ألفبائياً، وتلك المرتبة حسب الموضوعات". وهذا وعي ممتاز بالاعتبارات الحاكمة لتصنيف المعاجم من زوايا مختلفة.

٥. كانت انتقادات إبراهيم عوض وردوده صحيحة في المجمل الغالب، وإن جاءت انطباعية وحدسية وذوقية، لم تستصحب أصول المعجمية المستقرة في مصادر هذا العلم المعاصر، وساعده على إصابة الحق فيها ثقافته الواسعة، وتخصسه العلمي أستاذاً مرموقاً في علوم العربية، ولاسيما: النقد الأدبي.

٦. فات انتقادات إبراهيم عوض وردوده على الانحرافات والأخطاء العلمية التي وقعت في الأعمال المرجعية (المعجمات/ والموسوعات) التي تصدى لنقدها - أن ترد منظمة محكمة بنسق تنظيمي.

إن هذا المنجز النقدي الذي نهض به الدكتور إبراهيم عوض يكشف عن الإمكانيات الكبرى الكامنة في حقل النقد المعجمي والموسوعي، وما يمكن أن يقدمه هذا المجال من خدمات للعقل المسلم المعاصر على المستويات الثقافية والمنهجية. وهو منجز علمي يسلك صاحبه علمًا في حقل اللسانيات عمومًا والبحث المعجمي خصوصًا!.

المراجع:

١. انظر ما كتبه الدكتور عبد المنعم السيد الجدامي، حول مفهوم الثقافة في مقدمة بحثه: المشكلات الثقافية في معجم إلياس بقطر، (ص ٣١٢ - ٣١٣) ضمن كتاب: المعجمية العربية؛ قضايا وآفاق (ج ٣)، إعداد وتنسيق: د. منتصر أمين عبد الرحيم، ود. حافظ إسماعيلي علوي، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٦م.
- وانظر مدخل الثقافة في: الكلمات المفاتيح: معجم ثقافي ومجتمعي لريموند وليامز، ترجمة: طلال أسد، ومراجعة محمد بربري، (ص ١١٦)، المشروع القومي للترجمة، القاهرة ع ٩٨٠، سنة ٢٠١٥م؛ ومفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، لطوني بينيت وآخرين، ترجمة: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة (ص ٢٥٥)، بيروت سنة ٢٠١٠م؛ وموسوعة النظرية الثقافية: المفاهيم والمصطلحات الأساسية، لأندرود إدجار، وبيتر سيد جويك، ترجمة: هناء الجوهري، ومراجعة: محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، ع ١٣٥٧، سنة ٢٠٠٩م (ص ٢٢٩).
٢. المعاجم عبر الثقافات، ص ٥٩.
- المعجم العربي وهوية الأمة، للدكتور حسن حمزة (ص ٦٣ - ٦٤)، ضمن: مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، مج ١ ع ١ (ص ص ٦٣ - ٧٨)، صيف ٢٠١٢م.